

بدأت مسيرة الحوزة العلمية مع بدايات التاريخ الإسلامي، ومع أوائل تباشير فجره الوضاء الذي تجلى في ليل البشرية فأزرق عقليين، عقلاً سعى لطمس هذا النور وإخماد شعلته {ويأبى الله إلا أن يتم نوره}، وعقلاً آخر جاهد ولم ينله الجهد للسير بهذا النور وتوسيع دائرة مضاربة {ليظهره على الدين كله}، رغم كره يديه هذا وممانعة يظهرها ذلك. وكانت الحوزة العلمية بكل أطيافها في القلب من هذا المعسكر التنويري، رغم بعض الهنات والتعثرات في طريق ذات الشوكة، وبين كم هائل من معيقات التقاليد التي كانت تريد لجواد هذه الحركة أن يكبو ويتعثر.

ولما كان لا يستغنى أي موجود تحت الشمس عن الإصلاح وإعادة النظر بدأت هذه العملية مع تراكم الخبرة العلمية في الحوزة العلمية على صعيد المناهج وطرق التدريس وتنويع الاهتمامات، ومن يتأمل في تاريخ العمل العلمي الحوزوي يجد هذه الحقيقة ماثلة للعيان فيما إذا تخلص من إدمان جلد الذات. ودليل هذا التطور يكمن بأوضح صوره في تطور الفقه والأصول من الطريقة الروائية والاعتماد على النص والتعبد به، إلى الموسوعات الفقهية الاجتهادية الضخمة التي يضيق المجال عن الإشارة إليها.

ولا ينفي هذا وجود بعض القصور أو التقصير في مجالات عدة وحقول أهملت فتراكم فيها العجز، ولا ينفي كذلك الاعتراف بإمكانيات خصبة للتطوير ما زالت مخترنة في داخل هذا التراث تنتظر من يخرجها من حالتها الجنيينية إلى عالم "الخلق الآخر" الذي يجبر المعايين على تمجيد الخالق "تبارك الله أحسن الخالقين". وهذا ما يحاول معهد الرسول الأكرم العاليي للشريعة والدراسة الإسلامية القيام به منذ سنوات بأقل مقدار من الضجيج، وبخطى وئيدة ليبلغ به الغاية. عبر إدخال الكثير من التعديلات على المنهج الدراسي مع السعي قدر الإمكان لعدم تجاوز الأصول والتجرد منها كيف والطير إذاً ضل سربه يهلك، والنهر إذا غادر مجراه استحال طوفاناً مدمراً بعد أن كان ماءً عذباً سائغاً للشاربين.

وضمن هذه الأسس وهاتيك الثوابت يعمل المعهد على إصدار سلسلة من الدراسات يغطي بها مكامن القلق، وثغور الفكر الإسلامي ضمن مقررات دراسية ومشروعات علمية حرة أخرى، سوف تتسع لتشمل

ميادين متعددة مما يحتاج إلى إعادة نظر، أو تغطية جديدة، آملين لهذا الجهد أن يحظى بالدعم والمتابعة النقدية والمسددة؛ حيث إننا نفتخر بدعوى عدم الكمال والحاجة إلى النقد.

ومن بين هذه الأعمال التي نرى أننا في أمس الحاجة إليها هو النظر أو إعادة النظر في الدراسة العلمية في مجال الدراسة الحوزوية لتطويرها والرفي بها إلى المستوى الذي يتناسب مع عظمة الأهداف التي تسعى الحوزة إلى تحقيقها أو الاقتراب منها في أقل تقدير. ولما كان لابد من استناد أي تغيير حوزوي على إرادة فاعلة وفكر نير انطلقنا في تصورنا عن تجدد الحوزة من رؤية سماحة الإمام الخامنئي حفظه المولى. راجين أن يكون في هذا الجهد خدمة للحوزة العلمية وسيعاً بها إلى علاها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله.

معهد الرسول الأكرم العالي

لِلشريعة والدراسات الإسلامية

التربية والتعليم . مقدمة عامة

أهمية التربية والتعليم

تمثل "التربية والتعليم" محور حركة الأنبياء (ع) والمصلحين في التاريخ الإنساني لما لهما من دور في صنع الإنسان وبناء شخصيته وبناء المجتمع بشكل عام.

ولأهمية التربية والتعليم نجد الاهتمام الكبير بهما في دساتير الشعوب، ومواثيق الثورات وشعارات حركات الإصلاح الاجتماعي والديني.

كما أن للتربية والتعليم حصة الأسد في قسمة الإنفاق العام وفي نسبة توزيع العمالة في العالم المعاصر.

ومن منظور إسلامي بشكل خاص نجد الاهتمام الكبير في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة بالتربية والتعليم فورد في القرآن ما يؤكد على الموقع البارز للعلم والعلماء:

* {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب} [1].

* {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} [2].

وورد في السنة روايات كثيرة في بيان أهمية العلم والتربية، مثل الروايات التالية:

* "العلم ضالة المؤمن" [3].

* "العلم رأس الخير كله والجهل رأس الشر كله" [4].

* "العلم حياة الإسلام وعماد الدين" [5].

* يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء [6].

وانطلاقاً من هذه النظرية إلى التربية والتعليم ورد في إحدى رسائل أخوان الصفا قولهم:

ليس من فريضة من بين فرائض الشريعة وأحكام الناموس أوجب، ولا أفضل، ولا أجل، ولا أشرف، ولا أنفع للعبد، ولا أقرب له، بعد الإقرار به، والتصديق بأنبيائه ورسله فيما جاؤوا به وخبروا عنه، من العلم طلبه وتعليمه" [7].

إشكالية التربية والتعليم

عن التربية والتعليم مع كل مالها من الأهمية في العالم المعاصر ومن منظور إسلامي بشكل خاص تواجه أزمة كبيرة على مستوى الممارسة في أوساطنا وذلك لاعتبارات عدة:

أولاً: غياب فلسفة تربوية . إسلامية واضحة المعالم والأسس، تتصف بالواقعية والمرونة، والفاعلية.

ثانياً: غياب سياسات تربوية . تعليمية واضحة وقادرة على معالجة تعقيدات الواقع وتشعباته تلك السياسات القائمة على الغايات والمقاصد التربوية والتعليمية الواضحة، بعيداً عن العموميات والإنشائيات والخلط بين الغايات والوسائل والإجراءات.

ثالثاً: سيادة الأساليب التربوية والتعليمية المعتمدة على التلقّي السلبي والتلقين والحفظ، وطغيان المادة التعليمية على أساليب التفكير والمهارات العملية والعلمية.

من هنا، يلزم قبل كل شيء وضع أسس ومبادئ تربوية . تعليمية مبنية على غايات واضحة وسياسات إجرائية مرتبطة بواقع التعليم والتربية بعيداً على أسلوب التلقين والتركيز على الحفظ والذاكرة. وهذا ما نسعى إليه في هذه الدراسة.

غايات التربية والتعليم

لقد شهد المجتمع الإنساني طروحات وأفكار عديدة في مجال التربية والتعليم وغاياتها وبعض هذه الطروحات أصبحت جزءاً من الماضي وينبغي دراستها ضمن تاريخ الفكر التربوي. ولكن في العصر الحاضر، وحسب الاتجاه العام الذي يحكم مسار التربية والتعليم. فإن الغايات الأربع التالية تشكل الغايات الأساسية للتربية المعاصرة وتعبّر عن توجهات الفلسفة التربوية التي تحكم العالم المعاصر [8]:

1. تعلّم لتعرف

2. تعلّم لتعمل

3. تعلّم لتكون

4. تعلّم لتشارك الآخرين

إننا نستطيع أن نوافق هذه الغايات من الناحية الشكلية والصوربة، ولكن لا نستطيع أن نوافق مع الآخر المختلف معنا في التوجه الفلسفي والتربوي في المضامين والمحتويات لبلوغ هذه الغايات.

وذلك لأن السؤال الذي يطرح بالنسبة إلى الغاية الأولى . مثلاً . هو :

أولاً: ماذا تعرف؟ وثانياً: كيف تعرف؟

فإلى جانب الخبرات التربوية والتعليمية فالتوجه الفلسفي . التربوي والثقافة التربوية الدور الكبير في الإجابة على السؤالين.

وعليه فصاحب الفلسفة التربوية المثالية يختلف مع أصحاب المدرسة التربوية الرومانتيكية وهم يختلفون مع العلمية والواقعية المتجسدة في "الأروجانون الجديد" لفرنسيس بيكون، كما أنها بدورها تختلف مع الفلسفة التربوية التي يدعوا إليها أصحاب المدرسة البراجماتية الداعية إلى مبدأ "البقاء للأصلح" وهذه المدرسة وغيرها تختلف مع الاتجاه التربوي الاجتماعي الحديث. والاتجاه الإسلامي في التربية والتعليم لا يوافق مع الاتجاهات السابقة كما يخالف مع التبعية التربوية والتعليمية السائدة في العالمين الإسلامي والعربي، ويدعو إلى تبني أسس ومبادئ تربوية مختلفة عن تلك المدارس.

كما أنّ السؤال المطروح بالنسبة إلى الغاية الثانية هو: أولاً: ماذا تعمل؟ وثانياً: كيف تعمل؟

وهكذا بالنسبة إلى الغايتين الأخريين. والإجابة لها بُعد فلسفي . تربوي، إضافة إلى العوامل الأخرى.

وعليه، فإن تحديد الغايات التربوية . التعليمية المعتمدة على المقاصد والمبادئ التربوية يشكّل مدخلاً أساسياً لممارسة العمل التعليمي والتربوي، وهذا ما نسعى إليه في هذه الدراسة.

ثقافة العلمية التربوية . التعليمية ولغتها:

إن العلمية التربوية . التعليمية تتحكم بها الثقافة واللغة باعتبار أن الثقافة واللغة تجسّدان العملية بأكملها من خلال إنتاج وصياغة مضامينها، كما أنهما تقومان بدور الناقل للمحتوى التعليمي إلى المتعلّمين.

فعلى صعيد الثقافة، فإن الفكر التربوي، وتنظيراته، بمثابة المدخل الطبيعي لأي عملية تربوية تقوم على منطلقات وأسس مستقلة، بدءاً بالقيم والمعتقدات وإنهاءً بالإجراءات والوسائل الكفيلة بتطبيقها. ففي حين أن الفكر التربوي البراجماتي . مثلاً . يؤكد على "القيمة الفورية" والدينية البحتة، ولا يرى "للقيمة الروحية" اعتباراً تربوياً، فإن الفكر التربوي الإسلامي يرى السعادة في الجمع بين "القيمة المادية" و"القيمة الروحية" كما هو الأمر في جهود العلماء المسلمين أمثال الفارابي في السعي نحو الجمع بين معرفة الإغريق والقيم الروحية للدين الإسلامي.

وعلى صعيد اللغة فإنّها تمثّل أداة للتفكير والنمو الذهني وتحليل الخطاب والإبداع، فإنّنا نفكر باللغة وننظم معلوماتنا بها ونصيغ مفاهيمنا بواسطتها كما أننا نقوم بتحليل ودعم المعلومات من خلال اللغة والأساليب المستخدمة في تطويرها.

من هنا، كلما قمنا بتطوير اللغة تنظيراً وتطويعاً وتسهيلاً في الاستخدام لجهة النحو والاشتقاق وإثراءً للمعاجم والقواميس اللغوية نستطيع أن ندعم العملية التعليمية . التربوية بشكل أكبر. إن السعي في بناء المصطلحات ونقل المعلومات العلمية إلى لغتنا الأم تساهم في تنمية التفكير وتنمية المعرفة والقدرات الذهنية لدينا، وهي أسهام في الوقت ذاته لإثراء العملية التربوية . التعليمية.

عناصر العملية التربوية . التعليمية

تعتمد العملية التعليمية . التربوية على العناصر الأساسية التالية: المعلّم، المتعلّم، المنهج، والمنهجيات. والعملية التربوية لا تتحقّق أهدافها إلّا بتوافر العناصر الأربعة ضمن توليفة دقيقة وفيما يلي توضيح موجز حول هذه العناصر:

(1) المتعلّم: يعتبر "المتعلّم" محور العملية التربوية . التعليمية، وتدور العملية التعليمية بمجملها حول رفع احتياجات المتعلّم التربوية . التعليمية. كما أن العلاقة التي تحكم بين رباعية: المتعلّم، المعلم، المنهج والمنهجيات، تخضع للتجاوب مع حاجات المتعلّم وقدراته. ويتمّ التركيز في الفكر التربوي الحديث على مبدأ "التعلّم الذاتي" للمتعلّم دون تعليمه، وعليه يتم التأكيد على أنّ المهمة التربوية الأساسية هي أن تعلّم الإنسان كيف يتعلّم، وكيف يواصل تعلّمه من المهد إلى اللحد[9].

(2) المعلم: إنّ المهمة التي على عاتق المعلم في العملية التربوية . التعليمية، هي أن يعلم المتعلّم كيف يتعلّم وكيف يستمر في تعليمه، وهذه المهمة تتطلب من المتعلّم إضافةً إلى تنمية القدرات والمعارف المطلوبة في مجال التعليم، الإلمام العميق بمنهج التفكير وأسس المعرفة والمهارات اللازمة لإدارة الدرس، والصف، والموارد التعليمية.

من هنا، "فقد فَقَدَ معلّم عصر المعلومات سلطة احتكار المعرفة ليتغيّر دوره . بالتالي . من كونه مجرد ناقل للمعرفة إلى كونه مشاركاً وموجّهاً يقدّم لطلّبه يد العون، لإرشادهم إلى موارد المعلومات، وفرص التعلّم المتعددة، ... لقد أصبحت مهمّة المعلم مزيجاً من مهام المربي، والقائد، ومدير المشروع البحثي، والناقد، والمستشار ..."[10].

(3) المنهج: أو المادة الدراسية هو الجزء الآخر المقوم للعملية التعليمية، والفكر التربوي المعاصر لا يعترف باستقلالية المواد الدراسية عن بعضها ولا يعتبرها بمنزلة جزر منعزلة، منغلقة على نفسها في نطاق تخصصها الضيق، بل يدعو إلى فتح مجالات المعرفة على بعضها البعض بهدف التواصل المعرفي البناء.

(4) المنهجيات: إنّ العملية التعليمية لا تكفي أن تؤدي إلى نتاج نهائي جيد، بل ينبغي أن يحكم العملية التعليمية بمراحلها ومجالاتها المختلفة الالتزام بالجودة الكاملة والمستمرة. وعليه فلا بد للعمل التربوي والتعليمي أن يتم من خلال أساليب وطرق ومنهجيات مدروسة وجيدة كي نستطيع أن نقيّم العملية بمجملها تقييماً في جانبي الأداء والإنتاج.

التربية والتعليم في الإسلام . نظرة تاريخية

بدأ الرسول (ص) كما يتبدى كل داعية بتعليم أصحابه، والمؤمنين به، وكان محور التعليم في مرحلته تلك، هو النص القرآني باعتبار أنه النص الديني المدوّن الوحيد، وفي نص يكشف عن رغبة النبي (ص) بنشر العلم والمعرفة ما يرويه معاذ: "سمعت رسول الله (ص) يقول: "ما من رجل علّم ولده القرآن، إلّا توّج الله به يوم القيامة تاج الملوك وكسي حلتين لم ير الناس مثلهما" ([11]).

وعليه، يمكن أن نقول:

إن الرسول (ص) هو أول معلم في الإسلام. من الطبيعي أن يتوافر للمتعلمين مكان للتعليم، وينقل المؤرخون أن أول مكان كان "دار الأرقم بن عبد مناف" وكان يعرف "بدار الإسلام الأولى" ([12]).

المسجد مركز التعليم الأول في الإسلام

وبعد الحلاقات التي كانت تعقد في دار الأرقم، أو في بيت النبي (ص) أحياناً، انتقلت الدراسة إلى المسجد. يروي عن النبي (ص) الروايات الكثيرة التي تؤكد صلة المسجد بالعلم والتعاليم، كقوله: "من غد إلى المسجد لا يريد إلّا ليتعلم خيراً كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يرد ليتعلم خيراً وليعلّمه فله أجر حاج تام الحجة" ([13]).

وقوله (ص): "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً، أو ليعلمه، كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له" ([14]). ومن هنا، أصبحت المساجد منهلاً للعلم والمعرفة، وقد أخذت بعض المساجد منهلاً للعلم والمعرفة، ومن بين هذه المساجد . المدارس: مسجد الكوفة. قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمّي: إني أدركت في هذا المسجد . يعني مسجد الكوفة . تسعمائة شيخ يقول حدثني "جعفر بن محمد" (ع). وهكذا مسجد البصرة الذي اعتزل فيه "واصل بن عطاء" حلقة "الحسن البصري" فنشأت المعتزلة. وهكذا مساجد بغداد. والمسجد الجامع لعمر بن العاص في الفسطاط، وجامع ابن طولون، والأزهر في مصر، وجامع قرطبة. ويمرور الزمن

ولأسباب اجتماعية . حضارية، أو عملائية . تنفيذية، انتقلت الدراسة من المساجد إلى مدارس بنيت للدراسة والتدريس.

دواعي انفصال المدرسة عن المسجد:

يمكن طرح مجموعة من العوامل التي أدت إلى انفصال المدرسة عن المسجد، أهمها ما يأتي:

أولاً: تغيير أساليب التدريس، وكثرة الحلقات، وما يصاحب ذلك من ضجيج وتشويش على المصلين، ولهذا ترك "الأزهر الشريف" للتدريس ولا تقام فيه سوى صلاة الجمعة.

ثانياً: تطوّر العلوم وإدخال مواد دراسية أخرى أضيفت إلى دراسة القرآن الكريم، وخاصّة موضوعات "علم الكلام" المقترن بالنقاش الحادّ والجدل الطويل ما قد يخرج بأصحابه أحياناً عن الأدب الذي تجب مراعاته في المسجد.

ثالثاً: إنّ جملةً من المعلّمين كانوا مضافاً على انشغالهم بالتعليم، يمارسون بعض الأعمال الحرفية المحدودة، وحيث لم يفلحوا في تأمين مورد مناسب، لم يكن أمامهم إلاّ اتخاذ المدارس وسيلة للاكتساب، والعرف يقتضي أن يكون التدريس في المسجد مجانياً.

رابعاً: عبث الصبيان الصغار الذين لا يتحفظون من النجاسة، جعل الفقهاء، يمنعون تعليمهم في المساجد([15]).

تاريخ ظهور المدارس الإسلامية

توجد آراء عدة حول تأسيس المدرسة الأولى في الإسلام (بعد الانفصال عن المسجد). وقد يبدو من بعض الآراء الخلط الواضح بين المدرسة وفكرة إنشاء الكتاتيب، وهي أماكن خاصّة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وتدريس علوم الدين، وفي هذا المجال تواجهنا خمسة آراء في ما يخصّ التاريخ الأول:

الرأي الأول: إنّ المدارس الإسلامية ظهرت في نهاية القرن الثاني الهجري، في "خراسان"، "إنّ أول مدرسة أسست في خراسان أسسها المأمون العباسي في نهاية القرن الثاني الهجري أيام ولايته هناك" [16].

الرأي الثاني: إنّ "بخاري" هي المهد الأول للمدارس الإسلامية في العالم الإسلامي، وإنّ الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ربما يكون التاريخ الأول لذلك (295هـ / 907م).

الرأي الثالث: عن أهل "نيسابور" كانوا السبّاقين إلى تأسيس المدارس في العالم الإسلامي وذلك في أواخر القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجريين ومن هذه المدارس:

1. المدرسة التي أنشأها حسان بن محمّد القرشي الأموي، المولود (277هـ / 989م)، والمتوفى (349هـ / 1060م).

2. "مدرسة دار السنّة" على باب المسجد الجامع التي أوقفها أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي (ت 342هـ / 953م).

3. مدرسة محمّد بن حبان البستي التميمي . المعاصر للنيشابوري . وهو أبو حاتم الفقيه.

الرأي الرابع: إنّ أول مدرسة دينية أنشئت في "بغداد" في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، وتحديدًا سنة 383هـ / 499م. والتي أسسها "أبو نصر سابور بن أردشير" وزير بني بويه داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد، وكان الشريف الرضي (ت 604هـ / 5101م) قد اتخذ داراً أسماها "دار العلم"، وفتحها لطلبة العلم، وأمنّ لهم جميع ما يحتاجون إليه.

الرأي الخامس: إنّ أول من بني المدارس في الإسلام هو نظام الملك الطوسي وزير الشاه السلجوقي، أواسط القرن الخامس الهجري في مدينة "بغداد" عندما أنشأ المدارس التي حملت اسمه "النظامية" وقد افتتحت تلك المدارس للدراسة يوم السبت العاشر من ذي القعدة (459هـ / 1066م). ويميل إلى هذا الرأي أكثر من أرّخ لنشوء ظاهرة المدارس.

وإذا اعتمدنا على تحديد الدكتور "معروف" حول بداية إنشاء المدارس الدينية خارج المسجد يمكن أن نخرج بالجدول التالي ([17]):

--	--	--	--	--	--	--	--	--

اسم البلد	خراسان	العراق	الشام	مصر	الحجاز	تونس	المغرب	الأندلس
هجري	295	457	491	235	579	647	685	750
التاريخ	4907	106	1097	1137	1183	1249	1286	1349

الحوزة العلمية . نظرة تاريخية

كلمة (حوزة) مشتقة من الفعل حاز، وحاز الشيء حيازة واحتيازاً، إذا ضمّه، وجمعه أو إذا حصل عليه. والحوز: الموضوع إذا أقيم حوالیه سد أو حاجز([18]). فالحوزة، إذاً بمفهومها اللغوي العام، هي: المكان المحدد، وفيما بعد، أصبح مصطلحاً للمدارس الدينية التي تعتمد على المنهج التعليمي الإسلامي، المبني على الفكر الاجتهادي.

1. حوزة النجف الأشرف:

تتفق الأقوال على أنّ مدينة "النجف" بدأت تاريخها بوصفها مدينة مقدسة، منذ أن كُشف لأول مرة عن مرقد الإمام علي (ع)ن ولكن تختلف الآراء حول بداية تحولها إلى مدينة علمية، ويمكن حصر الآراء في هذا المجال بنظريتين:

النظر الأولي: مفادها أن الحوزة العلمية نشأت قبل زمن الشيخ الطوسي (قده)([19])، ويندرج تحت هذه النظرية آراء عدة حول تاريخ هذه البداية. وتعتمد هذه النظرية على وجود البيوتات العلمية القديمة من قبيل: آل شهریار، وآل الطحال وغيرهم. ولكن سيأتي أن وجود بعض العائلات العلمية لا يساوق وجود الحوزة.

النظرية الثانية: تعتبر أن الحوزة العلمية نشأت في زمن الشيخ الطوسي (قده) وقبل ذلك لم يكن هنا شيء يمكن تسميته بالحوزة العلمية. وقد تبني "السيد الخامنئي" هذا الرأي حيث يقول: "... مضافاً إلى حوزة النجف التي نشأت بعدة هجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة، حوالي العام 450هـ؛ حيث أقام للحوزة تنظيمًا مركزيًا بذل فيه الكثير من الجهد لتطوير العلوم الإسلامية، كالفقه والأصول والحديث.."[20]. نعم، قد نشأت قبل هجرة الشيخ إلى النجف الأشرف بعض البيوتات العلمية، إلا أن هذه البيوتات لا ترقى إلى ظاهرة تأسيس حوزة علمية.

وقد تبني "الشهيد الصدر" أيضاً هذه النظرية في كتابه "المعالم الجديدة" حيث يقول: "... إن مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف، يشيرون إلى أن تلامذة الشيخ الطوسي في بغداد قد رافقوه، أو التحقوا به فور هجرته إلى النجف. وهو دليل على عدم وجود كيان علمي؛ إذ لو كان مثل ذلك الكيان موجوداً لالتحق الطلاب بشيخهم، وما يعزز احتمال حداثة الحوزة التي تكوّنت حول الشيخ في النجف، الدور الذي أداه فيها أبناه الحسن المعروف بأبي علي، فقد تزعم الحوزة بعد وفاة أبيه، ومن المظنون به أن أبا علي كان في دور الطفولة، أو أوائل الشباب، حين هاجر أبوه إلى النجف، لأن تاريخ ولادته ووفاته وإن لم يكن معلوماً، لكن الثابت تاريخياً أنه كان حياً في سنة (515هـ / 1212م). والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس، هي أن الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف، انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف وتفرغ في مهجره للبحث وتنمية العلم".

ويرجع "الشهيد الصدر" ظاهرة جمود الكفر الفقهي بعد زمن الشيخ الطوسي إلى حداثة الحوزة العلمية في النجف قائلاً:

"... إذا لا يكفي التقدير العلمي لفقيه في العادة، مهما بلغ لكي يُغلق على الفكر الفقهي للآخرين أبواب النمو والتفاعل مع آراء ذلك الفقيه، إنما يتحقق هذا عادةً، حين لا يكون هؤلاء في المستوى العلمي الذي يؤهلهم لهذا التفاعل، فيتحول التقدير إلى إيمان وتعبد"[21].

إذاً لم تكن حركة العلم في النجف تصاعديّة دائماً، بل كانت تعرف فترات ركود، كالفترة التي تلت وفاة الشيخ الطوسي (ره).

2. حوزة الحلّة:

يمكن عد مدرسة النجف امتداداً للمدرسة البغدادية، ومن هنا نجد أن وفاة الشيخ الطوسي (ره) الذي كان في بغداد في الأصل تركت أثراً سيئاً على الحركة العلمية في النجف. كما تقدم. ولعل غزو المغول للعالم الإسلامي كان واحداً من الأسباب التي أدت إلى هذا الركود. فكان لابد لتحريك عجلة العلم، من بروز فقيه يحمل من الأصالة والوزن العلمي ما يساعده في مهمته تلك، فكان أن انتقلت الحوزة العلمية من بغداد والنجف بعد الغزو المغولي إلى "الحلّة" التي وفر لها تدبير علمائها، ووجهائها نوعاً من الحماية، جر إليها العلماء من بغداد، وبرز فيها علماء أعلام، كابن إدريس الحلّي (543 . 598هـ)، والمحقق الحلّي (توفي 676هـ) وجمال الدين بن المطهر المعروف بالعلامة (توفي 726هـ). ومن أهم نتائج هذه الفترة كان كتاب "السرائر" تأليف ابن أدريس الذي ترك كبير الأثر في إحداث تلك الهزة التي كان يحتاجها الفقه الشيعي بعد الشيخ الطوسي ([22]) لاستمرار الحركة الاجتهادية.

3. حوزة كربلاء:

اتخذت كربلاء مقراً للحوزة العلمية في بعض المراحل التاريخية، (حوالي 1150هـ إلى 1212هـ) وبرز فيها عدد من العلماء كان لهم تأثيرهم على ضمور البحث في أصول الفقه في حوزة النجف؛ وذلك لأن الجو الغالب عليهم كان الاتجاه الأخباري، وقد قدّم أصحاب هذا الاتجاه للفقه خدمات حفظها التاريخ لهم، وبرز منهم الشيخ "يوسف البحراني" صاحب كتاب "الحدائق الناضرة". وكانت هذه الحوزة مسرحاً للصراع بين الاتجاهين الأصولي والأخباري، ومن ممثلي الاتجاه الأصولي المعاصرين للبحراني يمكن الإشارة إلى الشيخ "الوحيد البهبهاني".

4. حوزة قم المقدسة:

يرى بعض العلماء، ومنهم الإمام الخامنئي (حفظه المولى) أنّ حوزة قم المقدسة من أقدم الحوزات الشيعية؛ حيث تعود بداية اتخاذ هذه المدينة مركزاً علمياً على زمن الإمام الجواد (ع).

"تمثل الحوزة العلمية في قم التي نذكر أسمها اليوم بكل فخر. وإجلال ثمرة وحصيلة الحوزات العلمية، منذ نشوئها في أواخر القرن الهجري الثاني، أو على الأقل منذ أوائل القرن الثالث حينما ظهر مراكز دينية مثّلت نواة الحوزات العلمية، وقد كانت حوزة قم في عهد آخر ثلاثة من أئمتنا (الجواد والهادي والعسكري (ع) وهو ما عُرف بعهد القميين حوزة علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ كان يتم فيها التدريس، والتلمذ، والبحث، والتدوين، والنشر؛ ومن هنا يمكن عدّ حوزة قم، من أقدم حوزاتنا العلمية، وهو ما تدل عليه آثار العظماء من أمثال الأشعريين وآل بابويه وآخرين".

وتوجد شواهد تاريخية عدة تدل على تلك الحركة العلمية في مدينة قم منها ما ورد في ترجمة إبراهيم بن هاشم (القرن الثالث الهجري) حيث يقول النجاشي: "... وأصحابنا يقولون: أول من نشر حديث الكوفيين بقم هو [إبراهيم بن هاشم] [23]".

إلا أن هذه الحوزة عرفت فترات أوج وركود ثم تجددت معالمها، ونهضت بفضل مساعي الشيخ عبد الكريم الحائري (1276هـ . 1355هـ) الذي اعتنى بالحوزة، مدارسها، وطلابها عناية فائقة: "هبط الشيخ الحائري مدينة قم المشرفة في شهر رجب سنة 1304هـ، فنظم من كان فيها من طلاب العلم تنظيمًا عاليًا، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزاً علمياً يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه، ... وسن نظاماً للدراسة، وقرر تنظيماً للدراسة، وقر تنظيماً للدراسة، وقرر ترتيباً مقبولاً للإشراف على تعليم الطلاب، وإجراء الامتحان السنوي ..."[24].

ويضيف الإمام الخامنئي قائلاً:

"لكنّ هذه الحوزة لم تبق على ازدهارها وعظمتها، بل توزّع الثقل العلمي على مراكز أخرى في العالم في شرق العالم الإسلامي، وما وراء النهر [25]، وشرق خراسان، حيث كان أمثال الشيخ العياشي، والشيخ الكشي، والسمرقنديين، والنسائيين وغيرهم ممن عرفناهم محدثين رواة، ومؤلفين. كما تأسست

حوزة بغداد على يد الشيخ المفيد، ومن بعده السيد المرتضى، والشيخ الطوسي عليهم الرحمة والرضوان، مضافاً إلى حوزة النجف التي ولدت بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة حوالي العام 450 أو 448 أو 449م.

بعد ذلك انبثقت الحوزات العلمية الشيعية في "الشامات" [26]، و"طرابلس" و"حلب" ثم في مدينة "الحلة" [27]، التي أنجبت فقهاءً عظاماً خلّدهم التاريخ، وضمت آثارهم كتب الفقه الشيعي [28].

وبعد هذه المقدمة الوجيزة حول التعليم والتعلّم أهمية، وأساساً وتاريخاً في الوسط الإسلامي، ينبغي أن نشير إلى أن عملية التعليم والتعلّم تحتاج إلى دراسة موسوعة من منظور إسلامي، سيّما في الوسط الحوزوي، وبما أن فكر سماحة الإمام السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران في مجال التعليم والتربية الدينيتين يمثل رائداً لجهة وضوح الطرح وتماسك الأسس والمبنيات وتمييز الآفاق العلمية والعملية، ارتأينا أن تكون باكورة عملنا في مجال التعليم والتربية دراسة فكر سماحته.

وقد رتبنا أبحاث هذه الدراسة في مقدمة عامة، قيد الانتهاء وفصول ثلاثة، تناولنا في الفصل الأول المعالم العامة للحوزة العلمية ضمن أبحاث أربعة وهي: الفلسفة التربوية، استقلالية الحوزات العلمية، الفكر الاجتهادي، والمنهاج التربوي والتعليمي. وتطرقنا في الفصل الثاني إلى الفكر الإصلاحي في الحوزة العلمية مشيراً إلى بعض الجهود والمساعي مؤكداً على ملامحها الأساسية.

وفي الفصل الثالث تناولنا الحوزة العلمية النموذجية في فكر الإمام الخامنئي فشرحنا أولاً المبادئ العامة التي يتم التركيز عليها في توجه سماحته ومن ثم عرضنا المعالم العامة للحوزات العلمية من وجهة نظر السيد الخامنئي، برامجاً، كتباً ومقرراتاً دراسية، وعملية التقييم والاختبار. وذيلنا الدراسة بملحقات تساهم في إلقاء الضوء على كثير من المواضيع التي تم التطرق عليها من منظار الإمام الخامنئي.

ونأمل أن تساهم هذه الدراسة في إيجاد أرضية صالحة للعمل على صعيد التربية والتعليم في الحوزة العلمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مركز التخطيط والمناهج الدراسية

بيروت، في 20، ج1، 1423 هـ. ق الموافق: 2002/7/30م

[1] (الزمر / 9.

[2] (المجادلة / 11.

[3] (بحار الأنوار، ج1، ص168.

[4] (المرجع السابق، ج77، ص175.

[5] (كنز العمال، خ 28661.

[6] (المرجع السابق، خ 2871 5.

[7] (الشبيني، محمد: أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص149، نقلاً عن: نبيل، علي الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة العدد 276، ديسمبر، 2001م، ص291.

[8] (راجع: اليونسكو: التعليم ذلك الكنز المكنون، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، القاهرة، 1999م. ونيل، علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات (م.س.)، ص307.

[9] (أنظر: نبيل، علي: (م.س.)، ص337.

([10]) المرجع السابق، ص338.

([11]) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، 1 / 121.

([12]) راجع: الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3 / 1335.

([13]) المجلسي: بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج1، ص185..

([14]) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج2، ص350.

([15]) هذه الموارد الأربعة تم اقتباسها من: البهادلي (علي): الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية، ط1، بيروت، دار الزهراء، 1413هـ، 1993م، ص2726.

([16]) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 3 / 200.

([17]) د. معروف، علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، 4. نقلاً عن البهادلي: (م.س.)، ص35.

([18]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حوز)، 5 / 342.

([19]) الطوسي: أحد أكبر أعلام الطائفة الشيعية، لقب بشيخ الطائفة، ولد في طوس بإيران سنة 385هـ / 995م، أسس حوزة النجف الأشرف، وصنف في مجالات عدة من العلوم الإسلامية، من مؤلفاته الاستبصار والتهذيب، وهما من الكتب الأربعة الحديثية لدى الشيعة توفي ودفن في النجف سنة 460هـ / 1067م.

([20]) الإمام الخامنئي، من خطاب له في قم، مدرسة دار الشفاء بتاريخ: 12 رجب 1416هـ.

[21] (الصدر (محمد باقر): المعالم الجديدة للأصول، ط3، بيروت، دار التعارف، 1981م، ص67.

[22] (يرى الآصفي أن هذه المدرسة رغم ضخامة ما أنجزته، لم تستطيع أن تهز الاستنباط. أنظر مقدمته على شرح اللمعة، مج1، ص73. وقارن بكرجي، تاريخ الفقه والفقهاء (بالفارسية) ط1، طهران، سمت، 1375هـ، ص221؛ حيث يقول: لم يتحمل علماء هذه المرحلة (مدرسة الحلة) الركود المخيم على الفقه فنهض جماعة منهم كابن إدريس الحلبي وقاموا بإحياء الاجتهاد ومحو آثار التقليد، والحق أنهم استطاعوا القيام بهذا الدور على أكمل وجه.

[23] (أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، ط5، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ص1416هـ.

[24] (آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، مج3، ص1159.

[25] (أي ما وراء نهر جيحون بخراسان القديم، الأوسع جغرافياً من إقليم خراسان الفعلي في إيران.

[26] (أي بلاد الشام.

[27] (مدينة تقع جنوب بغداد عاصمة العراق.

[28] (الإمام السيد علي الخامنئي: مصدر سابق.

تتميّز الحوزة العلمية عن سائر المراكز العلمية والتعليمية بخصوصيات ومعالم راجعة إلى الكيان الحوزوي، ويمكن أن نلخصها ضمن العناوين الأربعة التالية:

المبحث الأول: الفلسفة التربوية للحوزة العلمية.

المبحث لثاني: استقلالية الحوزات العلمية.

المبحث الثالث: الفكر الاجتهادي في الحوزة العلمية.

المبحث الرابع: المنهاج التربوي والتعليمي.

المبحث الأول: الفلسفة التربوية للحوزة العلمية

تمهيد

فلسفة التربية تعني مجموع المبادئ والمفاهيم والقيم والميول التي تشكل معاً إطاراً موجهاً لسلوك الفرد، أو الأسرة، أو المؤسسة، في العمل، أو التربية، أو الحياة([1]).

وقد ركّز الإسلام على السلوك الهادف وعلى مجموعة من المبادئ والأسس التي يلزم وعيها في حياة المسلم، ولعلّ أهم تلك المبادئ التي تصوغ رؤية الإنسان المؤمن والمسؤول إلى الحياة وقضاياها، وتساهم في بناء الهوية الشخصية والاجتماعية وأساليب تعامل الفرد مع الآخرين هي مبدأ "التوحيد" و"الاستخلاف" و"التزكية" و"العبودية لله" و"الوسطية". وفيما يلي عرض موجز لهذه المبادئ:

1. مبدأ التوحيد:

يشكّل مبدأ التوحيد الإطار العام والرئيس لفكر المسلم، والمطلوب منه أن تكون حركته في مجالات مختلفة منسجمة مع هذا الإطار العام، فلا يخطو خطوة ولا يقدم على فعل إلا وهو مقتنع بانسجامه مع قناعاته التوحيدية.

فالتربية وفلسفتها في احتكاك دائم ومستمر مع النزعة التوحيدية للإنسان المؤمن، ولا يمكن تصوّر التربية من دون هذا الشعور والإحساس لدى المسلم. "فالفارق الأساسي الذي يميزنا عن بقية أصحاب الادعاءات في العالم يكمن في وجود هذا الهدف المقدس، فنحن نريد السعي في سبيل الله، ولأجل دين الله، ولنيل رضاه، ولإعلاء كلمته، ويجب أن يكون هذا هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ، أو التدريس، أو التصدي لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها"([2]).

2. الاستخلاف:

المبدأ الثاني الذي تعتمد عليه فلسفة التربية في الفكر الإسلامي والحوزة العلمية، هي مبدأ "الاستخلاف" الذي يرمي إلى اعتبار الإنسان خليفة لله . تعالى . في الأرض؛ وذلك بهدف تحقيق غايات أرادها الله للإنسان؛ أي "إعمار الأرض" و"بناء الذات".

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْمَلُونَ}(3).

قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}.

فبعدما يدعن المسلم بأنه "لا سيّد ولا مالك، ولا إله للكون والحياة إلا الله سبحانه وتعالى" انطلاقاً من مبدأ التوحيد، فإنه يرى: "أنّ دور الإنسان في ممارسة حياته إنّما هو دور الاستخلاف والاستئمان؛ وأيّ علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة، فهي في جوهرها ليست علاقة من مالك بمملوك وإنّما هي علاقة أمين بأمانه استؤمن عليها، وأيّ علاقة تنشأ بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المركز الاجتماعي لهذا أو لذاك، فهي علاقة استخلاف وتفاعل بقدر ما يكون هذا الإنسان أو ذاك مؤدياً لواجبه بهذه الخلافة، وليس علاقة سيادة، أو ألوهية، أو مالكية"(4).

وهذه النظرة إلى الإنسان وإلى العلاقات التي ينبغي أن تسود بين الناس بعضهم البعض الآخر ترسم صورة مختلفة لهوية شخصية إنسانية، وتشكل رافداً مهماً لعملية بناء الإنسان الداخلي وتربيته الاجتماعية.

3. النزكية:

إن المبدأ الثالث من المبادئ التي تبلور الفلسفة الإسلامية للتربية، وتشكّل الدعامة الأساسية للعمل التربوي هو مبدأ "النزكية" الذي يعني أنّه لا يمكن المعالجة الجذرية للتناقضات الاجتماعية (الاقتصادية والسياسية والثقافية و...)، إلّا من خلال معالجة التناقض الداخلي للإنسان ذلك التناقض الذي يرتدُّ

على خلق الإنسان من "التراب والروح"؛ حيث إن الأول يدعو الإنسان إلى التمسك بالأرض، والثاني يدعو على العروج نحو المثل الأعلى. إنّ هذا التناقض الذي يعيشه الإنسان في الداخل هو النبع لكل التناقضات الاجتماعية في الحياة. فأى حلّ يقتصر على حل التناقضات الخارجية لا يستطيع أن يعالج المشكلة من الأساس؛ حيث إنّ المشاكل الخارجية هي إفرازات للتناقض الداخلي في الإنسان([5]).

ويعالج الإسلام هذه المشكلة من خلال الاهتمام بالبعدين معاً؛ إذا ضم الدعوة إلى الجهاد الأصغر الدعوة إلى الجهاد الأكبر. ويمثّل الجهاد الأكبر القاعدة والركيزة بالنسبة إلى الجهاد الأصغر حيث ورد التركيز عليه في القرآن الكريم من خلال قوله . تعالى .: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}([6]).

ويشرح الإمام الخميني (قده) أهمية "التزكية" بجنب التعليم بالنسبة إلى الحوزويين قائلاً: "من العلماء من توجه إلى التحصيل العلمي، والانشغال بتحصيل المعارف، فحصلوا على علم لكنهم اكتفوا من حقائق المعارف ومقامات أهل الله بالمصطلحات والألفاظ وأشكالها الظاهرية.

وجمع مسكين آخر كبّلتهم السلاسل في علم الألفاظ والمصطلحات، وقنعوا من جميع المقامات بالكلام، من بين أولئك هناك من يعرفون أنفسهم، لكنهم اتخذوا هذه المصطلحات الخاوية وسيلة لترئس جمع من المساكين، ولتأمين معيشتهم، ويتصيدون القلوب الصافية لعباد الله بألفاظهم الخادعة وأقوالهم الملفتة، أولئك هم شياطين الإنس، ولا يقل ضررهم على عباد الله من ضرر إبليس اللعين.

لم يدرك أولئك التعساء أن قلوب عباد الله هي منازل الله، ولا يحق لأحد أن يتصرف بها، وأولئك هم غاصبو منازل الله، ومخربو الكعبة الحقيقية، ينحتون أصناماً، ويضعونها في قلوب عباد الله التي هي الكعبة بل هي البيت المعمور.

أولئك هم المرضى الذين أظهروا أنفسهم على أنهم أطباء... وعلامة هذه الطائفة هي أنهم أكثر رغبةً إلى إرشاد الأغنياء والزعماء من إرشاد الفقراء. وأكثر مريديهم من أصحاب الجاه والمال، وأنفسهم

يتزبون بزي الأغنياء وأصحاب الجاه والمال. وكلامهم معسول يغرُّ، ورغم أنهم ملوثون بآلاف ألوان القذارات الدنيوية، يبدون في عيون مريديهم أنهم المطهرون، ويعدونهم من أهل الله" ([7]).

من هنا، فإن المعيار الأساس في تقييم الناس بشكل عام، وعالم الدين بشكل خاص هو درجة التزامهم بالحق وارتباطهم وتقيدهم به وتهذيبهم للنفس وتزكيتهم لها: "لو أن أحداً أصبح عالماً مجتهداً وبلغ المراحل العليا، ولكنه ليس على استعداد لقبول الحق وتغلبت عليه الأهواء النفسية وأخفت رغبته الشخصية عنه الواضحات، فلا نفع في وجوده في العالم الإسلامي أبداً بل هو مضر ويكون أشد ضرراً من الجهال أحياناً... ([8]).

4. العبودية:

إنّ الهدف من وجود الإنسان ووجود المجتمعات . حسب القرآن الكريم . هو عبادة الله: {وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} ([9]).

ولكن العبادة بمفهومها القرآني الواسع ليست الصلاة، وصياماً، واعتكافاً، في المساجد وانزواءً عن الحياة وإنّما العبادة في مفهومها الواسع تشمل جميع الأعمال التي يقصد بها رضا الله، سواء كان كسباً، أم بيعاً، أم تجارة، أو صلاة، أم صياماً، أم تعليماً وتعلّماً، أم غير ذلك.

إنّ "العبودية" بمفهومها الإسلامي هو التحرّر من الأصنام التي تلبس حرية الإنسان سواء كانت تلك الأصنام أمة أو فئة أو فرداً أو الأهواء والشهوات الإنسانية. ففي حين إنّ "الحرية في الحضارات الغربية تبدأ من التحرر لتنتهي إلى ألوان من العبودية والأغلال، فإنّ الحرية الرحبية في الإسلام على العكس، فإنّها تبدأ م العبودية المخلصة له تعالى، لتنتهي إلى التحرّر من كل أشكال العبودية المهيمنة" ([10]). {تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله} ([11]).

إن العبودية بهذا المفهوم تضمن أخلاقية وإنسانية الأفكار والمشاريع والسلوك والممارسة في آن واحد، وعلى صعيد التعليم والتعلم: "ففي الحوزات العلمية، عندما يدخل الطالب للدراسة، فإنه . كما غيره . لا يتوقع أن يتخرج منها عالماً فقط. بل يتوقع أن تنمو بداخله وبشكل متكامل المعارف الدينية، والتعبّد بالأحكام الإسلامية، والأخلاقية والروحية المتعالية؛ بحيث يخرج من الحوزة عالماً واعياً متعبّداً ومتقيداً بالشرع" ([12]).

إنّ روح التعبّد في داخل المؤمن تجسيد عملي لمبدأ "التوحيد" المفهوم المركزي في تصوّر الإسلامي بشكل خاص وفي تصوّر الديني بشكل عام، فتجريد عملية التربية من هذا البعد يعني تجريدها عن جوهرها الديني والروحي.

5. الوسطية:

من أبرز الخصائص التي ركّز عليها الإسلام، ويعتمد عليها الفكر الإسلامي هو مبدأ الوسطية في كل مجالات الحياة وفي أمور الدين والدنيا. والوسطية في الجانب النفسي والداخلي تبرز من خلال بناء شخصية متوازنة ومعتدلة، قادرة على حلّ جميع التناقضات الداخلية في نفس الإنسان وتوصله إلى درجة الاعتدال التي تلازم كمال الإنسانية. كما أنّ الوسطية في الجانب الاجتماعي تعني الابتعاد عن الإفراط والتفريط في الاتجاه والسلوك وبناء علاقات إيجابية مع الآخرين ملؤها التواصل والتواد والإحسان في ظل أجواء ترعى فيها حقوق الجميع وتضان كراماتهم وقد ورد العديد من النصوص لتبيين هذا المبدأ والدعوة إلى التمسك به، مثل قوله . تعالى .: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس} ([13]).

وقوله . تعالى .: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا} ([14]). وقوله . تعالى .: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً} ([15]). وغيرها من الآيات والأحاديث.

إن هذه المبادئ تجسّد أهمّ الأسس التي تشكّل إطاراً موجهاً لسلوك المسلم الملتزم بالقيم الإيمانية والروحية، وتبني عليها فلسفة التربية في الحوزات العلمية.

فلا يمكن من هذا المنطق الحديث عن تربية منفصلة عن مبدأ من هذه المبادئ، بل ينبغي أن تسعى العملية التربوية إلى تجسيد أكبر قدر ممكن من نتائج ومعطيات المبادئ السابقة، وإلا فإن الجهد التربوي لم يعط ثماره.

المبحث الثاني: استقلال الحوزات العلمية

الاستقلال مصدر لفعل (استقل) الذي يأتي في دلائله اللغوية بمعنى التفرد.

الذي يراجع الحوزة العلمية منذ اللحظة الأولى لنشوءها إلى يومنا هذا، يدرك إن هذه الحوزة بقيت بجميع مكوناتها من فقيه ومرجع وطالب وأستاذة ومناهج دراسية، وأنظمة مالية مستقلة، عن السلطات السياسية المتعاقبة على الحكم بغض النظر عن طبيعة هذه الأنظمة من الناحية الشرعية فسواء كان النظام علمانياً أو كان غير علماني. فإن رسالة الحوزة الدينية تمنعها من عملية الاندماج في السلطة لأن هذا سيؤدي إلى مسلكية معينة تنسجم مع سياسات الحكم مما يؤدي إلى انحراف الحكم الشرعي عن مساره وتحويله إلى اتجاه يفقد الكثير من مخزونه الروحي والقيمي له.

والكلام هنا عن سيطرة الأجهزة الحاكمة على الحوزة العلمية لا في مساهمة الحوزة والعلماء في تغيير الأنظمة أو دعم بعض الأنظمة كنظام الجمهورية الإسلامية كما سيتبين معنا . فيما يأتي ..

أما من ناحية استقلالية المناهج فإن الحوزة العلمية في قم والنجف وغيرها من الحوزات لا تخضع لما يسمى عملية إقرار المنهج الدراسي المعمول به في كل دول العالم تقريباً. حيث إن الدول تصوغ المنهج بما ينسجم مع سياستها واتجاهاتها خصوصاً في التاريخ واللغة وغير ذلك.

والمنهج الدراسي في الحوزة يتم اختياره من قبل أساتذة متخصصين في المجالات الشرعية، نعم توجه في الحوزة كتب قد جرى العرف الحوزي على تداولها. والذي يفرض وجود مثل هذه الكتب هو المادة العلمية الرصينة من دن أي اعتبارات أخرى فإن هذا الميزان هو الذي يضمن استقرار مثل هذه الكتب ونفس هذا الميزان قد يؤدي إلى الإعراض عنها إلى كتب أخرى.

وفيما يلي نشير إلى بعض جواب الاستقلال في الحوزات العلمية:

1. الاستقلال في الهوية والموقف:

ولعل أهم جانب يجسّد الاستقلال الحقيقي للحوزات العلمية، هو في الجانب السياسي وموقف الحوزة من السلطات الحاكمة، حيث:

"إن موقف العلماء في العالم الإسلامي من السلطات الحاكمة، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون العالم تابعاً للسلطات بحيث يصبح جزءاً من ذلك النظام وهذا ما لم نر له أثراً في نفوسنا نحن الشيعة ولا في حوزاتنا العلمية الشيعية النيرة، فإن الحوزة العلمية مؤسسة علمية روحانية ولا ينبغي أن تكون مؤسسة من مؤسسات الدولة ولا يمكنها أن تكون كذلك، ولو كانت تلك الدولة هي الدولة الإسلامية دولة الإمام المهدي (عج) فإن الحوزة العلمية إذا أرادت أن تبقى وتنمو وترتفع وتحصل على الأهداف المرجوة منها فهي لا يمكنها أن تكون فرعاً من فروع الدولة وهذا ما نرفضه، هذا ما اعتقده أنا وأصّر عليه وإن كان يوجد هناك آراء أخرى معاكسة لذلك ولكنني أرفضها عن علم ومعرفة بها وأما الحوزات العلمية لدى الآخرين فإنها أحد فروع الدولة وعندهم إدارة تسمى إدارة الأوقاف أو إدارة الأمور الدينية تتولى إدارة بعض المؤسسات كالمساجد وأئمة الجمعة... فهي تعطي للعالم رسالة مكتوبة وتقول له اقرأها للناس أو يقال له: أعطِ هذه الدرس ومقابل ذلك يخصصون له راتباً، وهذا ما نرفضه.

الثاني: هو موقف اللامبالاة، وذلك كالموقف الذي كانت تتخذه الحوزة من النظام والحكومات الماضية (قبل الثورة) وهذا أحد المواقف أيضاً، ولكن ليس معنى هذا أن العلماء لم يتدخلوا في أي موضوع من المواضيع ولم يساعدوا في شيء فإنهم كانوا عندما يشخصون وجود ضرورة لتقديم يد العون يلبون ذلك، فإن المرحوم الشيخ "جعفر كاشف الغطاء" يحتمل أنه كتب كتابه "كشف الغطاء"، لأجل إدارة الحكم على زمن فتح علي شاه القاجاري كما يظهر ذلك من المقدمة...

الثالث: وهو أن يكون العلماء والحوزة العلمية سنداً قوياً للدولة بالدعم الحقيقي بكل معنى الكلمة أي يهيئ للنظام ما يحتاجه من البحوث والدراسات الفكرية والطاقات والكفاءات الإسلامية، ويقوم بتوجيه الناس دينياً فإن إدارة هذا الحكم تحتاج إلى صناعة الإنسان وتعليمه، والحوزة العلمية هي المصنع الذي يتولى هذه المسؤولية. وهي صناعة الإنسان. وهذا المصنع يجب أن يكون له قدرة إنتاجية عالية ودائمة، فينتج العلماء والكتّاب والمتدربين. والفكر الجديد والنظريات الحديثة، فإن الفكر الجديد لم ينضب كما ترون مثلاً كلما قرأنا القرآن نجد معاني جديدة" ([16]).

وكان لخلفية استقلال الحوزات العلمية الأثر الكبير في صنع قرارات مصيرية على مستوى الأمة، وكانت لهذه القراءات الآثار الكبيرة على مجمل الوضع في البلدان الإسلامية:

حيث "إن كل حركة إصلاحية وكل كفاح اجتماعي وسياسي وكل تحول عظيم حدث في إيران فإما أن قاده العلماء أو كانوا ضمن قادته وهذا ثابت في التاريخ رغم محاولات أعداء العلماء طوال (50 . 60) عاماً الماضية إنكار هذه الحقيقة.

فأول صوت للمشروطة خرج من حجرة كبار العلماء، كذلك في قضية "التبّاك" والامتيازات في عهد ناصر الدين شاه، وقضية تأمين النفط، وفي قضايا الكفاح ضد النظام البهلوي. إن مراجعنا وعلماءنا الذين يقفون على رأس مؤسسة اسمها (الدين) لا يمكنهم بلوغ الرئاسة إلا بالتقوى. قد يستطيع العدو مجارات مراجع الدين من الناحية العلمية أحياناً، لكن عجز الجميع من أن يخطئهم من ناحية التقوى، فالمرحوم آية الله البروجردي والمرحوم آية الله الحائري والآخرون كانوا علماء متقين، وأما غير المتقين من العلماء فقد فضحهم الله" ([17]).

2. الاستقلال الإداري للحوزة

إن الحوزة العلمية ومؤسساتها بقيت مستقلة عبر التاريخ عن مؤسسات الدولة وأضحت من الخصوصيات المهمة للحوزات العلمية الشيعية. ويؤكد على الاستقلال الإداري للحوزات العلمية السيد الخامنئي بقوله:

"إن الحوزة العلمية مؤسسة علمية وروحية. ولا ينبغي أن تتحول إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة كما لا يمكن ذلك، وإن كانت الدول هي دولة الجمهورية الإسلامية" ([18]).

ويركز على جملة من المعطيات والأدلة التفصيلية في تبنيه لاستقلال الحوزة من مؤسسات الدولة، ويشير في بعض كلماته إلى أن هذا التوجّه كان لديه قبل انتصار الثورة الإسلامية، قائلاً:

"إن هذا الإذعان (عدم اندماج الحوزة بمؤسسات الدولة) ليس حاصلًا لدي في الوقت الراهن. من السابق. قبل الثورة وفي الأغلب بعد الثورة. حينما كان يطرح موضوع أنه إن تم تشكيل الدولة الإسلامية هل ينبغي أن تبقى الحوزة مستقلة عنها أم لا. إنني كنت ممن يؤمن. نتيجة الأدلة القوية. أن الحوزة لا بد أن تبقى مستقلة. وهذا هو رأيي في الوقت الراهن ولا أجمال أحدًا في هذا الرأي..". ([19]).

وأما الدواعي والأسباب لاستقلال الحوزة فهي كثيرة منها:

1. عدم جواز ربط مستقبل الحوزة بمستقبل الحكومات:

"إنني أعتقد الآن أيضاً بأن كل من يسعى على دمج الحوزة بالدولة، فإنه يخون الحوزة العلمية. وذلك من أجل أننا لا ندعن ولا نضمن الاستمرارية المطمئنة للحكم في المستقبل" ([20]).

2. عدم قدرة الحوزة في تحقيق أهدافها في حال الاندماج:

"إذا أرادت الحوزة العلمية أن تبقى محفوظة وأن تستمر في تطورها ونموّها تحقّق ما ينتظر منها، لا تستطيع أن تكون جزءاً من الدولة" ([21]).

3. الاختلاف في الجذور بين التكوين الحوزوي وتاريخه والحكومات:

"نحن نريد أن نقول، إن الحوزة مؤسسة لها تاريخ أكثر من ألف سنة، ولها جذور محكمة، وقابلة للنمو والتطوير، فإن حوزة بهذه الدرجة من التأثير لا يمكن أن ترتبط إلاّ بنفسها، ول تم ربط الحوزة بغيرها فإن هذا يهدد مستقبل الحوزة وأمر خطير للغاية"([22]).

4. ضرورة الإدارة الذاتية للحوزات:

"لابد للحوزة أن تدار ذاتياً، وان تكون مستقلة، سواء لجهة المصادر المالية، أو لجهة الإدارة.."([23]).

كل ذلك يستدعي التعاون المثمر والبناء بين الحوزة العلمية ككيان مستقل له عمله التربوي والتعليمي والإرشادي، والحكومة التي تتعاطى الشأن العام بشكل مباشر. ولا يمكن دمج الحوزة العلمية بمؤسسات الدولة لأنّ ذلك سوف يفقد الحوزة تأثيرها ودورها التوجيهي والإرشادي والتربوي على مستوى الأمة ككل.

3. الاستقلال المالي للحوزة:

يعتبر استقلال الحوزة المالي نقطة عطف في تاريخ الحوزات العلمية، وسبباً من أسباب الاستمرار في الوجود والعطاء. ونظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسبة على مستقبل الحوزة ومصيرها وحفظ القيم والأصول الدينية، نجد الاهتمام الكبير بالموضوع من قبل المراجع الكبار، وذلك لإذعان الأعداء بأنّه:

"ما دام العلماء موجودين وما دامت المؤسسة الدينية المركزية موجودة ومعروفة لدى الناس وما دام الناس يصغون إليها، فلا يمكن محو الدين من حياة أو قلوب وأذهان الناس، خصوصاً إذا كانت هذه المؤسسة لا تعتمد في حياتها من الناحية المادية على أية سلطة حاكمة. على العكس من العلماء من إخواننا أهل السنّة في البلدان الإسلامية، حيث أنهم يرتزقون من السلطات الحاكمة، فمن الواضح أنه لا يمكنهم معارضة السلطات الحاكمة، كذا حال علماء المسيحية.

إنَّ خصوصية علماء الشيعة هي عدم اعتمادهم من الناحية المالية على السلطات الحاكمة، حيث أمكنهم هذا العامل من قول ما يشاؤون"([24]).

وتبرز أهمية "الاستقلال المالي للحوزة" في المواقف التاريخية لعلماء الحوزة الكبار حيث كانوا يؤكّدون على الاستقلال الكامل وعدم الارتباط سيّما مع الدول الكبرى والاستعمار فينقل السيد الخامنّي ما جرى بين المرجع الديني الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري ومسؤول بريطاني يتصل بموضوع استقلال الحوزة قائلاً:

"فقد قرأت في أحد الكتب التي كانت تتناول الأحداث السياسية في سنوات الاستعمار آنذاك أنه جاء موظف إنجليزي إلى الشيخ ليعطيه أموالاً طائلة من الموقوفات التي كانت في الهند. يقول ذلك الموظف الإنجليزي ذهبت إلى الشيخ وعندما عرضت عليه تلك الأموال الطائلة، نظر في كمه الأيسر ثم قال ليس من واجبي هذا. أتخطر أن الموظف الإنجليزي عبّر عن ذلك بكلمة قريبة من هذا المضمون هي لقد تصاغرت أمام عظمته. هنا نجد الشيخ يجيب بكلمة مقتضبة في مقابل هذا المبلغ المضخم من المال، ولا يزيد عليها بشيء، في حين كان بوسعه أن يأخذ هذه الأموال ويصرفها على العالم الإسلامي وعلى الحوزة العلمية، ومن يتبين عظمة هذا الرجل بما يمتلكه من رؤية عميقة وصائبة وشعور معنوي واستقامة روحية عالية.

فنحن الآن نستطيع أن ندرك الخطة التي كان الإنجليزي يحاولون تقريرها من خلال هذه الخطوة، ولكن من المستحيل لأحد في ذلك الزمان أن يعي المغزى من وراء هذا العمل، ومع ذلك نرى أن الشيخ قد وعى المسألة. وهذا ليس أمراً عادياً، بل هو في غاية الأهمية، كما بينا صمود ومقاومة الميرزا الشيرازي (الكبير) أمام الشركات الأجنبية في قضية (التنباك) بحيث أن العالم الإسلامي اليوم يعرف بأن هذه القضية هي أحد مفاخر علماء الدين والحوزات العلمية، كذلك ينبغي لنا أن نعرّف هذه الخصائص التي يمتاز بها الشيخ، حتى تتبين عظمة العلماء وعظمة الحوزات العلمية واستقلالية الحوزات العلمية"([25]).

المبحث الثالث: الفكر الاجتهادي في الحوزات العلمية

أ. الاجتهاد في اللغة:

الاجتهاد مأخوذ من الجهد وبذل الوسع إذ يقال اجتهد في الأمر: جدّ وبذل وسعه، وجهد يجهد: جد وتعب وجهد نفسه، وأجهدّها حملّها فوق طاقتها.

ب. الاجتهاد في القرآن:

قال تعالى: {الذي يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلاّ جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذابٌ أليم} [26].

وقد فسر الجهد كما في تفسير شبر بالطاقة. وهذه المادة "الاجتهاد" أينما وردت في القرآن الكريم يراد بها الجهد، وبذل الوسع.

ج. الاجتهاد في الإصلاح:

للاجتهاد تعريفات متعددة عند الفقهاء ومن أحبّ التوسع فليراجع المطولات. عرفه العلامة الحلي: "استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي" [27].

وعرفه البعض الآخر بأنه: "ملكة تحصيل الحجيج على الأحكام الشرعية، أو الوظائف العملية شرعية أو عقلية".

ولكن يبدو أن صدق كلمة الاجتهاد على هذا العمل الذي كان يقوم به الصحابة فيه نوع من المسامحة لأن هذا النظر والجهد في فهم الآيات الصحيحة والنصوص الدينية ليس اجتهداً بالمعنى المصطلح عليه وقد نشكك حتى في انطباق المفهوم اللغوي عليه، خصوصاً إذا نظرنا إلى عصر الصحابة وقربهم من النصّ وسليقتهم العربية الصحيحة وغير هذه الأمور من العوامل مما يعزز عدم تسمية ما يقوموا به اجتهداً.

ثم إنّ أهمّ العوامل التي تعزز الحاجة إلى عملية الاجتهاد عبارة عن الأمور التالية:

1. الابتعاد عن عصر النّص.

2. كثرة الآراء والاختلافات بين أبناء الأمة.

3. اختلاط الأعاجم بالعرب وتلاقح الثقافات فيما بينهم.

4. دخول اللحن على اللغة العربية مما يشكل صعوبة في فهم كثير من النصوص الدينية.

5. دخول الإسرائيليات على الحديث النبوي.

6. كثرة التساؤلات التي تولدت بعد غياب النّص خصوصاً في عصر التراجع.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنه يوجد تعاكس طردي بين هذه العوامل والحاجة إلى الاجتهاد أي كلما ارتفعت هذه العوامل كانت الحاجة إلى الاجتهاد أكثر والعكس صحيح.

الاجتهاد لدى الشيعة الإمامية:

إن مصطلح الاجتهاد مر بعصور مختلفة وتطوّر كثيراً حتى وصل إلى ما نحن عليه الآن. وإذا أرخنا لمصطلح الاجتهاد لدى الإمامية فإننا نرى أن أول شخص استعمل هذا المصطلح بمعناه المؤلف لدينا هو العلامة الحلي في القرن السابع هجري. والسبب في تأخير هذا المصطلح لدى الشيعة أنه كان يستعمل بمعنى الرأي في مقابل النّص، وهذا الأمر ترفضه مدرسة أهل البيت (ع). ولذلك كان يطلق على أصحاب الأئمة وخصوصاً أصحاب الإجماع كلمة "الفقهاء" لا "المجتهدين".

يصرّح الشيخ الطوسي (قده) في "العدة" قائلاً: "أما القياس والاجتهاد فعندنا أنهما ليسا بدليلين بل محظوران في الشريعة استعمالها" [28].

ومن هنا نرى وجود الاختلاف البين بين الاجتهاد في المصطلح الأول الذي يعني الذوق والرأي الشخصي وبين الاجتهاد بمعناه الحاضر الذي يعني بذل الجهد من قبل الفقيه في البحث عن الأدلة الكفيلة ببيان الحكم الشرعي تجاه مسألة من المسائل.

لذا يرى السيد الصدر أن "الفرق بين المعنيين جوهري للغاية، إذ كان للفقيه على أساس المصطلح الأول للاجتهاد أن يستنبط من تفكيره الشخصي وذوقه الخاص في حالة عدم توفر النص، فإذا قيل له: ما هو دليلك ومصدر حكمك هذا؟ استدل بالاجتهاد. وقال: الدليل وهو اجتهادي وتفكيري الخاص. أما المصطلح الجديد فهو لا يسمح للفقيه أن يسوّغ حكماً من الأحكام من مصادرها. فإذا قال الفقيه (هذا اجتهادي)، كان معناه أن هو ما استنبطه من المصادر والأدلة التي استنبط الحكم منها".

ولكن لا بد أن نفرق بين ظهور مصطلح الاجتهاد في القرن السابع على يد العلامة الحلي وبين ممارسة الاستنباط التي ظهرت في عصر الأئمة (ع)، وبارشاد وتوجيه منهم.

أي "كيفية استنباط الحكم الشرعي مباشرة من القرآن الكريم، أو التوسعة على الناس بالبراءة من التكليف المحتمل في ما لم يرد فيه بيان من الشارع، وفي جريان الاستصحاب في الموضوعات التي لها حالات سابقة متيقنة ويشك المكلف فيها بعد ذلك".

ولكن ممارسة عملية الاستنباط في عصر الأئمة (ع) ظلت محدودة وذلك لاعتقاد الشيعة بأن الأئمة (ع) هم الامتداد التشريعي والقيادي لرسالة النبي (ص) وكان الشيعة يأخذون الأجوبة إما بالمشافهة أو المكاتبة إلى أن وقعت الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عج) ومنذ ذك الحين أصبحت الحاجة أشد وأدعى لعملية الاجتهاد.

فقه أهل البيت (ع): التعريف، الاستثمار، التكميل:

إنّ الفقه الإسلامي يحتوي على مجموعة كاملة من الأبحاث التي تُسمّى في العرف العلمي المعاصر (علم الحقوق) الذي يمتلك مجالات متنوّعة تتكفّل بمجموعها تنسيق العلاقات بين أبناء المجتمع البشري، ويشتمل أيضاً على القوانين والأنظمة التي تتحكم بحياة الإنسان من الجوانب المختلفة.

وبالإضافة إلى هذا يتكفّل الفقه بتوضيح علاقة الإنسان مع ربّه أيضاً وذلك في إطار مجموعة من الأحكام القويمّة والمفصّلة والتي يعجز علم الحقوق عن تناولها.

وعلى هذا الأساس فإنّ الفقه الإسلامي المصطلح أوسع بكثير من علم الحقوق الوضعي المصطلح.

ومن بين مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة يتميز الفقه الإمامي باحتوائه على ذخائر ثمينة وبحر عميق من التحقيق والتفريع لا يمكن العثور على مثيل له في فقه المذاهب الإسلامية الأخرى.

إنّ تكريم هذه الثروة المعنوية تلقي ثلاث مسؤوليات رئيسية على عواتق جميع المختصّين، وكلّ من لهم علاقة بالفقه الإمامي.

وهذه المسؤوليات الثلاثة عبارة عن: التعريف، الاستثمار، والتكميل.

والمسؤوليتان الأوليتان ناظرتان للماضي والحاضر، والمسؤولية الثالثة ناظرة للمستقبل.

ومن المناسب التعرّض باختصار لكلّ واحدة من هذه الأمور الثلاثة:

1. التعريف: الفقه الشيعي مجهول وليس له مكانة . غالباً . عند غير المسلمين الذين يمتلكون معلومات عن الفقه الإسلامي . وفي الكتب الفقهية الاستدلالية التي تُؤلّف من قبل غير الشيعة لا تذكر آراء الفقه الشيعي أو يُغفل عنها أغلب الأحيان.

وفي دوائر المعارف العالمية وحتى الإسلامية تعتبر آراؤه في عداد الآراء الفقهية للمذاهب المهجورة، وهذا ظلم عظيم لعلم بهذا العمق والشمولية والتقدم؛ بحيث يمكن القول بأنَّ أيَّ من المذاهب الإسلامية لا يمتلك لوحده فقهاً بهذه الخصوصيات الثلاث.

2. الاستثمار: على مدى عدة قرون لم يُستثمر الفقه الأساس وبما فيه الفقه الشيعي إلا في الأحوال الشخصية للإنسان المسلم.

وبعد قيام الثورة الإسلامية أصبح الفقه الشيعي . دفعة واحدة . يحتك مع واقع التطبيق والعمل على صعيد المجتمع، وتبعاً لذلك ومسايرةً لموجة التوجّه الإسلامي لدى الشعوب الإسلامية أصبح فقه المذاهب الأخرى قريباً من أن يكون مصدراً لسنّ القوانين في بعض الدول الإسلامية.

إنّ مظاهر الحياة المتجدّدة يوماً بعد يوم والمعروضة على الفقه في مقام السؤال والاستفتاء، لا بدّ من الإجابة عليها وتوضيح أحكامها بشكل مقنع ومستدل.

بالإضافة إلى ذلك يمكن الاستفادة من الفقه المعاصر . الذي يتمتع بالدقّة والقوّة والتعقيد في الاستدلال . في تكميل وتطوير علم الحقوق وفتح طرق جديدة أمام محقّقي مراكز القانون في العالم.

3. التكميل: مع التقدّم العلمي والفني والصناعي الذي كان له التأثير الكبير على جميع شؤون حياة الإنسان والمساهمة في مضاعفة وتسارع الأحداث وبروز مظاهر جديدة للحياة، ازدادت . وبنفس النسبة . عدد الموضوعات التي لا بدّ للفقه أن يجيب عليها ويبيّن أحكامها.

ومما لا شكّ فيه إنّ منابع الفقهية وأسلوب الفقاهة تكفيان لمعرفة وفهم الحكم الشرعي لتلك الموضوعات. ولكن المعرفة الموضوعية لتلك الموضوعات والتحقيق والتدقيق اللازم من أجل تطبيقها على العناوين الكلّية في الفقه والاستدلال المناسب والأسلوب الأمثل لاستنباط أحكامها عمل شاق في وغاية الأهمية.

ولعلّ هناك بعض الموضوعات التي بُيِّنت أحكامها في السابق قد طرأ عليها من التغيير والتحوّل ما جعل من المتعذر تطبيق نفس الأبحاث السابقة عليها بسهولة في الوقت الحاضر.

ففي مثل هذه المواد لابدّ لفقهاء العصر وباعتماد على دقّة النظر والإحاطة العلمية والالتزام بأسلوب الفقهارة من جهة والحرية في التفكير والشجاعة العلمية من جهة أخرى من اكتشاف مفاهيم فقهية جديدة وعرض أحكام جديدة مستندة إلى الكتاب والسنة، وهذا هو معنى تكميل الفقه([29]).

المبحث الرابع: المنهاج التربوي والتعليمي للحوزة العلمية

(1) الأهداف التربوية والتعليمية

إن القرآن الكريم سعى من خلال آيات عديدة التركيز على عنصر الهدفية في حياة الإنسان ولم يغفل عن الأهداف التعليمية تحديداً من خلال قوله . تعالى .: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}{[30]}.

حيث اعتبر أن فهم الدين وإدراكه هو من أهداف العملية التعليمية (التفقه في الدين) ونتيجة اهتمام المسلمين الأوائل بعلوم الدين سيّما الكتاب والسنة فكان يرى بعض الأوائل أن العلم محصور بالروايات الواردة عن النبي (ص) حيث أصبح مصطلح "العلم" يساوي "الرواية" و"الحديث" ويقول في هذا المجال "الأوزاعي": "العلم ما جاء عن أصحاب محمد (ص) وما لم يجيء عن أصحاب محمد فليس بعلم"([31]). إلا أنه انطلاقاً مما ورد في الكتاب والسنة من الاهتمام بباقي المجالات والعلوم مثلما ورد عن الإمام علي (ع) قوله: "العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطلب للأبدان، والنحو للسان، والنجوم لمعرفة الزمان"([32]). توسع اهتمام المسلمين فوجهوا "أول الأمر نشاطهم العلمي نحو الفقه والحقوق الإسلامية، غير أنّهم لم يلبثوا حتى اجتازوا حدود جزيرة العرب أن اجتازوا أيضاً باندفاعهم العلمي حدود الفقه والحقوق، وتوجهوا بكل ما لديهم من شغف وغرام بالعلم بالإحاطة ببقية العلوم الناضرة في السماوات والأرض وما فيها عملاً بقوله . سبحانه وتعالى .: {قل أنظروا ماذا في السموات والأرض}{[33]}،([34]).

ويمكن أن نعتبر أن من أهم الأهداف التعليمية من منظور إسلامي هو:

1. التعرف على الله وصفاته بهدف العبادة والطاعة.
2. التعرف على الرسالة والرسول للسير والسلوك.
3. التعرف على الشريعة للعمل والإقتداء.
4. التعرف على الكون والحياة وسننها من أجل الأعمار والبناء.
5. التعرف على النفس وقدراتها وحاجاتها للتطوير والتكيف والكمال. وتدخل باقي الأهداف ضمن هذه الأهداف الخمسة اولا تعتبر من الأهداف الأساسية. وقد اعتبر بعض الباحثين([35]) الأهداف التربوية في الثقافة الإسلامية تسعة وهي:

1. عبادة الله الواحد الأحد

2. تهذيب الأخلاق وضبط السلوك

3. التفكير والبحث

4. إتقان العمل والإخلاص فيه

5. التوحد مع الجماعة

6. الصحة والاعتدال في الجسم

7. الاستمتاع بزينة الله

8. الجهاد في سبيل الله

9. احترام عقائد المخالفين.

كما اعتبر آخرون([36]) أن تلك الأهداف تشمل الجانب الديني والاجتماعي، والعقلي والحسي. أو أن مبادئ التربية الإسلامية ستة في مجالاتها الخلقية والتدريبية والتثقيفية والمهنية والعلمية وغيرها.

(2) محتوى التعليم

تمهيد

إن محتوى التعليم بالنسبة إلى العملية التربوية والتعليمية يعتبر بمثابة القلب بالنسبة إلى الإنسان، ومن هنا يأتي الاهتمام الكبير للحوزة العلمية بما ينبغي أن يتعلمه طالب العلوم الدينية، وللفلسفة التربوية الدور الأول في تحديد محتوى التعليم ومناهجه. ونظراً إلى الشمولية التي يطرحها القرآن الكريم لموضوع التعلم من خلال قوله . تعالى .: {إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}{[37]}، وغيرها من الآيات والروايات، يفهم المعنى الواسع للعلم والتعلم في المفهوم الإسلامي.

ثم أن أول تقسيم للعلوم في دائرة الإسلام نراه من خلال الإمام علي بن أبي طالب (ع) حيث قسم العلوم إلى أربعة: "الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للسان، والنجوم لمعرفة الزمان"([38]).

كما أن "الكندي" (أبي إسحاق) من أوائل المفكرين المسلمين الذي وضع التخطيط العام لتصنيف العلوم وقسمه قسمين أساسيين:

1. علوم فلسفية.

2. علوم دينية.

والفلسفة تشمل . حسب الكندي . الرياضيات والمنطق والطبيعات والميتافيزيقا والأخلاق والسياسة. والعلوم الدينية عبارة عن أصول الدين والعقائد وعلم التوحيد والرد على المبتدعة والمخالفين([39]).

ومن بعده قسّم "الخوارزمي" العلوم إلى قسمين([40]):

1. شرعية: وتشمل . حسب الخوارزمي . الفقه والكلام والكتابة والشعر والأخبار.

2. فلسفية (علوم اليونان): وهي الفلسفة والمنطق والطب والحساب والهندسة والفلك والموسيقى والحيل والكيمياء.

وأورد "الفارابي" في إحصاء العلوم أقساماً خمسة([41]) للعلوم وهي:

1. علوم اللسان وفروعه:

وتشمل اللغة، والنحو، والصرف، والشعر والقراءة.

2. المنطق.

3. الرياضيات.

4. الطبيعيات وما بعد الطبيعيات (العلوم الطبيعية والإلهيات).

5. العلم المدني، والفقه وعلم الكلام.

كما صنّف "أخوان الصفا" في رسائلهم([42]) العلوم إلى ثلاثة:

1. العلوم الرياضية (علوم المعاش):

وتشمل القراءة والكتابة وعلم النحو واللغة وعلم الحساب والمعاملات وعلم الشعر والعروض، وعلم الرجز والفأل، وعلم الحرف والصنائع، وعلم البيع والشراء والتجارة، وعلم الحرث والنسل، وعلم السّير والأخبار.

2. العلوم الشرعية:

وتشمل علوم التنزيل والتأويل والروايات والأخبار، والفقه والسنن والأحكام والمواعظ والتصوف، وعلم تأويل الرؤيا.

3. العلوم الفلسفية:

وهي عبارة عن الرياضيات، والمنطقيات، والطبيعات والإلهيات.

وكما يظهر من هذه التقسيمات فإن محتوى التعليم كان . في السابق . يتناول كل حقول المعرفة البشرية الدينية وغير الدينية، وكان لعلماء الأوائل التوجّه الموسوعي والشمولي نحو العملية التعليمية على أن أصاب الضعف بنية التعليم في العالم الإسلامي لسوء إدارة الحكّام والسياسات الخاطئة التي سادت في العالم الإسلامي، كما أن النهضة التي شهدتها الغرب في مجال العملية التعليمية واتساع مجالات التعليم والحقول العلمية والدراسات كل هذه العوامل وغيرها أدّى إلى تقلّص مجالات التعليم في المدارس الإسلامية، فاهتم العلماء المسلمون بدائرة الشريعة وبعض حقول المعرفة الموروثة من السابقين.

من هنا، اقتصر المتأخرون بالاهتمام بالعلوم الإسلامية المحضة، وشهدت مسيرة التعليم في هذه المراحل الضعف، والتقليد والجمود والانحطاط تارةً، والاجتهاد والنشاط والابداع تارة أخرى، فكانت العملية التعليمية مثلها مثل أي نشاط بشكل آخر متأثرة بالأجواء والظروف التي رافقت العملية.

كما أنّ الحوزات الدينية الشيعية كسائر المراكز التعليمية الدينية لم تكن بمنأى عن هذه الأجواء وتأثيراتها الضاغطة فعانت الكثير من المشاكل والصعاب للصمود أمام تيار التغريب والتشريق من جهة وهيمنة سلاطين وحكام الجور من جهة أخرى. إضافة إلى شحّ الموارد والإمكانيات نتيجة الضغوطات التي كانت تمارسها السلطات.

محتوى التعليم ومراحله المختلفة

يبدو أن الاهتمام الموسوعي ساد في المدارس والمراكز التعليمية الشيعية بأشكال مختلفة إلى عصر الصفويين، حيث إن عصر الخواجة نصير الدين الطوسي (توفي سنة 672هـ) وتلميذه العلامة الحلي (توفي سنة 736هـ) إلى عصر الشيخ بهاء الدين العاملي (توفي 1030هـ) كان عصر سيادة الاتجاه الموسوعي، والشمولي في عملية التعليم، وبعد ذلك فإن الظروف الداخلية والخارجية، أي حركة الإخباريين من الداخل وحركة التغريب من الخارج ساهمت في تقليص الاهتمامات خارج دائرة العلوم الشرعية فكان محور الدروس في الحوزات الدينية في العراق وإيران وغيرهما من البلدان الإسلامية اللغة العربية وآدابها، والفقه وأصول، وفي حين وآخر الاهتمام ببعض العلوم العقلية (المنطق والفلسفة وعلم الكلام).

[1] راجع حمدان (د. محمد زياد): أساسيات المنهج الدراسي، دار التربية الحديثة، ص 6.

[2] من كلام للسيد الخامنئي، بمناسبة بدء العام الدراسي 8 جمادي الثانية، طهران.

[3] البقرة / 30.

[4] الصدر (السيد محمد باقر): المدرسة القرآنية، دار الكتاب الإيراني، طهران، 1984م، ص 116.

([5]) راجع، الصدر: (م.س.).

([6]) سورة الجمعة / 2.

([7]) الإمام الخميني (قده): آداب الصلاة.

([8]) الإمام الخامنئي، بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة، 4 ربيع الثاني 1415هـ.

([9]) الذاريات / 56 . 57.

([10]) الصدر (السيد محمد باقر): الحرية في القرآن، بحث منشّر ضمن "بحوث إسلامية"، دار الزهراء بيروت، ط3، 1403هـ. 1983م.

([11]) آل عمران / 64.

([12]) من كلام للإمام الخامنئي ألقى في 17/8/1366هـ.ش.

([13]) البقرة / 143.

([14]) القصص / 77.

([15]) الفرقان / 67.

([16]) من خطاب لسماحته أثناء زيارته إلى مدينة قم المقدسة، تاريخ 15 شعبان 1421هـ.ق.

([17]) من خطاب لسماحته في يوم مقارعة الاستكبار العالمي في طهران، تاريخ 7 جمادى الثانية 1416هـ.ق.

[18] من خطاب له في لقاء علماء ومدرسين الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1370/11/30 هـ.ش.

[19] من خطاب له في لقاء الفضلاء والمميزين من طلاب الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1374/9/14 هـ.ش

[20] من خطاب له في لقاء العلماء والمدرسين من الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1374/9/14 هـ.ش

[21] من خطاب له قبل إلقاء محاضراته في الفقه (بحث خارج)، 1371/6/29 هـ.ش

[22] المصدر السابق.

[23] من كلام له في يوم مقارعة الاستكبار العالمي، 7 جمادى الثانية، 1416 هـ، طهران بحضور جمع من طلبة المدارس والجامعات.

[24] من كلام لسماحته في يوم مقارعة الاستكبار العالمي، 7 جمادى الثانية، 1416 هـ، طهران، في جمع من طلبة المدارس والجامعات.

[25] من خطاب سماحته، في إحياء الذكرى المئوية لولادة الشيخ الأنصاري، 8 رجب، 1415 هـ / طهران.

[26] التوبة / 79.

[27] العلامة الحلي نهاية الأحكام، نقلاً عن

[28] الطوسي: عدة الأصول، نقلاً عن: الصدر (السيد محمد باقر): المعالم الجديدة للأصول، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثالثة، 1401 هـ. 1981 م. ص 2625.

[29] الإمام السيد علي الخامنئي، في المؤتمر العالمي لدائرة معارف الفقه الإسلامي، 12 شعبان 1414 طهران.

[30] التوبة / 122.

[31] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج1، ص346.

[32] بحار الأنوار، ج1، ص218. ميزان الحكمة، ج6، ص527، ح13822.

[33] يونس / 101.

[34] الدواليبي (محمد معروف): موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1980، ص27.

[35] حسان (د.حسان محمد) الأهداف التربوية، في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتونس، 7891، ص887.

[36] راجع: طوطح (خليل): التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، 1935، ص104.102.

فهيم (أسماء): مبادئ التربية الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947، ص75.70.

السيد سلطان (محمود): مفاهيم تربوية في الإسلام، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، 1977، ص88.

[37] البقرة / 164.

[38] (بحار الأنوار (م.س.) ص218.

[39] (راجع: الأهواني (أحمد فؤاد): الكندي، فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب (26). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964، ص98.

[40] (راجع: الخوارزمي (محمد بن أحمد): مفاتيح العلوم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981.

[41] (راجع: الفارابي (أبي نصر): إحصاء العلوم، القاهرة، 1931.

[42] (راجع: أخوان الصفا: رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، ج1، مكتب الإعلامي الإسلامي، قم، 1405هـ.

لقد ميز أرسطو بين عالمين: العالم السماوي وهو الثابت الذي لا يجتاحه الفساد والتغير، والعالم الأرضي وهو "عالم الكون والفساد" كما يسميه، وبغض النظر عن صحة هذا التقسيم أو فساده، فإننا نقبل الجزء الأخير منه وهو أن عالم المادة والإنسان، عرضة للتغير والفساد، فما يكون صالحاً لزمان لا يكون صالحاً لغيره وهكذا، وقد قال الإمام علي (ع): "لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" [1].

والحوزة العلمية لا تخرج عن هذه السنة الإلهية التي أودعها الله في الكون. ومن هنا تولدت فكرة الحديث عن إصلاح الحوزة العلمية، والتخطيط لهذا الإصلاح. وتتوقف الخطوة الأولى في رحلة الإصلاح على الإحساس بالمشكلة أولاً بعد ذلك محاولة معالجتها؛ وهذا ما شعر به جمع من أعظم الحوزة العملية بدءاً من الشيخ الطوسي الذي يقول مبرراً تأليفه لكتاب المبسوط بالحاجة إليه، والإحساس بنوع من التحدي الفكري من قبل المذاهب الإسلامية الأخرى [2]، وعلى الخط عينه أدرك المعاصرون من علمائنا ضرورة إصلاح الحوزة، ويمكن الإشارة هنا إلى الإمام الخامنئي حيث

يقول: "ونحن اليوم بصفتنا أعضاء في هذه الحوزة العلمية علينا أن نفكر لإحداث نهضة في منهجنا العلمي وفي علومنا الإسلامية..." [3].

إذاً، لا بد من الإصلاح في الحوزة، كما في غيرها من المؤسسات التعليمية والاجتماعية والسؤال الذي يواجه هذه الفكرة هو لماذا الإصلاح؟ وما هي دواعيه وأأسسه؟

تمهيد: دواعي الإصلاح

يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي التي تجعل من التفكير في الإصلاح والتخطيط له ضرورة لا مفر منها وأهم هذه الأمور:

أ. عنصر الزمان والمكان:

بما أن الإنسان يعيش في الزمان، فلا بد أنه سوف يخضع لمجموعة من المتغيرات التي تحصل في هذا الزمان فتؤثر على طبيعة علاقات أفراد البشر فيما بينهم، وعلاقتهم بالمحيط الذي يعيشون فيه، سواء في ذلك بيئتهم الثقافية أم الاقتصادية أم غير ذلك.

"الزمان والمكان عنصران موجهان لعملية الاستنباط فالمسألة التي كان لها حكم ما سابقاً، ربما يكون لها حكم جديد على ضوء العلاقات الجديدة الطارئة على المجتمع والسياسة والاقتصاد" [4].

والوظيفة الأساس التي تتولى الحوزة القيام بها هي تربية مجموعة من العلماء لأداء وظائف محددة جرت الإشارة إليها في مورد سابق، فلا داعي لإعادة الكلام في ذلك. والمهم في هذا المجال هو تبين آلية تأثير الزمان والمكان، حيث إن ذلك يتم عبر مجموعة من المباحث كما يلي:

المبحث الأول: تغير العلاقات الاجتماعية

تتعرض العلاقات الاجتماعية بين فترة وأخرى لشيء من التغير لا يمكن معه للحوزة أن تقف موقف المتفرج منه بل لا بد لها أن تراقب هذا التغير، فإذا وجدته لا يتنافى مع الضوابط الإسلامية، فلا بد من إعادة صياغة المناهج الحوزوية على ضوء هذا التغير. وأمثلة ذلك كثيرة نشير إلى بعض منها:

كانت الجرائم التي ترتكب بسيطة واضحة، بحيث يمكن لقاض واحد الحكم فيها بعد ثبوت الجرم عنده بالأدلة المعتمدة في إثبات الجرائم، ولكن الأمر اختلف في هذا العصر وتعدد؛ بحيث لا يمكن تجريم شخص والحكم عليه بتلك البساطة، بل لا بد من فسح المجال أمام المحكوم للاعتراض على الحكم الصادر عن القاضي الأول واستئناف الدعوى، ومن هنا يجد الفقيه نفسه مضطراً إلى إعادة النظر في الأدلة والتأمل فيها ليتوصل إلى حكم جديد، أو ليقول إن هذا الحكم الفلاني وهو عدم جواز الاستئناف (أو ما يعبر عنه في الفقه بحرمة نقض حكم الحاكم) ضرورة فقهية ثابتة لا يمكن التخلي عنها [5].

وهناك مثال آخر هو الحكم بحرمة الاحتكار، حيث يحصر الفقهاء حرمة الاحتكار بمجموعة من المواد منها التمر الذي لا يمثل حاجة ضرورية للناس في هذا العصر، بينما استجدت بعض المواد التي يصعب الاستغناء عنها ولم تذكر في ما يحرم احتكاره، كوسائل الاتصال مثلاً. ألا تدعو هذه الإشكالية الفقيه إلى إعادة النظر في مناهج الاستنباط وإصلاحها لتدارك هذا الخلل وإصلاحه، أو للإصرار على الحكم المذكور بحجة أنه هو الحق والصواب. فليس ندعو إلى تغيير النتائج. دائماً هذان مثالان من أمثلة متعددة يمكن الإشارة إليها.

وهذه الأمور وغيرها تدعو الحوزة إلى إعادة النظر في الأدلة ومقارنة النتائج "لا حظوا حجم البحوث التي قدمت في القانون المدني، والجزائي، غير ذلك من فروع القانون، في الغرب وفي العالم الإسلامي غير الشيعي، والإنصاف يقتضي الاعتراف بأننا متأخرون جداً في هذا المجال" [6].

المبحث الثاني: التحديات الجديدة

يجب على المسلمين أن لا يشعروا أنهم وحدهم في ميدان الفكر والثقافة، بل كل الناس تفكر وكل يجر النار إلى قرصه وهذا التفكير يولد تحديات جديدة تواجه الإسلام .. لقد أغرقت التيارات الفقهية، والفلسفية، والكلامية والقانونية، الدنيا، وعندما ننظر إلى أنفسنا نرى أننا متأخرون عن زماننا كثيراً"([7]).

إذا، لا يمكن الاكتفاء بدراسة الشبهات السبابة وطرحها ومناقشتها، فربما لا نجد أحداً يؤمن بها في هذه الأيام بل لابد من رصد آخر ما يطرح في العلوم فإن فيها الكثير مما يتعارض مع فكرنا وقيمنا، ولكن في الوقت عينه فيها الكثير مما ينفعنا، ويخدم فكرنا وقيمنا أيضاً، وإلى الأمرين يشير الإمام الخامني فإنه ينتقد تأخر الحوزة في التعرف على ماركس حيث إننا عرفناه بعد مائة سنة من وفاته ثم بدأنا بالرد عليه بعد انتشار أفكاره([8]). ومن جهة أخرى يحث على الإطلاع على علوم الآخرين للاستفادة منها: " .. ولو عثرنا في تلك الفلسفات أحياناً على نقطة إيجابية يجب الاستفادة منها وبهذه الصورة تتطور الفلسفة.."([9]).

ب . المشاكل المنهجية:

الوظيفة الأساس للحوزة هي تربية الطلاب كما تقدم في غير مورد، وهذه التربية تحتاج إلى منهاج دراسي يؤدي الغرض المرجو منه، ومن الواضح أن أكثر الكتب التي تدرس اليوم في الحوزة العلمية لم توضع للتدريس؛ وفرق كبير بين كتاب وضع للتدريس وروعي فيه نقل الطالب من مرحلة علمية إلى مرحلة أعلى وبين كتاب دونه مؤلفه ليكون خلاصة لأفكاره العلمية التي توصل إليها بعد رحلة علمية طويلة، فإنّ هذا النوع من الكتب أُلّف للعلماء لا للطلاب. وهذه المشكلة تعتبر ثغرة في المناهج التدريسية المعتمدة في الحوزات العلمية ولقد بدأت عملية الإصلاح في هذا المجال ومنذ عصر مبكر إلا أنها واجهت بعض العوائق وشيئاً من عدم الاعتراف بها، وتمكن الإشارة إلى محاولات الشيخ محمد رضا المظفر، ومحاولة السيد محمد باقر الصدر يقول الإمام الخامني: "الكتب الدراسية تشكل مشكلة أخرى من مشاكل الحوزة العلمية.. فلتشكل لجان لتأليف وإعداد الكتب الدراسية، أم أنه لابد أن ندرس المطول والمعالم والقوانين .. وشرح اللمعة إلى الأبد؟"([10]).

وتجدر الإشارة إلى ناحية أخرى على مستوى المنهج، ألا وهي التغيير الذي يطرأ على مناهج البحث في العلوم الأخرى وهذا يدعو إلى الاستفادة من هذا التطور وتعديل مناهجنا على ضوءه فكم تطورت العلوم على مستوى أبحاث الدلالة واللغة، وعلى مستوى البحث التاريخي ونقد النصوص تاريخياً ودلالياً، وهذا سوف يترك أثره على العلوم الإسلامية شئنا أم أبينا فلا بد لنا إذن من الاستفادة من هذا التطور: "الفقاهة أي منهج الاستنباط يحتاج إلى تطوير أيضاً، فإنه ليس كاملاً، بل متكامل.. لاحظوا فتاوي الشيخ الطوسي رغم عظمتها وجلالة قدرها هل يوجد الآن مجتهد مستعد يقبل بالاستنباط والاجتهاد على طريقه الشيخ وبنفس مستواه؟" ([11]).

ج. تبدل الثقافات:

تمثل الثقافة الخلفية الداعمة لكل مفردات الفكر ومناهجه ومفاهيمه ولاشك أن هذه الثقافة تختلف وتبديل من فترة لأخرى؛ لذا فإننا نحتاج إلى صياغة مفاهيم جديدة تنسجم مع التبدل الحاصل على المستوى الثقافي وإلا كانت هذه المفاهيم قائمة في الفراغ دون أي أساس تعتمد عليه: "إذا فالمفاهيم تنسخ، وهذا يحصل في جميع العلوم، ولأجل سد الفراغ الناجم عن نسخ بعض والمباحث المنسوخة لابد من طرح مباحث جديدة" ([12]).

ضوابط الإصلاح ومرتكزاته:

كل ما تقدم يكشف عن ضرورة الإصلاح، وتوفر الدواعي للقيام بهذه المهمة الواجبة، ولكن ما هي المرتكزات التي لابد أن تستند إليها العملية الإصلاحية؟ وهذا التساؤل مبرر من الناحية المنهجية؛ إذ إن الإصلاح العشوائي الذي لا يركز إلى أسس واضحة لا يمكن أن يسمى إصلاحاً بل هو تخريب للقديم وانتقال إلى الفراغ، ولعل الخوف من التجديد عند الكثيرين نابع من هذا القلق، حيث إن الكثيرين يرون في القديم صفاته الإيجابية: "ليس صحيحاً استبدال الكتب المتعارفة في الحوزة بكتب أخرى تشرح الموضوعات باختصار وبأسلوب سهل، كأن يُستبدل كتاب المكاسب بكتاب آخر. ولا أتصور وجود كتاب مناسب يحل محله. ولذلك سوف نضطر إلى طرح كتاب سهل يؤدي في النهاية إلى ضعف علمي عند الطلاب في مرحلة البحث الخارج (أبحاث الدراسات العليا)" ([13]).

وسوف نحاول في ما يأتي طرح بعض الضوابط التي ينبغي أن تحكم عملية الإصلاح الحوزوي.

أولاً: أهداف الحوزة:

يجب أن تكون عملية الإصلاح محكومة لأهداف الحوزة، وقد مر الكلام عن ذلك ونعيد هنا باختصار فنقول: إن المناهج الدراسية المقررة والمعتمدة في الحوزة مدونة في الغالب وعلى مستوى القاعدة العامة . بغرض الوصول إلى الاجتهاد في الفقه والأصول، ويظهر هذا بأدنى تأمل في حجم المادة الأصولية والفقهية التي تقدم للطالب بشكل رسمي؛ هذا ولكن للحوزة أهدافاً أخرى غير الفقه والأصول، وهذا يقتضي أن يتم تعديل الميزان العلمي لصالح الأهداف الأخرى. ولعله يمكن القول بشيء من الإجمال: إن هدف الحوزة والدراسة الحوزوية هو الدفاع عن الدين؛ والجانب الفقهي لا يمثل سوى أحد الثغور التي يحاول الآخرون النفوذ من خلالها ليس إلا، ويشير الإمام الخامني على هذا البعد بقوله: "... فالشخص الذي يضطلع بمهمة تبليغ الدين وتبيين رؤاه أو بتعبير آخر الدفاع عنه، يجب أن يكون على علم بالتيارات الفكرية وبالآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم؛ وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلمية" ([14]).

ثانياً: التكميل لا الانقطاع عن التراث:

لا يعني التجديد والإصلاح الانقطاع عن التراث، والسنن الحوزوية الحسنة، بل المقصود منه هو المحافظة على تراث الحوزة واستكمال النواقص، فهناك الكثير من السنن والعادات الحسنة على مستوى الدراسة الحوزوية منها: العلاقة مع الأستاذ، والمباحثة، والإخلاص للدرس وعدم الالتفات للشهادة، والحرية في اختيار المدرّس، وغير ذلك ([15]). فهذه العادات الحسنة يجب المحافظة عليها والدفاع عنها واستحضار غيرها من الأمور التي تؤدي إلى تطوير العمل وتحسينه. وضمن إطار المحافظة على الإصالة وعدم الانقطاع نجد الإمام الخامني يؤكد على ذلك حتى على مستوى المصطلحات . لما للمصطلح من إحياءات . فيقول: "إذاً، عالم اليوم يتطلب وجود الإسلام الحقيقي، ولا بد لنا في سبيل تبيين أحكام الإسلام للناس . من استخدام نفس المصطلحات الإسلامية وأن لا نستخدم مصطلحات الثقافة الغربية التي لا تعبر عن المفاهيم الإسلامية بشكل دقيق" ([16]).

ثالثاً: الاستفادة من تجارب الآخرين:

إننا نعيش في عالم متعدد الاتجاهات والتجارب على مختلف الصعد ولذلك لا يمكن تجاهل هذه التجارب، والبدء في عملية الإصلاح من حيث بدأ الآخرون، بل لا بد من الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم سواء كانوا من المسلمين أم من غيرهم يقول الإمام الخامنئي في مجال الاستفادة من غير المسلمين: "نحن لا نريد التعامل مع الثقافة الغربية تعاملاً يشوبه التعصب. وإنما نؤمن بتلاقح الثقافات ونرى أن بإمكان الثقافات أن تستفيد من بعضها... حتى أن الإسلام في الصدر الأول اقتبس من ثقافة الروم ومن الثقافة الفارسية.." [17].

وأما حسن أو لزوم الاستفادة من تجارب الماضين من علمائنا فهو غني عن الإثبات، ولكن يحذر الإمام الخامنئي في الموردين من مشكلتين: في الحالة الأولى تؤدي الاستفادة والانفتاح على الثقافة الغربية إلى الانبهار بمنتجاتها، وفي الحالة الثانية يؤدي الانفتاح على الماضين إلى نوع من الجمود، فلا بد من الحذر في كلا الموردين يقول سماحته: "إن ما أحذر منه هو التقهقر والاستسلام أمام الثقافة الغربية" [18].

ومن جهة ثانية يقول: "فلتشكل هيئات تأليفية لإعداد كتب علمية جديدة؛ أم أنه لابد أن ندرس المطول والمعالم والقوانين وشرح اللمعة إلى الأبد؟" [19].

المبحث الثالث: الفكر الإصلاحي في الحوزات العلمية

لم تكن الدعوة التي أطلقها الإمام الخامنئي إلى إصلاح نظام الحوزة العلمية على مختلف الصعد دعوة يتيمة ومنطلقة من الفراغ، بل هي تحمل مخزوناً رائعاً من تجارب سابقة عليها نجحت في موارد، وأخفقت في أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الإصلاح يحمل مبرراته في نفسه، ولا يحتاج لتبريره إلى أن يكون مسبوقاً، ولكن مع ذلك سوف نحاول استعراض عدد من التجارب الإصلاحية للتأمل فيها والمقارنة بينها.

بواكير الإصلاح:

لا يمكن تحديد بداية دقيقة للشروع في إصلاح الحوزة؛ وذلك لأنه يمكن أن يُدعى بأن كل العلماء أو جلّهم كانوا من دعاة الإصلاح والتجديد، وإن لم يسموا أنفسهم بهذا الإسلام صراحة، وكل من كتب وألف نجده يعتبر أن كتابه أو كتبه يراد لها أن تسد ثغرة في ذلك الفراغ الموجود خاصةً عندما يختار أحد هذه الكتب للتدريس وحلقات العلم. فهذا الشيخ الكليني يفتح كتابه الكافي بقوله: "... وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع (فيه) من جميع فنون علم الدين ما يكفي به المتعلم ويرجع إليه المسترشد... [20]".

إذاً، لم يكن تأليف الكليني لكتابه ترفاً فكرياً، بل كان استجابة لإحساس بالحاجة أبرزها بعض إخوانه، وها هو العلامة الحلي يقول في مقدمة كتابه "مختلف الشيعة" ما نصه: "وهذا الكتاب لم يسبقنا إليه؛ د ممن تقدمنا من العلماء ولا نهج طريق الأدلة فيه من تقدم من الفضلاء..." [21]. وهكذا غيرهما . ولا نريد الاستقصاء إنما أردنا الإشارة فحسب . بل كل مؤلف أو كاتب يسعى ولو على مستوى الادعاء، لإثبات أنه دَوّن كتابه استجابة لحاجة أو ملاءم لفراغ في المكتبة التي يؤلف ضمن إطارها، إلا أن ما نعيه من الإصلاح هو معنى آخر ينحصر في مجال الدراسة الدينية وتطوير أنشطتها؛ ولذا سوف نحصر اهتمامنا ببعض الشخصيات التي حاولت إصلاح الحوزة على ضوء برنامج واضح المعالم والأهداف.

أبرز رجالات الإصلاح:

جمعية منتدى النشر:

رأى جماعة من علماء النجف عرفوا باسم المثلث المتساوي الأضلاع، أو الصفوة وهم: الشيخ جواد الحجامي، والشيخ محمد حسين المظفر، والسيد علي بحر العلوم وكان الشيخ محمد رضا المظفر هو كاتب الجلسات التي تعقد بين هؤلاء الصفوة [22].

وقد واجهت هذه الحركة الإصلاحية معارضة شديدة من التيار التقليدي، وهذا ما تكشف عنه مذكرات الشيخ المظفر نفسه حيث يقول في رسالته إلى الشيخ أحمد عارف الزين: "كنت أتحين الفرصة لأبسط لكن مشروع "منتدى النشر" ومدرسته الدينية، بعد أن لفت نظري أنه لم يثر اهتمامكم، مع أنني أعهد بكم أول من فكّر ودعاه إلى إصلاح دراسة النجف. ونحن جماعة فكرنا في هذا الإصلاح من قبل 15 عاماً تقريباً لتحقيق هذه الغاية، وأسميناه بهذا الاسم حتى لا يلفت الأنظار إلى هدفنا فيقاوم قبل أن يخطو بعض الخطوات" ([23]).

أهداف جمعية منتدى النشر

يبدو أن جمعية منتدى النشر كانت قد وضعت نصب أعينها أهدافاً عالية تريد تحقيقها والعنوان الأساس الذي يجمع كل الأهداف الفرعية الأخرى هو إصلاح النظام الدراسي في الحوزة النجفية. إلا أن القائمين على هذه الجمعية أعطوا لحركتهم اسماً وشعاراً يختلف عن المضمون الواقعي، وهو اسم "منتدى النشر" ليوهموا أصحاب الاتجاهات المحافظة أنهم يريدون نشر الكتب ولكن الهدف الأول لهم كان تغيير نظام الدراسة. وقد اقترن اسم هذه الجمعية باسم الشيخ محمد رضا المظفر، نظراً لما بذله الشيخ في سبيل هذا المشروع.

تحت عنوان منتدى النشر عمل الشيخ على تطوير مشروعه فكان أن سعى إلى تغيير نمط الدراسة الحوزوية إلى دراسة شبيهة بالدراسات الأكاديمية فأنشأ "كلية الفقه" التي "هزت النوادي النجفية هزة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، وقد بلغ عدد الموقعين على ورقة شروط العمل المائتين، وهم رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيه" ([24]).

وهكذا يتبين أن مشروع الكلية وجد من يؤيده ويدعمه في بدايته، فإن تأييد مائتين من رجالات النجف وأهل العلم فيها ليس بالأمر الذي يستهان به.

ولأجل الكلية أُلّف الشيخ وغيره من العلماء عدداً من الكتب التي تحولت فيما بعد إلى مناهج مقررة للتدريس في حوزة النجف وغيرها من الحوزات العلمية في العالم الشيعي.

من هذه الكتب:

1. المنطق: وهو كتاب في علم المنطق أراد له مؤلفه أن يحل محل الكتب القديمة التي كانت تدرس في الحوزة ككتاب "حاشية ملا عبد الله على تهذيب المنطق" وكان الشيخ ما أراد([25]).

2. الأصول العامة للفقهاء المقارن: من تأليف السيد محمد تقي الحكيم دون هذا الكتاب ليكون متناً دراسياً لطلاب كلية الفقه في السنتين الثالثة والرابعة([26])، ولكن أهمية هذا الكتاب وعلو كعب مؤلفه لم يشفع له ليكون متناً دراسياً في الحوزة العلمية.

هذه بعض الكتب التي ألفت بغرض التدريس في كلية الفقه، وهناك غيرها من الكتب في مجالات أخرى كعلم الكلام وغير ذلك غلا أن أكثر هذه الكتب لم تعرف طريقها إلى حلقات التدريس في الحوزات العلمية.

تقييم حركة الشيخ المظفر على ضوء النتائج:

إذا أردنا أن نقيم حركة الشيخ، فلا بد من ملاحظة الأهداف ومقارنتها بالنتائج التي تم الوصول إليها، وعلى ضوء ذلك يمكن القول: فإن الشيخ المظفر نجح في بعض الجوانب وخفق . أو بعبارة أدق . لم يستطع الوصول إلى كل أهدافه؛ وذلك لأنه كان يسعى لإصلاح الدراسة في الحوزة وتحويلها إلى دراسة أكاديمية منظمة تقوم على نفس الأسس التي تقوم عليها الدراسة في الجامعات الأخرى، إلا أن هذا لم يحصل بل كانت الكلية في النجف تسير جنباً إلى جنب مع الدراسة الحوزوية التقليدية. وأما على مستوى من تخرج من الكلية فقد ذكر بعضهم عدداً من العلماء دروساً في الكلية وكانوا بعد علماء يشار إليهم بالبنان([27]).

ويبدو أن السبب في عدم تحويل الدراسة في الحوزة إلى النمط الأكاديمي هو أن العرف الحوزوي قائم على أن مراجع التقليد هم المدرء الفعليون، والموجهون لأموال الدراسة مضافاً إلى أمور المرجعية فما لم يكن التغيير والإصلاح منطلقاً من رؤاهم ومدعوماً بتوجيهاتهم لا يمكن أن يؤتي أكله. وهذه هي

نقطة الضعف الأساس في حركة "كلية الفقه"، والتي منعتها من فرض نمطها على أرجاء الحوزة. ولكن إذا نظرنا من جهة ثانية نجد أن الشيخ المظفر استطاع أن يدخل إلى المناهج المقررة في الحوزة كتابين من كتبه، وإذا أخذنا العقلية السائدة في الحوزة من التمسك بكتب السلف والاعتداد بها، فيمكن اعتبار ذلك نجاحاً مهماً.

يبقى أن نشير إلى أن مشروع كلية الفقه لم يكن متكافلاً؛ لأنه كان يهدف إلى إصلاح الحوزة في المراحل الأولى وأما مرحلة دراسة البحث الخارج فلم يفكر الشيخ المظفر بالتعرض لها ولم يقدم لها الشيخ طراحاً يجبر نواقصها إن كانت.

يقول السيد محمد تقي الحكيم: "إن المرحلة التي تحتاج إلى التعليم المنظم هي المرحلة الأولى فحسب، لاحتياج الطالب فيها إلى تضخيم الشعور بالمسؤولية، وتوفير الوقت له بتقصير المسافة الدراسية عليه بالأخذ بقسم من المناهج الحديثة.. [28]".

وأخيراً لنستمع إلى الشيخ صاحب المشروع يتحدث عن أسباب عدم الوصول إلى الأهداف المبتغاة حيث يقول: "وقد أعطتنا التجارب أن الأعمال الكبيرة يجب لإنجاحها أن تقوم جماعة محدودة تدور دفة العمل بتعاقد وتكاتف وتضحية على عكس ما مشهور لأن الشعور بالمسؤولية.. (يتناسب تناسباً عكسياً مع عدد الجماعة)" [29].

المشروع الإصلاحية عند الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء:

الشيخ كاشف الغطاء:

ولد في النجف عام 1294هـ، درس على عدد من الأساتذة والعظماء واختص بالسيد محمد كاظم اليزدي (صاحب العروة الوثقى) وكان أحد أوصيائه كتب في مجالات عدة وب عناوين مختلفة من أبرز ما كتب أصل الشيعة وأصولها، تحرير المجلة (شرح لمجلة الأحكام العدلية)، المثل العليا في الإسلام لا في بحدون، وغيرها من المؤلفات المطبوعة والمخطوط التي لم تطبع. له مواقف مشهورة منها خطبته

في فلسطين عندما كان مدعواً للمشاركة في "المؤتمر الإسلامي" عام 1350 هـ فخطب خطبة مشهورة ألهمت مشاعر الحضور مما دعاهم إلى انتدابه ليؤمهم طيلة أيام المؤتمر [30].

لمحة عن المشروع الإصلاحي:

كان يعاني الطالب الحوزوي من مشكلات عدة منها مسألة التجنيد الإجباري، حيث لم يكن يعفى الطالب من التأجيل إلا إذا كان منتسباً إلى مدرة رسمية معترف بها من قبل السلطات. ولقد حاول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أن يخفف هذا العبء عن الطالب الحوزوي فأعاد إعمار مدرسة "المعتمد" وجعل فيها جناحاً بصفة مدرسة رسمية دينية يعفى الطالب من التجنيد إذا امتحنه أساتذتها ونجح [31].

ابرز معالم المشروع:

لم نجد في ما حاولنا تتبعه من المصادر من تحدث عن مشروع الشيخ كاشف الغطاء بشكل تفصيلي سوى ما سجله الشيخ عارف الزين في مجلته العرفان ضمن بنود هي:

1. وضع منهاج عام للدروس والكتب التي يفترض دراستها.

2. تقسيم التعليم إلى:

أولي: يتلقى الطالب في هذا المقطع علوم المقدمات والمبادئ.

وثانوي: يكمل به اللازم من علوم المقدمات مع قسم من دروس العلوم التي يراد التخصص بها.

عالي: وهو مرحلة التعليم الاختصاص ، مع تحديد الوقت لكل مرحلة.

3. اختيار الأساتذة على أساس الكفاءة والاختصاص.

4. اعتماد نظام الامتحانات الدورية أثناء السنة وفي آخر كل سنة.
5. تبديل الكتب الدراسية أو تقويم أخطائها أو حذف الزوائد منها ثم تقسيمها حسب عقليات الطلاب ومستوياتهم الفكرية.
6. اختيار الطلاب على أسس علمية منهجية تعتمد على كفاءتهم واستعداداتهم.
7. إنشاء مجلة تعني بنشر الأفكار العلمية الدينية الجيدة.
8. تبادل البعثات العلمية بين مدرستي النجف والأزهر تمهيداً لتوحيد مناهج التعليم وأساليب التدريس في كلتا المدرستين.
9. تعديل المناهج الدراسية المقررة في الحوزة بإدخال بعض المواد الجديدة التي يحتاجها الطالب كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأخلاق وغير ذلك من العلوم التي تمس الحاجة إلى الإطلاع عليها [32].

مدرسة الجزائري:

ولد الشيخ عز الدين الجزائري في النجف عام (1342هـ / 1924م) وتلقى علومه فيها، ومن مميزاته أنه جمع بين التحصيل العلمي الديني وغيره، فقد حصل على شهادة الدبلوم في الهندسة المدنية، وشهادة أخرى في علوم التجميل، وشهادة ثالثة في العلوم التجارية. ويبدو أن جمعه بين الدراسة الأكاديمية والدراسة الحوزوية، هو الذي دعاه إلى تأسيس مدرسة حملت اسمه (عام 1377هـ / 1957م) واعتمد فيها أسلوب الدراسة الأكاديمية، وصدر عن هذه المدرسة مجلتان أولاهما باسم "الذكرى" صدر منها عشرة أجزاء ثم مجلة ثانية باسم "رسالة النجف" توقفت بعد صدور العدد الثالث، ولا تختلف عناصر مشروع الجزائري عما هي عملية عند الشيخ كاشف الغطاء إلا في دعوته إلى التخصص في الفروع العلمية المختلفة كالقضاء، والاجتهاد والتبليغ وغيره... [33].

-
- [1] ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج 20، ص 267.
- [2] محمد بن الحسن، الطوسي، المبسوط، ج 1، ص 2.
- [3] الإمام الخامنئي من خطابه في المدرسة الفيضية بتاريخ شهر آذر 1374 هـ.ش.
- [4] الإمام الخامنئي، صحيفة النور، ج 21، ص 98.
- [5] يشار إلى أن الاستئناف معمول به في قوانين الجمهورية الإسلامية في إيران.
- [6] الإمام الخامنئي، من خطابه في المدرسة الفيضية بتاريخ آذر، 1374 هـ.ش.
- [7] الإمام الخامنئي، "منشور ولايت"، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، د.ت.، ص 15.
- [8] أنظر: خطابه في طلاب درسه بمناسبة بدء العام الدراسي 12 ربيع الأول / 1412 هـ.
- [9] المصدر نفسه.
- [10] من كلامه في قم بتاريخ 15 شعبان / 1421.
- [11] من كلامه في المدرسة الفيضية، بتاريخ 1374 هـ.ش.
- [12] الإمام الخامنئي، في خطبة له في مدرسة درا الشفاء، قم، بتاريخ 12 رجب، 1416.
- [13] آية الله طاهري خرم آبادي، مجلة "رسالة الحوزة" (فارسية) عدد 12، 1375 هـ.ش.، ص 65.

[14] من كلام له بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية، بتاريخ 8 جمادى الثانية، لعام 1421هـ.

[15] أنظر: الشيخ نصار مكارم الشيرازي، مجلة "حوزة"، عدد 12، شتاء 1375، ص 60 (بالفارسية).

[16] من كلام له بتاريخ 2 محرم 1419، طهران.

[17] المصدر نفسه.

[18] المصدر نفسه.

[19] من كلام له أثناء زيارته لقم، بتاريخ 15 شعبان 1421هـ.

[20] محمد بن يعقوب الكليني، الكافي 1، ص 8.

[21] الحسن بن يوسف المطهر، مختلف الشيعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، لا ت، ج 1، ص 174.

[22] ترجمة الأعلام الأربعة:

الشيخ جواد الحجامي:

ولد رحمه الله في النجف في شهر رجب سنة 1312، وقرأ على فضلاء عصره من جملة أستاذه الميرزا النائيني، والمحقق العراقي والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والعلامة السيد محسن الحكيم. له عدد في التأليفات إلا أنه كان مقلاً.

الشيخ محمد حسين المظفر:

ولد عام 1312هـ لخمس خلون من شهر شوال قرأ على الميرزا النائيني والمحقق العراقي والسيد الأصفهاني وأكثر الاستفادة من أخيه الشيخ محمد حسن. له كتب متعددة ويظهر من مراجعة فهرست كتبه أنه كان يهتم بالموضوعات التي تدعو الحاجة إلى الكتابة فيها؛ من كتبه تاريخ الشيعة، الشعائر الحسينية وهكذا.

السيد علي بحر العلوم:

ولد السيد علي بحر العلوم في النجف عام 1314هـ وترعرع وانصرف إلى دراسة الفقه والأصول على أعلام عصره، واشتغل في الجانب الإداري الاجتماعي مع عمه السيد محمد علي بحر العلوم، واستفاد من هذه الملازمة كثيراً واكتسب خبرات علمية وعملية مهمة من هذه الصحبة.

الشيخ محمد رضا المظفر:

ولد في النجف سنة 1322هـ وهو شقيق الشيخ محمد حسين المذكور آنفاً تتلمذ على عدد من الأساتذة من أبرزهم أخوه الشيخ محمد حسن، وكذلك على الشيخ محمد حسين الأصفهاني، والميرزا حسين النائيني له مجموعة من المؤلفات أهمها: المنطق، أصول الفقه، أحلام اليقظة، عقائد الشيعة، ابن سينا ترجمته ودراسة لفلسفته.

[23] الشيخ محمد رضا المظفر، مجلة العرفان (صيدا)، مج 29، ج 8 و 9، رجب 1349هـ. أيلول 1930م. نقلاً عن علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، ص 313.

[24] محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وحركتها الإصلاحية، 115.

[25] محمود المظفر، مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب المنطق، بيروت، دار التعارف، 1995م، ص 5.

[26] محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول (المقدمة)، ط 5، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1418هـ، ص 17.

([27]) أنظر: علي البهادلي، م.س.، ص 323.

([28]) مجلة النجف، السنة 3، العدد 2، ذي الحجة 1378هـ، مقالة المنتدى تاريخ وتطور، نقلاً عن علي البهادلي، م.س.، ص 315.

([29]) مدرسة النجف، م.س. ص 115، نقلاً عن علي البهادلي، ص 316.

([30]) ماضي النجف وحاضرها، ج 3، ص 184 وما بعدها.

([31]) أنظر المصدر نفسه، ج 3، ص 184، وج 1، ص 128. وكذلك موسوعة العتبات المقدسة، 7، ص 137.

([32]) أنظر: بوادر الإصلاح في جامعة النجف، مجلة العرفان (صيدا، لبنان) مج 29، ج 2، 1348هـ/ 1939م، نقلاً عن: الحوزة العلمية في النجف، (م.س.)، ص 324.

([33]) لمزيد من الإطلاع عن مدرسة الجزائري، أنظر: البهادلي (م.س.) ص 332، ومحسن محمد محسن، من التنظيم الدراسي في النجف الأشرف، ط 1، بيروت، دار المحجة البيضاء، 1998م، ص 15 وما بعدها.

تمهيد

سبق أن تحدّثنا عن الفكر الإصلاحي ودواعيه في الحوزات العلمية، وينبغي أن نضيف إنّ ما طرحه الإمام الخامنّي في هذا المجال يمثل مرحلة راقية للفكر الإصلاحي في الحوزات العلمية المعتمدة على جملة من المعطيات والضرورات والحاجات القائمة التي ينبغي للحوزة العلمية معالجتها.

إنّ الحلول التي تقدّم من أجل تطوير الحوزة لا يمكن أن تكون منفصلة عن واقع الحوزة، وعن أهدافها، ورسالتها والمبادئ العامة التي يستند إليها الكيان الحوزوي.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الشمولية إلى قضايا الحوزة، فإن سماحته يطرح جملة من المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تعتمد عليها أي حركة إصلاحية تطويرية حوزوية في عملها. وهي عبارة عن المبادئ التالية:

1. التخطيط.
2. سيادة النظام.
3. المسؤولية العامة.
4. تكميل وتطوير الحوزة التقليدية لا هدمها.
5. استقلالية الحوزة.
6. تقدير الحاجات الواقعية.
7. الالتزام بالتحديد الكمي والرقمي للحاجات.
8. تقديم الأولويات والحاجات الملحة.
9. استمرارية التطوير.
10. إيجاد الفضاء الملائم لتطوير الأفكار.
11. الوحدة بين الدين والسياسة.
12. الاستفادة من الآليات والمناهج العلمية.
13. العمل الفريقى (الجماعى).

14. التخصص في الحقول الإسلامية المختلفة.

وفيما يلي شرح موجز لهذه المبادئ:

المبحث الأول: المبادئ العامة للعمل الحوزوي

1. التخطيط

يعتبر التخطيط ركناً أساسياً لكل عمل منظّم ومدرّوس، ولذلك ورد التأكيد عليه في الروايات المأثورة عن المعصومين (ع)، يقول الإمام علي (ع): "قدّر ثم اقطع وفكّر ثم انطق وتبيّن ثم اعمل" ([1]).

وهو في المصطلح الإداري عبارة عن: "عملية تفكير وتقدير منهجية واعية لاستشراف المستقبل، وتوقّع أحداثه، بغرض التحكم فيها، وتوجيهها تحقيقاً للأهداف المرسومة".

ويعتبر تحديد الأهداف جزءاً أساسياً من عملية التخطيط، ويشير في هذا المضمّار الإمام الخامني إلى ضرورة التخطيط والجهاز المخطّط للحوزة العلمية قائلاً: "الموضوع الأول هو موضوع البرمجة والتخطيط في الحوزات. لقد سبق أن قلنا في نفس هذا اللّيف من الطلاب والفضلاء بأن كل جهاز صغيرة. دائرة كانت أو جامعة. لا بد له من خطة عمل، والحوزة العلمية بصفتها مكونة من مجموعة كبيرة من العلماء العظام والباحثين والكبار في العلوم المختلفة من فقه وتفسير وأصول وكلام وفلسفة وسواها من العلوم الحوزوية، فإنه لا بد لها هي الأخرى من جهاز للتخطيط يمارس عمله بنشاط مستمر" ([2]).

كما يشير إلى أهمية تحديد الأهداف في كل عمل تخطيطي ومنهجي قائلاً: "إنّ إنشاء المنظّمات دون رسم أهداف واضحة وتحديدّها بدقة، أم فقدان خطة دقيقة تكفل الوصول إليها سوف يؤدي إلى إفشال المؤسسة في عملية الإنتاج وزوالها أخيراً. وفي حال عدم الزوال نهائياً فإنّها ستظل شكلية" ([3]).

ولتقريب الفكرة إلى الذهن يذكر مثلاً لكيفية تحديد الأهداف قائلاً: "... نحن ينبغي أن نعلم ماذا نريد من خريجي هذه المدرسة حتى نستطيع أن نحدّد نوع المدرّس، ونوع الدرس، ونوع البرنامج الذي ينبغي أن يرسم هنا.

تارةً نبدأ العمل التخطيط من المدرّس والبرنامج، وأخرى نبدأ التخطيط من الهدف، والغاية التي نسعى إليها. بيد أن البدء الأخير، هو أكثر معقولة، وأقل خطراً وخطأً" [4].

2. سيادة النظام

كانت الحوزة العلمية تدار عبر قرون طويلة من عمرها من خلال نظام بسيط يقع في رأس الهرم "مرجع ديني" يقوم بكل ما كان يتطلّب العمل الحوزوي، من دون وجود جهاز وإدارة، فضلاً عن التخطيط والتوجيه والرقابة المنظّمة.

إنّ هذه الحالة كانت مطلوبة في الماضي القديم حيث إن الحياة ومتطلباتها كانت في غاية السهولة والتبسيط، ولكن لا تنسجم هذه الحالة مع العصور الحاضر ومتطلبات الحياة المعقّدة في مجتمع اليوم.

على أن الذهنية الحوزوية التي نشأت في هذا الفضاء، والتراكمات الزمنية لهذه الفكرة خلقت نظرة سلبية لدى الحوزويين تجاه التنظيم الفعل لشؤون الحوزة إلى درجة إنّه شاعت لديهم مقولة: "نظامنا هو في عدم انتظامنا".

وقد تصدّى الإمام الخامني لهذه الذهنية قائلاً: "النظام، هو مقابل الفوضى، ولا يمكن الجمع بين الأمرين. كما أنّ عدم انتظامنا في عدم إتباعنا للنظام. وتأخرنا في عدم سيادة النظام بيننا" [5].

إنّ عدم التقيّد بالنظام المحدّد في الحوزة لم يكن بمعنى فقدان الكلي للنظام في العمل الحوزوي، بل كان هناك الكثير من الطلاب والمدرّسين المقيّدين جداً بنظام دراسي أو تدريسي أو نمط معيّن من الدراسة، وإنّما المقصود هو عدم القبول والاعتراف بضرورة الالتزام بنظام دراسي وتعليمي موحد

للحوزات العلمية، بحيث تجسّد ذلك أهدافاً وبرامج وآليات معيّنة. وقد أشار إلى ذلك قائلاً: "إن عدم النظام في الحوزات العلمية يعتبر نقصاً كبيراً فيها. إن انعدام النظام كان يشكّل أساساً للعمل الحوزوي. وهذا ليس أنه لم يكن يحكم أي نظام، بل كان هناك نوع من النظام. بمعنى أن المدرّس كان يحضر للتدريس ساعة معيّنة، وكان الطلاب يلتزمون أيضاً بساعة الحضور، أو أنّهم كانوا يلتزمون بمراجعة ومطالعة دروسهم بعد صلاة المغرب والعشاء. مثلاً. إذ كان هناك انتظام بمستوى معيّن، كما أنه كان في الحوزة أناس منتظمون يستفيدون بدقة من أوقاتهم. ولكنني لا أقصد من النظام هذه الأمور. ما أقصده تحيداً، هو وجود برنامج دراسي منظم ومخطّط. ونحن كنا نعاني من هذا النقص في الحوزات" ([6]).

وهكذا يدعو سماحته إلى سيادة النظام التعليمي المدرسة على الحوزات العلمية وعدم الرضا بما يسود من الاستمرار على بركة الماضين. حيث إنّ العلماء السابقين خلّقوا لزمانهم وأجادوا في رفق عصورهم بما كانوا يملكون من مواهب متعددة في مجالات شتى ولا يمكن لنا القول بأن الخلف لم يترك للسلف شيئاً. ومن هنا يؤكّد سماحته قائلاً: "الشرط الأساس في تغيير سليم وتطوير طبيعي في الحوزة، هو التقيّد بالنظام والانضباط من خلال إنشاء مركز مخطّط ونافذ ومطاع في قراراته" ([7]).

3. المسؤولية العامة

يعتبر "الإحساس بالمسؤولية" تجاه الحوزة ذاتها والتاريخ والأمة الإسلامية حافزاً أساسياً بالنسبة إلى الحوزويين طلاباً وأساتذة ومسؤولين، وبدون تكوين هذا الإحساس الجماعي لا يمكن القيام بأي عمل جاد وأساسي على مستوى من النضج والدقة والتمتّاعة. كما أنّ أي تطوّر وتطوير يصعب حصوله دون وجود المتابعة الجادّة، مثلها الثقة والاطمئنان بالنتائج والمستقبل، وحينئذ فمن الممكن أن نعتبر أنّ هؤلاء الحوزويين قد تحوّلوا بالفعل إلى نقطة أمل للأمة وأنهم من صانعي مستقبل هذا المجتمع وسائر المجتمعات الإسلامية" ([8]).

ولو راجعنا تاريخ الغرب، وما شهدته من تقدّم في مجالات شتى، فإنّنا نجد: "أنّ العامل الأساس في تقدّم الغرب وأوروبا، لم يكن وجود قدرات وطاقات علمية خارقة، ولا ماضيهم الحضاري، لأنّهم لم يملكو حضارة قديمة، كما أن العامل الديني والمذهبي والحرية الاجتماعية أيضاً لم تكن من العوامل

الأساس باعتبار أن هؤلاء شهدوا حكومات مستبدة وجبارة. بل كان هناك أساس واحد خلف هذا التقدّم، وهو السعي، وعدم التعب من العمل، والسعي الدؤوب، والنشاط المستمر، حيث إنهم كانوا في حالة استعداد تام للقيام بأي عمل، والحركة نحو الأسئلة المطروحة لديهم وحب الاستطلاع.. عليكم أن تملكوها نفسية البحث وحب الاستطلاع"([9]).

4. التكميل لا الهدم

إنّ مبدأ تكميل وتطوير الحوزة العلمية لا هدمها من المبادئ المهمة في العمل التطويري داخل الحوزة العلمية، حيث إنّ الحوزة العلمية نشأت وقام صرحها العلمي والفكري والجهادي طوال قرون عديدة، من خلال جهود جبارة لعدد كبير من العلماء والصلحاء والمصلحين. فلا يمكن بالانقطاع عن ذاك الماضي العريق الحافل بالتجارب والخبرات الثمينة في مجالات عدة. ومن ينادي بالانقطاع عن هذا التراث الغني فإنّه بعيد عن فهم الحوزة ورسالتها وأهدافها، ومن ينادي بالانقطاع عن هذا التراث الغني فإنّه بعيد عن فهم الحوزة ورسالتها وأهدافها، من هنا، لابد من توجيه الجهود للبناء على تجارب السابقين ومتابعة عملهم بما يتناسب مع الزمان والمكان والواقع الذي نعيشه.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فإننا: "حينما نتحدّث عن البناء وتجديد مؤسسة الحوزة، لا ينبغي أن يتصوّر أحد أننا نقصد هدم جميع أركان الحوزة. ليس الأمر هكذا إطلاقاً. لابد من الاستفادة الكاملة من الطاقات والذخائر الثمينة لحوزة قم العلمية، وأن يصار إلى تنظيمها، وأن يمتنع عن تكرار الأعمال السابقة"([10]). حيث نجد أن العديد من الفضلاء يقومون بإعادة نشر ما قام به آخرون، من دون أدنى إثراء وإغناء للفكر والصور. وهذا ما يعيق التقدم والتطوير.

5. استقلال الحوزة العلمية

إن استقلال الحوزة العلمية في تنظيمها الخاص، والاحتفاظ بخصوصياتها جزء مهم من السابقة التاريخية للحوزات العلمية الشيعية التي طالما أصرّ علمائها ومراجعها على أهميتها بالنسبة إلى الحوزات العلمية.

ونظراً إلى السابقة التاريخية العريقة وعوامل أخرى يعتبر "الإمام الخامنئي" أنّ استقلال الحوزة العلمية عن مؤسسات الدولة أمر مهمّ وينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار: "إن الحوزة العلمية مؤسسة علمية وروحية. ولا ينبغي أن تتحوّل إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة، وإن كانت الدولة هي الجمهورية الإسلامية"([11]).

ويشير سماحته إلى أسباب ودواعي استقلال الحوزة العلمية عن مؤسسات الدولة ويعتبر من تلك الأسباب:

1. عدم جواز ربط مستقبل الحوزة بمستقبل الحكومات.
2. عدم قدرة الحوزة على تحقيق أهدافها في حال الاندماج.
3. الاختلاف الأساسي بين التكوين الحوزوي وتاريخه وبين الحكومات([12]).
6. تقدير الحاجات الواقعية (معرفة المشكل)

لا يمكن أن نصل إلى حلول ملائمة لمشاكل الحوزة إلا بعد تحديد دقيق للمشكلات والمسائل التي تعاني منها الحوزة العلمية. كما أن تحديد المشكلات لا تتحقق إلا عبر تقرير دقيق وواقعي وفعلي للحاجات فيها. من هنا، ينبغي الحصول أولاً على معرفة سليمة ومستندة إلى الواقع للحاجات والمشاكل، ومن ثم السعي نحو إعطاء الحلول المناسبة لتلك المشاكل، فمن لا يؤمن بوجود المشكلة لا يمكن أن يتحرك للبحث عن الحل: "الموضوع الأول، هو الإدعان بوجود المشكل، فلا يأتي أحد ويقول، ما هذا الكلام؟، أليس "الشيخ الأنصاري" و"الميرزا النائيني" و"صاحب الكفاية" والإمام الخميني" وباقي العظام تخرّجوا من هذه الحوزات. وانتم تطرحون أموراً جديدة. فإن لم يدعن هؤلاء بالمشكل فلا يأتي الحل. وهذا الأمر يتم على أيديكم. خاصةً الفضلاء الشباب فتكلّموا، وأعيدوا الحديث عن الموضوع بتكرار، اكتبوا وأقيموا الأدلة، وناقشوا الذين لا يقبلوا هذه الموارد وجادلوهم

بحق، وأثبتوا لهم بأنّ هذا المريض مريض حقاً، وإنّ هذا الكائن الحيّ يعاني من الألم. فإن لم يدركوا الألم ولا يعالجوا فلن يشفى من مرضه" ([13]).

7. الالتزام بالتحديد الكمي والرقمي للحاجات

ينبغي لكل المعنيين في شؤون الحوزة العلمية أن يتعاطوا مع مسائل الحوزة بواقعية وأرقام ولا يستندوا إلى تصورات ذهنية وخيالية بعيدة عن الواقع ومتطلباته.

إنّ التحديدات الكميّة والرقمية المعتمدة اليوم في التخطيط والبرمجة ينبغي أن تأخذ طريقها إلى الحوزة، كي يصار إلى وضع وبرامج مدروسة ودقيقة، وقد أشار إلى ذلك قائلاً: "من جملة الأمور التي تحتاج إليها الحوزة العلمية هو نظام التعليم والتعلّم، بحيث لا تضيع الأوقات، وفي عصرنا لا يمكن أن نجيز أن تهدر ساعة واحدة من عمر شاب مؤمن، قد أعدّ نفسه لبذل الجهد والعمل في سبيل الدين" ([14]). وعليه فلا يمكن التهاون بأمر التعليم والتعلّم والبرنامج الدراسي كما أنّه ينبغي: "أن يملأ هذا الخلاء (عدم الانتظام الدقيق) من خلال وضع برامج تتصف أولاً: بالدقّة والإتقان، وثانياً: بالتطوّر باستمرار. بمعنى أنه إذا تم وضع برنامج في هذه السنة فلا بد من مراجعته في السنة المقبلة" ([15]).

ولا يكفي أن نراجع البرامج التي يتم وضعها باستمرار بل ينبغي أن تتم تلك المراجعة من خلال تقدير دقيق للحاجات الواقعية والفعلية للمجتمع: "ينبغي أن نخطّط للمستقبل، فإذا قدرنا أن الدولة الإسلامية تحتاج إلى عدد معيّن من القضاة في الثلاثين سنة القادمة، فعلى الحوزة أن تنهض لتأمين هذا العدد، والتخطيط لتربية عدد من المجتهدين للقيام بهذه الوظيفة" ([16]).

8. تقديم الأولويات والحاجات الملحة

إنّ الحوزة العلمية نتيجة تراكم المشكلات عبر الزمن لا تستطيع أن تواجه تلك المشكلات في فترة زمنية واحدة كما لا تستطيع أن تقدّم حلولاً ومعالجات ناجعة في آن واحد، من هنا، لابد من العمل

المرحلي الذي يؤخذ فيه بالحسبان التدرج في المعالجة. ثم إنّ عملية التدرج لا بد أن تستند إلى قاعدة عمل واضحة تقدّم فيها الأولويات الفورية والحاجات الملحة على غيرها. "إنّ الإدارة في الحوزة العلمية تواجه مسائل ومشاكل عديدة، كما أنها سوف تواجه مستجدّات متوقعة وغير متوقعة، وينبغي لها أن تحدّد المهمة الأولى لها تحديد الأولويات والحاجات الملحة" ([17]).

9. استمرارية التطوير

إنّنا نعيش في بيئة متغيّرة ومتحركة باستمرار، لذلك لا يمكن أن نعتمد خطة وبرنامجاً واحداً لكل الظروف والأحوال، بل ينبغي الاستعداد التام للتخطيط في كل الأوقات نظراً لما يطرأ من مستجدّات، ولما يحصل من انحرافات في الأداء وتتطلب تعديلاً في الخطط الموضوعية، والاستزادة المستمرة من التطوّر الحاصل في مجال العملية التعليمية: "... لا بد من وضع برنامج يتصف أولاً: بالدقة والإتقان، وثانياً: أن يطاله التطوير باستمرار.. بمعنى أنّه إذا تمّ وضع برنامج في هذا العام فلا بد أن يتم مراجعته في العام المقبل، لا أن يصار إلى هدمه وإلغائه بل ليغير ما فيه من نقص.

كما أنه لا بد من وجود جهاز للرقابة على وضع البرامج، مهمّته المراقبة الدقيقة والمستمرة الميدانية للبرامج، لمعرفة مواضع الخلل، ومدى تناسبه مع قدراته الطلاب لجهة التّقبل والاستيعاب.." ([18]).

10. ملائمة الأجواء مع التطوير

إنّ وضع البرامج من أجل الحوزة كما في غيرها لا يمكن أن يكون منقطعاً عن بيئتها، حيث إنّ البيئة وتداعياتها تلعب دوراً كبيراً في تأييد أو تحجيم الفكر خصوصاً إذا كان تطوئرياً، من هنا، وقبل أن يصار إلى طرح برنامج متطور ينبغي العمل من أجل إيجاد أجواء ملائمة للبرنامج حتى يمكن طرحه وإجراؤه في تلك البيئة:

"ينبغي العمل من أجل إيجاد أجواء منفتحة لتنمية المواهب الفكرية. ولا بد من العمل في هذا المجال في الحوزة لأنّه يؤدّي إلى إحيائها.." ([19]).

11. الوحدة بين الدين والسياسة

إنّ الدين الإسلامي يدعو إلى إصلاح الدين والدنيا ولا يقتصر على طقوس دينية يمارسها المتدين من أجل الخلاص في الآخرة. فهذه الخصوصية تتطلب من الحوزيين أن ينطلقوا في تقديرهم للأمر وفي تخطيطهم للعمل التعليمي والتربوي من هذا الاعتبار وأنّ: "الطرح الإسلامي متبنٍ على أساس أن الدين هو رسالة الحياة، والطريق الوحيد للخلاص من المشاكل والمصاعب التي حلّت بالعالم والتي ستحلّ فيما بعد، وهو القادر على إعطاء الحلول الناجعة للمعضلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات البشرية" ([20]).

انطلاقاً من هذا الاعتبار ينبغي الحذر من الوقوع في فخ العلمانية في الحوزات العلمية و"يجب الاهتمام بقضية الوحدة بين الدين والسياسة، في التفقه وفي العمل. وليعلم الأخوة أن فكرة فصل الدين عن السياسة هي آفة لم تستأصل بشكل كامل، ولا تزال إلى الآن موجودة في الحوزات مع الأسف.. يجب تأصيل وترسيخ فكرة وحدة الدين والسياسة في الحوزة بحيث تكون الفقه، والاستنباط الفقهي على أساس إدارة النظام والمجتمع لا مجرد الإدارة الفردية" ([21]).

12. التواصل مع الخبرات العلمية والعالمية

إنّ الحوزة العلمية مؤسسة تعليمية وتربوية مثلها مثل باقي المؤسسات المماثلة لا يمكن أن تكون بعيدة عن التطورات العلمية والمنهجية والمهاراتية في العالم. بل ينبغي لها أن تستفيد من تلك الخبرات بشكل لائق، وعليه "فلابدّ للمتولين لتنظيم شؤون الحوزة أن يهيئوا الأرضية اللازمة لجعل الطلاب على صلة وثيقة بمجريات الأمور في العالم. لا ينبغي أن ينزوي الطلبة بعيداً عن التطورات، والوقائع، والمواضيع العلمية، والنظريات والاكتشافات الجديدة في مجال الطبيعة والعلوم على الأخص حيث إنّ معرفة الموضوعات ركن مهم في إصدار الحكم والفتوى" ([22]).

وهذا ما يدعو إلى التأكيد على التواصل التام مع مجريات الأمور وتطور الأفكار والنظريات في العالم من قبل الحوزة العلمية وذلك من أجل الوقوف على الحاجات الفعلية للمجتمعات من جهة، وبهدف

معرفة المستجدات في حقول مختلفة من جهة أخرى: "فلا بد لنا من النظر إلى العالم حولنا وما تحتاج إليه البشرية، ولا بد لنا من الوقوف على ما يستجد من أفكار ونظريات وآراء وقضايا في كل يوم وآخر، بل بين الفينة والأخرى، مما يتعلق بشؤون الحوزات العلمية، ليس ما يتعلق بالحوزات العلمية بشكل مباشر، بل ما يتعلق بالأمور ذات الصلة المباشرة بالحوزات العلمية بشكل خاص" ([23]).

13. العمل الفريقى (الجماعى)

من المشاكل التي تعاني منها الحوزات العلمية هي سيادة العمل الفردي وعدم التواصل والتكامل بين الأفكار والتوجهات والاجتهادات المختلفة، وهذا ما يؤدي إلى عدم الاستفادة من الخبرات الموجودة لدى الآخرين. من هنا، يبدو أنّ الحلّ يكمن في السعي لإشاعة ثقافة العمل الفريقى (الجماعى) في الحوزات لكي تتم الاستفادة من أكبر عدد ممكن من الطاقات العلمية والمهاراتية لإنجاز مشروع عمل معين، سواء كان إنجاز دراسة أم تدريس أم أي عمل آخر يتطلب تكافؤ الأفكار والجهود المختلفة: "إنّ أعمالنا ليست جماعية إنني قلت ذات مرة أننا في هذا الجانب مثل أبي ذر (ع) الذي ورد فيه أنّه "عاش وحده ومات وحده". نتعلّم وحدنا، ونطالع وحدنا. فإن المباحثة وإن كانت قائمة بين شخصين إلا أنها عمل فردي، لعدم توفر عنصر التبادل الفكرى. بمعنى أنّ "زيداً" يقرأ الدرس في يوم ويكون "عمرو" تلميذه ويستمع إليه. وغداً يتولى القراءة "عمرو" ويستمع إليه "زيد". إنّ العمل عمل فردي.

في حين أنّ العمل الجماعى (الفريقى) يتطلّب تكافؤاً للجهود كما يتطلب آليات ملائمة للعمل إنه عمل جديد في عصرنا... ([24]).

14. التخصص في مجالات العلوم الإسلامية

إنّ ما يسود في الحوزات العلمية هو التوجه الموسوعي في حقول العلوم الإسلامية. بمعنى أنّ طالب العلوم الدينية يسعى لكسب أكبر قدر ممكن من المعلومات في مجالات شتى وهذا ما يؤدي في الغالب إلى ما يقال من "أنه يعلم كل شيء ولا يعلم أي شيء" ويكمن الحل في بناء التخصصات المختلفة في الحوزة في مجالات العلوم الإسلامية بهدف إشباع المطالب العلمية وإثراء المضامين

والاهتمام بالمناهج والخصائص التفصيلية للعلوم، وعليه: "يجب على الحوزة العلمية أن تتجه نحو التخصص، ولحسن الحظ هناك الآن خطوات أولية في هذا المجال، ولكن يجب بذل جهود أكثر.. يجب أن يحمل التخصص محمل الجدية أكثر لما في العلوم الإسلامية من سعة وشمولية، يجب التخصص حتى في الفقه، والمعاملات والعبادات، وإن كانت هذه الموضوعات مرتبطة مع بعضها. ولكن في نفس الوقت لكل منها باب مستقل ويمكن أن يكون لكل باب منها متخصص" ([25]).

المبحث الثاني: المعالم العامة للحوزة العلمية

إن الحوزة العلمية النموذجية في فكر الإمام الخامني ينبغي أن تستند في عملها على الأرض وفي إدارة العلمية التعليمية والتربوية وفي مجال التحقيق والدراسات وغيرها إلى المبادئ العامة التي سبق الكلام عنها في البحث السابق.

وانطلاقاً من تلك المبادئ والأسس العامة نستعرض بعض جوانب فكر الإمام الخامني في تفاصيل العلمية التربوية والتعليمية في الحوزة، وذلك ضمن العناوين التالية، حيث نبحت:

أولاً: عن أهمية الخطة التعليمية التربوية ودورها في العلم الميداني (المنهاج التعليمي) كما نلقي الضوء على مجالات الدراسية في العلوم الإسلامية.

وثانياً: نتحدث عن الكتب الدراسية في الحوزة العلمية (المقررات الدراسية).

وثالثاً: نتكلم عن الأساتذة والمدرسين للعلوم الإسلامية (الهيئة التعليمية).

ورابعاً: نتكلم عن الامتحانات الحوزوية (عملية التقييم)؛ ونختتم بها بحثنا.

1. البرنامج الدراسي

تمهيد:

إنَّ الأهداف بأقسامها البعيدة والمتوسطة والقريبة هي التي ينبغي أن تتحكّم في وضع البرنامج الدراسي، فإن كانت الأهداف البعيدة لمؤسسة تعليمية عريقة مثل الحوزة العلمية عبارة عن فهم الدين (أهدافاً، وأحكاماً، ومفاهيماً) وتنمية وإثراء الوعي الديني والمساهمة الجادة في مجال بناء الحضارة الإسلامية، فإن الأهداف المتوسطة هي تربية المدرسين، والمحققين والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية، إضافة إلى المبلّغين القادرين على حمل مسؤولية التبليغ والإرشاد الديني. كما أنَّ الأهداف القريبة تتمثل في إنجاز وتطبيق مجموعة من المقررات الدراسية والتربوية التي تحمل في طياتها بلورة الأهداف البعيدة والمتوسطة في أمد زمني محدّد وضمن آلية معيّنة.

وينبغي لتخطيط وإنجاز البرنامج . التقدير الدقيق للحاجات الفعلية، ومعرفة الطاقات والقدرات الإنسانية الموجودة، ومتطلّبات ومستلزمات وخصائص البيئة، إضافةً إلى الإحاطة بالموانع والمعيقات في العمل والإجراء.

ثم إنّ "الاجتهاد" الذي يمثّل المستوى العالي والتخصّصي لتجسيد الفهم الديني ليس هو الهدف الوحيد للحوزة العلمية، باعتبار أنّ العمل التعليمي والفكري لا ينحصر ببلوغ هذه المرحلة. وذلك لأسباب عدة بعضها راجع إلى القدرات الشخصية للطلّاب والبعض الآخر راجع إلى الحاجات الفعلية والميدانية للعالم الديني بمستوى أقل من الاجتهاد. كما أنّ العمل الاجتهادي لا ينحصر بالفقه بل هناك مجالات أخرى في دائرة العلوم الإسلامي تحتاج إلى الاجتهاد والتحقيق والتأصيل، ولم تأخذ حقها من البحث والتحقيق وعليه فـ "نحن بحاجة إلى حوزويين في كافة المستويات وبقدرات وتخصّصات متعدّدة. لدينا قابليات وقدرات مختلفة ومتعدّدة، وعلينا بالدرجة الأولى أن نقوم بدراسة هذه القابليات، وعلى ضوء ذلك تحدّد الدروس وتجزّأ المراحل والدورات.. إن الحوزة العلمية يراود لها أن تكون كالمعمل توفّر للمجتمع متطلّباته، ومن خلال العمل الدؤوب والسعي المتواصل، تعمل وتزوّد المجتمع بمنتجاتها التي هي عبارة عن مجموعات من المحققين والمبلّغين والمدرسين والمؤلفين وغيرهم من المتخصصين"([26]).

1.1. تخطيط البرنامج الدراسي

إنّ تخطيط المنهاج والبرنامج الدراسي يتصلّ بأمر عدّة:

أولاً: تقدير الحاجات العلمية والمهارات اللازمة لمستوى معيّن.

ثانياً: تحديد وتقدير حاجات المجتمع ومتطلباته نظراً إلى المستويات المطلوبة.

ثالثاً: تحديد حاجات ومواصفات الطلاب وقدراتهم الذاتية.

رابعاً: تحديد حاجات ومواصفات البيئة، الكادر التعليمي، والإدارة التعليمية وغيرها.

خامساً: المبادئ والأصول والقيم والاتجاهات السائدة في الفكر الإسلامي.

ومن خلال تحديد هذه العوامل يمكن الوصول إلى تقدير صحيح للإمكانيات اللازمة للقيام بهذا العمل.

"الأمر الأساس المطروح دائماً بالنسبة لنا، هو: ما هي الوجهة العلمية التي ينبغي للطلاب والعلماء أن يتخذوها في تحصيلهم العلمي؟ وهذا الأمر مطروح منذ قديم الأيام ولسنا نحن أول من طرحه في ظلّ الجمهورية الإسلامية. بل هو تساؤل قديم، هل يكفي الطالب بدراسة الفقه والأصول، أم لابد من وجود شيء إلى جانبها؟" [27].

إن تحديد الاتجاه وأخذ الموقف الملائم يرتبط بالخطوات الآتية الذكر، حيث نستطيع أن نختار اتجاهاً معيّنًا في العملية التعليمية بعد اجتياز المراحل السابقة وتحديد دقيق للحاجات والأهداف على ضوء الأساس والاعتبارات المعتمدة.

1.2 مجالات الدراسية في العلوم الإسلامية

تشمل اليوم "الدراسات الإسلامية" مجالاً واسعاً من المعارف والعلوم على المستوى الكمّي والنوعي، من الدراسات التي تتناول النصوص الدينية الأساسية أي الكتاب والسنة والمعارف المرتبطة بهما، أي علوم القرآن والتفسير وغيرها وعلوم الحديث والدراسات الكلامية والفلسفية، والفقه والأصول.

على أنّ "علم الفقه" يمثل المحور الأساس للدراسات الحوزوية، وتمّ التركيز عليه تاريخياً من جهة الكم والنوع والعمق. بحيث أصبح الدرس الحوزوي يساوي الدرس الفقهي، وتحول الفقه إلى الدرس الأساس في الحوزة: "إنّ الفقه الذي هو بمعنى استنباط الأحكام الفرعية من الأدلة التفصيلية و أساس الحوزات العلمية"([28]). ونتيجة ذلك تحولت "الفقاهة" أي "طريقة ردّ الفروع إلى الأصول والاستنباط من الأصول ومن الأسس التي هي الكتاب والسنة والإجماع والعقل.."([29]) إلى الهدف الأسمى للحوزوي.

وفيما يلي نعرض الموارد التي ينبغي دراستها والاهتمام بها تحقيقاً وبحثاً واستثماراً في الحوزة العلمية:

أ. الدراسات القرآنية

إنّ الحوزة العلمية، ونتيجة ظروف وملابسات ولسيادة توجه خاص ابتعدت تاريخياً عن الاهتمام الكبير بالقرآن والدراسات القرآنية، وهذا البعد عن القرآن وعلومه ترك آثاراً سلبية جمّة على مجمل مجريات العمل الدراسي والتدريس في الحوزة العلمية، سواء على مستوى الرؤية الكونية أو لجهة أمور متصلة بالعلم اليومي والممارسة الفعلية: "إنّ الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية وعدم استئناسنا به أدّى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر والمستقبل وكذلك فإنّ البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر"([30]).

وهذا ممّا يدعو إلى الاستغراب أن طالب العلوم الدينية من الممكن أن يصبح عالماً ومجتهداً في مجال الإسلام والفكر والفقه الإسلاميين بمعزل عن القرآن الكريم "كتاب الوحي":

"مما يؤسف له أن بإمكاننا بدأ الدراسة ومواصلتها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة.. لماذا هكذا؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن، وقد ترد في الفقه بعض الآيات القرآنية ولكن لا تدرس، ولا تبحث بشكل مستفيض كما يجري في الروايات" ([31]).

إنّ الأمر لم يقتصر في الحوزة العلمية على هذا الحد، بل تجاوز ذلك، وأصبح الاهتمام بمجالات الدراسة القرآنية مدعاة للاستهزاء عند بعض دعاة العلم، القائلين بأن العلم كل العلم ينحصر بدائرة الأبحاث الأصولية والفقهية، وهذا ما دعا إلى توجيه سهام التجريح إلى المنشغلين بالقرآن والعلوم القرآنية، واصفين هذه العلوم بالمسائل الجانبية التي يمكن تحصيلها لكل قادر على ضبط بعض مصطلحات الأصولية وشذرات من هنا وهناك: "إذا ما أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل.. حيث كان ينظر على العالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره أنّه جاهل ولا وزن له علمياً لذا يضطر إلى ترك درسه.. ألا تعتبرون ذلك كارثة؟! ([32]).

من هنا، فإنّ الحلّ يكمن في إعادة الأمور إلى مجاريها الصحيحة، وبناء العلوم الإسلامية على محورية "الكتاب والسنة" لا أن تتحوّل المعارف المؤسّسة على هامش الكتاب والسنة إلى معارف محورية، وتتحوّل دراسة الكتاب والسنة إلى دراسات فرعية، هذا نقضٌ للغرض، إنّ الأصول، والفقاهة، والمنطق، وعلوم العربية، وغيرها نحتاج إليها من أجل فهم الكتاب والسنة لا العكس: "فيجب أن لا نغفل عن القرآن، وعن علوم القرآن، وعن فهم القرآن، والأنس به، ويجب أن يكون القرآن جزءاً من دروسنا في الحوزات العلمية، وعلى طلابنا حفظ القرآن أو جزء منه على الأقل" ([33]).

ب . علوم الحديث

تدور العلوم الإسلامية حول محور "الكتاب والسنة"، حيث يعتبران المنطق والأساس لهذه العلوم، والأهم من ذلك أنّ باقي العلوم الإسلامية نشأت من أجل تفعيل البحث حول الكتاب والسنة، فعلمي الأصول والفقه مثلاً، تم تأسيسهما بهدف قراءة أفضل (أقل خطأ وأكثر صواباً) للكتاب والسنة، وما يحصل في الحوزات العلمية، هو أنّ العلوم المقدمة تأخذ حيزاً وموقعاً أهم من العلوم الأساسية ويتم

التعاطي معها كعلوم مستقلة ومحورية. فإنّ علم أصول الفقه بدل أن يقوم بالتقنين لفهم الكتاب والسنة ودراستها شرع يبحث بعيداً عن الواقع، فتأخذ الافتراضات والقضايا الذهنية التي لا تمتُّ إلى الواقع، وغلى الكتاب والسنة، محل الهدف الأساس الذي نشأ العلم من أجله. وهكذا الأمر بالنسبة للعلوم المقدمة (الغريبة) الأخرى.

من هنا، فإنّ عملية التوجيه والترشيد مهمة أساسية للمتخصّصين في مجالات العلوم الإسلامية، بغية سيادة علاقة تبادلية إيجابية بين هذه العلوم. كما أنّها تساعد على استثمار أحسن للعلاقات القائمة للوصول على الأهداف الأساسية.

وإن النظر الشمولية تقتضي أن يتمّ التركيز على المعارف والعلوم التي تخدم فهم الكتاب والسنة بشكل أفضل. ومن هذه العلوم التي ينبغي أن يتمّ تفعيلها بشكل موضوعي ودقيق، هي العلوم المرتبطة بدراسة الحديث بشكل مباشر، أو ما أصطلح عليها بـ "علوم الحديث"، وتشتمل بدورها على علمي الرجال والدراية وفقه الحديث.

وينبغي تجسير العلاقة الحميمة والعضوية بين علمي الدراية والرجال، وفقه الحديث. كما أنّه ينبغي أن تسبق ذلك كلّ دراسة موضوعية ومترابطة للحديث كبناء متكامل يجسّد الإسلام بوصفه كلاً واحداً، ومنظومةً متكاملةً ومترابطةً. ولا يتيسر ذلك إلا بالخروج من الدراسة الحرفية للروايات إلى دراسة المعاني المستهدفة، والأهداف المتراصة خلف تلك الألفاظ، وإيحائها، واقتضاءاتها، بل الملاكات والمنطلقات والأفكار المطروحة فيها.

وما ينبغي وعيه من قبل الدارسين للحديث، هو أنّ النظريات المعتمدة في الجرح والتعديل، وتقييم الروايات ليست نظريات نهائية ناجزة، بل هي قابلة للتعديل والتصحيح. سيّما على ضوء العديد من المعارف والدراسات المطروحة اليوم على صعيد معالجة النصوص، والتي تساعد الباحث في التأكّد من صحة أو عدم صحة الصدور: "إن الحديث لم يكن مطروحاً في مناهجنا، إلا بعد الدخول في مباحث الفقه الاستدلالي حيث يتمّ طرح مجموعة من الأحاديث الفقيه.."[34]. من دون معالجة الكثير من الأمور المتصلة بالحديث والتي تلقي بظلالها على مجمل الأبحاث الفقهية وغيرها.

جـ. الدراسات العقلية . الكلامية والفلسفية

إنّ تكوين "الرؤية الكونية" المعتمدة على المبادئ والأسس القرآنية، والفكر الإسلامي مهمّة أساسية للحوزة حيث يشكّل البعد الفكري والعقدي ركناً أساسياً في الدراسات الحوزوية، كما أنّ التصدي للشبهات والإشكاليات الفكرية والعقيدية من المهمّات الأساسية للحوزويين.

من هنا، أضحي الاهتمام بالدراسات العقلية من الأمور المسلّمة التي لا خلاف فيه، إنّما الخلاف في مدى أهميتها ومستوى الاهتمام بها، وكيفية تحصيلها؛ حيث إنّ بعض الحوزيين يتصوّر أنّ الدروس العقلية، كلامية كانت، أم فلسفية، هي من دروس الدرجة الثانية التي ينبغي أن يهتمّ بها على هامش الدروس الأساسية (والدروس الأساسية حسب هذا التصوّر تختزل بعلمي الفقه وأصوله والمقدمات التي يحتاج إليها هذان العلمان)، في حين أنّ التصوّر الآخر حاصله أنّ العلوم الحوزوية نظراً إلى ملاكي متطلبات الواقع والحاجات الفعلية للساحة الإسلامية وتحقيق الاجتهاد الكفؤ لا ينبغي أن تقتصر على تلك الدروس، ويرى أصحاب هذا الرأي أي العلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق وغيرها، هي من العلوم الأساسية التي يحتاج إليها الحوزوي في أداء رسالته، والوصول إلى الأهداف التي اختارها كما أنّها تساعد في تحصيل المعارف والعلوم الأخرى (الفقه وأصول الفقه وغيرهما)، وتحديد أولوياتها وحاجاتها، بل تساهم تلك المعارف على حل الكثير من المسائل الفقهية والأصولية تحديداً.

وعليه، يتضح إنّ تحصيل المعارف والعلوم العقلية، لا يتيسّر للطلاب لو ترك لهم وحدهم تحصيلها بل لابد من دراسة نظامية مبرمجة، ومن خلال مدرّسين أكفأ قادرين على استيعاب وإيصال تلك الأفكار إلى الطلاب والدارسين.

وأهمّ من ذلك كله "المادة العلمية" التي ينبغي أن يتمّ التعاطي معها على مستوى التعليم في تلك المجالات؛ حيث إنّ الشبهات الكلامية . مثلاً . ليست أموراً غير تاريخية، لا ترتبط بالواقع، فالشبهات التي طرحت في الماضي هي شبهات متصلة بالواقع التاريخي والثقافي لأصحاب هذه الشبهات، مضافاً إلى أنّ التصدي المناسب للشبهات أيضاً أمر مرتبط بالواقع والثقافة وإقتضاءاتهما: "يجب الاهتمام بعلم الكلام، والكلام الذي نحتاجه اليوم للدفاع عن العقائد الدينية هو غير المباحث الكلامية السابقة،

فشبهة (إبن كمونة) مثلاً، ليست مطروحة اليوم حتّى نردّ عليها، ولكن هناك شبهات كثيرة في الأذهان وفي المجتمع البشري، وعلى الحوزات العلمية، معرفة هذه الشبهات ثم التصدي لها([35]).".

فإنّ الموضوع المهمّ بعد البحث عن تحديد المنهج الكلامي المناسب هو تحديد ما ينبغي أن يُبحث، ويتم تداوله، وما لا يستحقّ التداول والبحث. كما أن منهجية البحث ليست مشكلة علم الكلام فحسب، بل تأتي في باقي العلوم العقلية أيضاً. ومن ذلك البحث الفلسفي الذي يتمّ التركيز فيه على الجانب الكمي للمعلومات الفلسفية من دون السعي لبناء "الشخصية الفلسفية" القادرة وتربيتها على التعاطي مع إشكاليات الواقع: "وليست "الفلسفة" أن نأخذ كتاب "الأسفار" أو "المنظومة" ونقرأهما من البداية إلى النهاية فحسب، بل إنّ التبحر في الفلسفة، يعني أنّ الإنسان يستطيع الإطلاع على جميع الأفكار الفلسفية تشتمل على أفكار إنسانية قابلة للتغيير والتطوير، وليست هناك مباحث فلسفية نهائية بحيث ينبغي التوقّف عندها وعدم تجاوزها.

وعلى هذا الأساس فإنّ الباحث الفلسفي لا يتوقّف عند النصوص الفلسفية التاريخية ولا يكفي بقراءة وترديد تلك النصوص والعبارات، إنّما يسعى من خلال كل ذلك إلى السيطرة على المبادئ والأسس التي تساعد على حلّ الإشكاليات، والقضايا الفلسفية المعاصرة.

د . الفقه وأصوله:

يعتبر "الفقه" محور العلوم الإسلامية منذ القدم، وكان يطلق مصطلح الفقه في السابق على معنى يشمل ما هو أعم من علم الأحكام والفروع، ولذلك أصطلح على أصول الدين بـ "الفقه الأكبر" وعلى فروع الدين بـ "الفقه الأصغر" الذي كان يشمل الأخلاق أيضاً. ومن ثم، ونتيجة كثرة الاستعمال تمّ حصر مفهوم الفقه بـ "علم الأحكام تحديداً.

لقد كان علماءنا الأعلام يؤمنون بأنّ القدرة على استنباط الأحكام الشرعية الفرعية تعطي القدرة على ضبط باقي العلوم الإسلامية أيضاً؛ وذلك نظراً إلى وجود "علم أصول الفقه" في جنب الفقه والذي يعتبر "عصب العلوم الإسلامية" أو "منطق الفقه"([36]) كما هو الحال بالنسبة إلى باقي العلوم

الإسلامية. فالأصول إذن "منهج البحث" عند الفقيه أو هو منطق مسائله أو بمعنى أوسع "هو قانون عاصم لذهن الفقيه من الخطأ في الاستدلال على الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية" ([37]).

ف "الفقه الذي هو بمعنى استنباط الأحكام الفرعية من الأدلة التفصيلية هو أساس الحوزات العملية" ([38]).

وما ينبغي الالتفات إليه أنّ الفقه الإسلامي توسّع عبر قرون عدة من خلال توسيع الأبحاث والأبواب الموجودة والتعمّق فيها بإضافة مسائل أو ملاحظات أو حواشي أو تعليقات وتشكّل المكتبة الفقهية تراثاً غنياً وثيراً بالنسبة إلى المسلمين كافة والحوزات العلمية الخاصة. إن الجهود التي بذلها علماء المسلمين سيّما الإمامية في مجال الأحكام وقواعدها ومبادئها وطرق استخراجها واستنباطها من المصادر الأساسية والفرعية لا تقدّر بثمن. وكانت المكتبة الفقهية يغلب عليها طابع التحشية والتعليقة وإضافة الهوامش واستدراك موارد وما إلى ذلك، وينقصها التعمّق المباشر في المسائل الفقهية، وهذه حاجة ماسّة للباحثين في هذه المجالات وينبغي على هذا الأساس "... توسيع قاعدة التعمّق بالفقه، والتعمّق لا يعني تناول الحواشي والهوامش والزوايا والتعليقات الزائدة، بل هو معالجة المسائل وضعها موضع التفحص والتحقيق باستعمال الطرق والأساليب الجديدة حتى يتحقق التعمّق" ([39]).

التركيز على عنصرَي الزمان والمكان من القضايا ذات الأهمية في هذا المجال، بينما نلاحظ أن الواقع الموجود مختلف تماماً، فإنّ المسائل التي تطرح اليوم والمشاكل التي يواجهها الإنسان ويحتاج إلى معرفة الحكم والرأي الشرعيين فيها تختلف تماماً عن المشاكل والمسائل التي كانت مطروحة في الأزمنة السابقة، كما أن تجارب وخبرات واجتهادات السابقين من العلماء والمجتهدين ينبغي أن تسخر لأجل تعميق وتطوير الفقه:

"إن الفقه في زماننا يجب أن يكون أعمق من الفقه في زمن الشيخ [الأنصاري] وتلامذته الذين كانوا مشايخ المرحلة السابقة، لا يجوز أن نحصر اهتمامنا في المسائل السطحية، بل علينا أن نعطي الفقه عمقاً، وهذا من أهم أبعاد تطور الفقه" ([40]).

وأما الجانب الآخر في الموضوع، فهو إنّ الفقه توسّع في بعض الأبعاد وأهمّلت الأبعاد الأخرى، فمثلاً لم يأخذ الشأن العام والفقه السياسي والاجتماعي حقه من البحث والتعميق والاجتهاد، كما أخذت سائر أبواب الفقه مثل العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية وغيرها؛ ولذلك يجد الباحث في فقه الشأن العام والمعاملات، والأحوال الشخصية وغيرها؛ ولذلك يجد الباحث في فقه الشأن العام صعوبة كبيرة؛ لأنّ موضوعاتها مبعثرة في ثنايا علوم مختلفة كالكلام والتاريخ، والسيرة، والفقه وأصوله، والحديث وشروحه، والتفسير وما إلى ذلك من علوم، فضلاً عن أن الباحث لا يجد ضالته في أبواب معيّنة من تلك العلوم، بل يجدها مبعثرة في ثنايا ذلك العلم كله، ففي الفقه مثلاً، نجد البحث حول الحكم والإدارة في أبواب عدة مثل: الوصية، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء، والبيع، والحسبة، والصلاة وغيرها؛ وعليه، "يجب أن لا نكتفي ببعض أبواب الفقه التي لها أهمية فردية وليس لها أهمية اجتماعية. مثلاً تلاحظون وفرة في البحث عن الطهارة، لا تلاحظ في باب الجهاد، أو القضاء أو الحدود، أو المسائل الاقتصادية في الإسلام. ولو أجريتم مقارنة، لوجدتم أن ما كتب في باب الطهارة أكثر بكثير مما كتب في المسائل الأخرى، وحتّى أن كتب بعض العلماء لا بحث عن الجهاد فيها[41]".

إنّ الاتجاه العام في الدراسة الفقهية وتحديد الأهداف مسألة في غاية الأهمية، فإذا بنينا على أن مهمّة الفقه هي بيان المسائل الفردية المبتلى بها، فإننا نكون بذلك قد رسمنا الاتجاه الذي ينبغي أن نسلكه في العلم الاجتهادي والفقه. وأما لو اعتبرنا أنّ الفقه لا تنحصر مهمته بذلك، فسوف نسير في اتجاه مختلف عما سبق، لأننا نعتبر أنّ الفقه يتولّى بيان الأحكام الاجتماعية، ونظم الحياة إضافة إلى القضايا الفردية. فالسؤال الأساسي هو ما هي مهمّة الفقه؟ فإننا قلنا:

"يجب أن نستنبط نظامنا الاقتصادي من الإسلام، يجب أن نستنبط مسائلنا العسكرية من الإسلام، وكذلك الأحكام المتعلقة بسياستنا الخارجية والروابط الأخلاقية..."[42]. هذا التوجه يفرض علينا القول بأنّه:

"يجب إعادة النظر فقهياً في كثير من الأحكام الشرعية الفردية، ولا يجوز التساهل في ذلك؛ فإننا نطرح الدين بوصفه نظاماً للدولة، وإطاراً للحكومة، وطوال العصور الماضية لم ننظر إلى الفقه من هذا المنظار" [43].

ويتطلب هذا الاتجاه كما هو واضح، وهذه النظرة إلى الفقه، إعادة النظر في كثير من المسائل والأحكام، وتأسيس "فقه جديد" مبني على نظرة مختلفة إلى الإسلام، وقواعده وأساسه ومبادئه العامة، ومقاصده في الحياة. تلك النظرة الداعية إلى إدخال مجالات الحكم والدولة في الفقه الإسلامي.

و"هل هناك فقيه يجرؤ على القول: "إنه قد استنبط هذه المسائل [مسائل الحكم والدولة]؟ وأنّها كلها جاهزة للتطبيق والتنفيذ؟ طبعاً، الإجابة سلبية، ولم يدّع أحد ذلك لا في الحاضر، ولا في الماضي، بل لا يجرؤ أحد على دعوى كهذه" [44].

إذاً، فهذه الدعوة مبنية على نظرة جديدة، ومعطيات مختلفة، وظروف مؤاتية:

"وبناءً على ذلك يجب علينا أن نستخرج هذه المسائل من الفقه، وهذا يعني فكراً جديداً أو مستحدثاً" [45].

ولكن السؤال الملح المطروح، في هذا المجال، هو: أنه كيف يمكن لنا أن نقوم بتأسيس فقه يأخذ بعين الاعتبار تلك المجالات والاهتمامات؟

إنّ الخطوة الأساسية في هذا المضمار هو الانطلاق من أن "الإسلام كل واحد" بمعنى أن استنباط حكم فرعي من أحكام الإسلام، يتّصل اتصالاً عضوياً بسائر مجالات الإسلامية كالعقيدة، والأخلاق، ونظم الشريعة في مجال السياسة والتربية والاقتصاد، والمجتمع، والأسرة وغيرها.

ثم بعد ذلك، فإننا نملك "تراثاً غنياً" في مجال الفقه وأصوله، وهذا التراث يحتاج إلى البلورة والتهذيب والتكميل. ونعني بـ "تكميل الفقه" ملاءمة الفراغات التشريعية في مجالات مختلفة؛ حيث إنّ الحاجات

والموضوعات وظروف البيئة والواقع المرتبطة بهما في تغيّر دائم وهذا ما يتطلب اجتهاداً يتلاءم مع هذه العوامل كلّها:

"هناك بعض الموضوعات التي بيّنت أحكامها في السابق، قد طرأ عليها من التغيير والتحوّل ما جعل من المتعذّر تطبيق نفس الأحكام السابقة عليها بسهولة في الوقت الحاضر. ففي مثل هذه الموارد، لابد لفقهاء العصر وبالاغتماد على دقّة النظر والإحاطة العلمية، والالتزام بأسلوب الفقهية من جهة، والحرية في التفكير والشجاعة العلمية من جهة أخرى، من اكتشاف مفاهيم فقهية جديدة، وتقديم أحكام جديدة مستندة إلى الكتاب والسنة، وهذا هو معنى تكميل الفقه" ([46]).

وأما المقصود ببلورة و"استثمار" الفقه، فهو أن نستفيد من الفقه قواعداً وأصولاً ومبادئ لاستنباط الأحكام الشرعية في مجالات عديدة، لم تكن من موضوعات الفقه التقليدي في الحوزات العلمية أي الأمور المتّصلة بالشأن العام، حيث إنّ: "لابد من الإجابة عن الأسئلة والإشكاليات المطروحة حول مظاهر الحياة المتجددة يوماً بعد يوم، وتوضيح أحكامها بشكل مقنع ومدلّل. كما أنه يمكن الاستفادة من الفقه المعاصر. بما يتمتع به من الدقة والقوة في الاستدلال. في تكميل علم القانون وتطويره وفتح منافذ جديدة أمام باحثي مراكز القانون في العالم" ([47]).

هـ. الدراسات الإنسانية

هناك مجالات أخرى غير ما سبق الكلام عنها تدخل ضمن اهتمام الحوزة العلمية ويمكن تصنيف تلك المجالات ضمن علوم إنسانية كالتاريخ العام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص والعلوم الاجتماعية والنفسية.

فهذا المجالات وإن لم تكن من العلوم والمعارف الأساسية في التصنيف الحوزوي إلا أنّها من العلوم والمعارف المساعدة التي لا غنى عنها لتحقيق أغراض العلوم والمعارف الأساسية التي تهتم بها الحوزة العلمية.

حيث إنّ الدراسات المجالية التي يقوم بها الطالب تتصل اتصالاً عضوياً بالعديد من تلك المعارف والعلوم. فمثلاً بالنسبة إلى طالب العلوم الدينية "التاريخ مهم جداً، حيث يمكن الاستفادة منه في مجال الفقه. فالكثير من المسائل الفقهية ترتبط بالتاريخ ولكننا لم نهتم بهذا الارتباط ولم نحاول اكتشافه" [48].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى المعارف الاجتماعية المتصلة بفهم الدين والنصوص الشرعية وأحكامها. كما أنّ تلك المعارف الاجتماعية الدور في الجانب العملي لنشاط علماء الدين: "على الحوزة أن تطلع على ما يحصل في العالم من تطورات في جميع المسائل التي لها ارتباط بالعلوم الإسلامية وأن تتفاعل معها فمثلاً تطرح اليوم في باب الاجتماع مفاهيم جديد، ولهذه المفاهيم ارتباط بدائرة عمل علماء الدين" [49].

وسبق أن أشرنا في الأبحاث السابقة أن التبليغ الإسلامي من المهمات الأساسية لطلاب العلوم الإسلامية وعلمائها، والعمل التبليغي يتطلب الإلمام بالعديد من المعارف الاجتماعية والنفسية حيث هناك في عالمنا أساليب حديثة، ومتطورة لعملية التواصل والإقناع والإعلام، ولا يمكن الاستغناء عنها في إيصال الأفكار والتواصل الناجح مع الشرائح الاجتماعية والثقافية المختلفة.

و. اللغة العربية وآدابها

وأما دور اللغة والمعارف المتصلة بها فهو من الأمور المسلّمة التي أذعن بأهميتها علماء المسلمين بالنسبة إلى دراسة النصوص الدينية وعلمية الاستنباط الفقهي من قديم الزمان فنجد الراغب الأصفهاني [50] والسيوطي [51] وغيرهما يذكرون اللغة بجانب علوم ومعارف أخرى شرطاً أساسياً لممارسة الاجتهاد الفقهي.

مضافاً إلى ذلك فإن اللغة وآدابها تعتبر من المعارف الآلية والمساعدة في آن واحد فهي أدوات للفكر والاستنباط والنشاط الذهني والعمل المعرفي والعلمي، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة العلوم

بشكل عام والعلوم والمعارف الإسلامية بشكل خاص، باعتبار أنّ اللغة ومعارفها تمثل الأداة الأكثر سلطة وتأثيراً في هذا المجال لمحورية "النص" في المعارف الإسلامية.

ز. الأخلاق

وأما علم الأخلاق والأبحاث المتصلة به فيبدو أنها من الأمور المسلمة دخولها ضمن اهتمام الحوزة العلمية كونها بعداً أساسياً للعلوم الإسلامية كافة ومن مهمّة علماء الإسلام الذي يمثلون ورثة الأنبياء في الاهتمام بهذا الجانب حيث يقول (ص): "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [52].

2. المقررات الدراسية

تعتبر الكتب والمقررات الدراسية ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية، بمعنى أن العملية التعليمية لا يمكن أن تجري بشكل سليم إلا من خلال مقررات تتوفر فيها شروط عدة، وأهمّها:

1. أن تعبّر عن الأهداف التي تسعى العملية التعليمية إليها. فلا يمكن اعتماد كتاب لا ينسجم مع الأهداف العامة والأهداف الخاصة للعملية التعليمية.

2. أن تعبّر عن آخر مراحل تطور العلم، فلا يجوز أن يكون المقرر الدراسي معبراً عن مرحلة من العلم قد عفى عليه الزمن وتجاوزته الأبحاث المتأخرة.

3. أن يعتمد في كتابة وإعداد المقرر اللغة والمصطلحات وأساليب الكتابة المعاصرة، إضافة إلى أساليب البرهنة والمعايير. فلا يمكن اعتماد مقرر تم فيه استخدام المعايير والموازن التي لم تعد معروفة في عصرنا.

4. أن يؤخذ في المقرر مستوى الطلاب والمرحلة الدراسية بعين الاعتبار. فلا يصح اعتماد مقرر لا يتناسب مع المستوى المعرفي والإدراكي والمرحلة الدراسية التي يتعلم فيها الطالب.

5. أن يراعي في المقرر التدرّج من الأبسط إلى الأعمق دون العكس.

إنَّ أغلب الكتب القديمة المعتمدة للتدريس في الحوزات العلمية إضافة إلى عدم توفر الشروط والمواصفات الآنفة الذكر تعاني من بعض المشاكل الأخرى أيضاً، ونشير إلى بعض تلك المشاكل:

أولاً: "إنَّ الكتب الأربعة (أي القوانين والمعالم والرسائل والكفاية) ([53]). لم تُؤلف من قبل أصحابها لهذا الهدف. أي هدف التعليم. وإنما ألّفت لكي تعبّر عن آراء المؤلف وأفكاره في المسائل الأصولية المختلفة... ومن أجل ذلك كانت الكتب الدراسية المتقدّمة الذكر غير صالحة للقيام بهذا الدور، على جلالة قدرها العلمي ([54]).". وعليه، فإنّها لم تُؤلف من أجل الطلاب، وبغرض القيام بالعمل التعليمي كي يتحقق عبرها عملية التعليم بشكل سليم.

ثانياً: إن الكتب الدراسية السابقة لا تحتوي على الصعوبة والتعقيد في الجانب المعنوي والفكر فحسب، بل إنها تشتمل على الصعوبة والتعقيد في الجانب اللفظي والتعبير أيضاً، ولهذا ترى أن العبارات تظل مستعصية على الفهم حتى بعد شرحها من قبل المدرّس ([55]).

ثالثاً: إن الكتب الأربعة الآنفة الذكر لا ينسجم بعضها مع البعض الآخر، كما لا تنسجم تلك الكتب مع مرحلة الخارج أيضاً، "فالطالب لكي يتسلسل من كتب السطوح إلى درس الخارج كأنه يكلف بطفرة، وبأن يقطع بلحظة مسافة لم يقطعها علم الأصول خلال تطوره التدريجي إلا في مائة عام" ([56]).

وانطلاقاً من تلك الاعتبارات، يبدو تبديل وتغيير الكتب الدراسية أمراً ضرورياً.

فيجب تغيير الكتب الدراسية، وأن تكون الغاية من تغييرها الحيلولة دون هدر وقت الطالب فطالبنا يدرس "المغنى" في حين أنّ المطالب اللازمة في كتاب المغنى موجودة في كتاب آخر أصغر منه إذ كتب بلغة جديدة ومن خلال كاتب معاصر. لماذا يتحتّم علينا أن ندرس كتاب ابن هشام؟ فما هي خصوصيته؟

لماذا يتعين علينا أن نقرأ "المعالم" الذي هو في الأساس أول كتاب أصولي يعود إلى عدة قرون ماضية؟ في حين إن كتاب المعالم وإن كانت مطالبه الأصولية للمبتدئين، إلا أن عباراته معقدة، فلماذا نهدر وقت الطالب في هذه العبارات؟

وكتاب "شرح اللمعة". مثلاً. معقد شيئاً ما، فلماذا نؤخر الطالب في العبارات المعقدة؟ وكذلك الكتب الدراسية الأخرى.

"فهذه الكتب لم ينزل فيها وحي من السماء، وفي يوم ما كانت هناك كتب دراسية أخرى.. يقولون: إن كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري كتاب جيد جداً، وهو كذلك، لكن هل كتاب الرياض سيء؟ فقد كانت الرياض من جملة الكتب التي كانت تدرس في الحوزات العلمية.. فهل يجب علينا أن ندرسه الآن؟ وكانوا يدرسون كتابي القوانين والفصول.. فنسخت فما المانع من ذلك؟" [57].

من هنا، نستطيع القول أننا لا يمكن أن نواكب التطور العلمي في مجالات مختلفة من المعارف والعلوم إلا إذا استطعنا أن نخرج من دائرة تأثير الأسماء أشخاصاً وكتباً، وأن يوجهنا في ذلك العلم والمعرفة وتطبيقاتها وآثارها على الطالب وفي العملية التعليمية بآثارها.

وإذا أخذنا الواقع بالحسبان فسوف لا نبحت عما هو الأقدم وما هو الأعقد من حيث العبارة والأسلوب، بل نبحت عما هو الأقرب والأنفع والأنجع في عملية التعليم والتعلم.

3. المدرسون (الهيئة التعليمية والعملية)

يمثل المدرس دوراً مهماً في العملية التعليمية وفي تنمية القدرات العلمية لدى الطلاب سيما في الحوزات العلمية حيث إنه ليس فقط منفذاً للبرامج ومعلماً للمقررات والمتون الدراسية بل إنه مضافاً إلى ذلك يعتبر موجهاً ومرتبياً وقدوةً للطلاب في السلوك العلمي الرصين والهادفة والموضوعية والمنهجية، والابتعاد عن الذاتية والعشوية العلمية.

فالمدرّس القدير الموضوعي الذي يملك منهجية سليمة في تدريسه وتقييمه يترك أثراً جدياً مهمّاً على الطلاب وعلى سلوكهم العلمي والمعرفي.

ويعتبر إعداد وتأهيل المدرّس الناجح من المهمّات الأساسية للحوزة العلمية، وهذه المهمّة لا تحقّق إلا من خلال رؤية واضحة إلى الأمور والتقييم المستمر للخطّة والأداء في آن واحد معاً، "ونحن اليوم بصفتنا أناساً ننتمي إلى الحوزات العلمية، يجب علينا أن نخطّط لفكر وحركة ونهضة جديدة في منهجنا العلمي وفي مباحثنا الإسلامية، في ضوء هذه الظاهرة العالمية، فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت منه هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية والمعارف والكلام والفقه، الذي يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام من قبل الأوساط العلمية والسياسية والعالمية، يجب علينا بذلك المزيد من الاهتمام والدقّة وتقييم علمنا من جديد بصفتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينية" ([58]).

وهذا ما يستدعي العمل من أجل تربية مدرّسين قادرين على القيام بالمهمّة الملقاة على عاتقهم ويتطلّب ذلك بدوره البرنامج والآلية المناسبة لتأهيل وإعداد المدرّسين القادرين بأداء الدور والوظيفة وعليه:

"يجب أن نتوفّر على السبيل الكفيلة بتربية وإعداد المدرّسين الناجحين وندخلها ضمن البرامج الحوزوية" ([59]).

وانطلاقاً من الأهداف التعليمية ينبغي أن تتوفر في المدرّس شروط ومواصفات في الجانبين المهني والسلوكي ففي الجانب المهني والفني لا بد للمدرّس أن يكون ملماً إلماماً كاملاً بالمادة التي يقوم بتدريسها ويكون على إطلاع كامل على آخر الإنجازات الفكرية والعلمية للمادة. كما ينبغي للمدرّس أن يملك رصيداً علمياً وحساً نقدياً يخوله تقييم الآراء والأفكار المختلفة المطروحة في مجال تدريسه. "فالذين لا يتمتعون برصيد علمي. في أي مجال. إذا ما أرادوا تحقيق الإبداع حسب إichاءاتهم فإنهم سيقعون في العبثية العلمية، وهذا ما نلاحظه على صعيد العلوم الإنسانية والمعارف الدينية، فهناك من الجهلة من اقتحموا الميدان دون أن يتوفروا على رصيد علمي كاف وأدلوأ بدلوهم متصورين ذلك إبداعاً منهم، وهو في واقعة لا يمثل إبداعاً بل هو فوضوية" ([60]).

مضافاً إلى أنّ المدرّس لابد أن يضع خطته التعليمية انطلاقاً من الأهداف التي تسعى إليها عملية التعليم بشكل عام والمؤسسة التعليمية بشكل خاص. كما أنّه ينبغي أن يكون ملماً بأساليب الإيصال والتواصل وتقنيات التعليم وطرق التدريس وأصول وأساليب التقييم المتناسب مع الحقول والمواد الدراسية التي يقوم بتدريسها.

وأما في الجانب السلوكي (الجانب الأساسي للمدرّس سيما في المعاهد والحوزات الدينية) فلا بد أن يجسّد المدرس من خلال تعاطيه مع الطلاب العمل التعليمي والإدارة التعليمية المثل والقدرة في الانضباط، ورعاية آداب المهنة، وأصول التعاطي الإيجابي والبناء.

ثم إنّ الهيئة التعليمية مثلها مثل باقي الهيئات الفنية والمتخصصة لابد أن تكون على تواصل تام مع التطورات العلمية والمعرفية في مجالات مختلفة من الحقول المعنية بها. كما أنه لابد للحوزة العلمية أن تبادر إلى تشكيل هيئات علمية متخصصة تراقب الحركة العلمية وشؤونها في المستويات التعليمية المختلفة مهمتها التوجيه العلمي والإشراف على سير العمل التعليمي في الحوزة بغية التعديل والتطوير وفتح آفاق جديدة أمام الطلاب والمتعلمين. باعتبار "أنّ المفاهيم تنسخ، وهذا ما يحصل في جميع العلوم، ولأجل سدّ الفراغ في الآراء والمباحث والمسائل المنسوخة لابد من طرح مباحث حديثة، ولا بد أن يبلغ التحليق الذهني في كل عام . من ناحية حجم المفاهيم الذهنية . حدّ الكمال. هذا هو التعديل الذي بحاجة إلى جهد ونشاط كبيرين.. إنّ الحقائق الإنسانية . كالإنسان نفسه . يعتريها الموت والحياة والقوّة والضعف والصحة والسقم، ... إن الحوزة العلمية إنّما يمكنها تعديل نفسها والارتقاء والنمو فيها إذا كانت حيّة، وإلا فلا يمكن للحوزة العلمية إنجاز هذا الأمر" [61].

ولا يستطيع القيام بهذا الدور المهمّ والحساس إلّا المدرّسين الذين يملكون رصيдаً علمياً ومعنوياً كبيراً لدى شرائح المجتمع الطلابي، سيما إذا تحقق هذا المهم من خلال هيئات علمية متخصصة تقوم بدور الإرشاد والتوجيه العلمي والمعرفي والفني في الحقول الدراسية المختلفة.

4. عملية التقييم والامتحانات

إنّ العملية التربوية والتعليمية مرهونة بعملية التقييم حيث لا يمكن التأكد من تحقيق الأهداف ورصد حصيلة عملية التعلّم ومدى تحقّق أغراضها، والعمل من أجل وضع خطط بديلة وتكميلية أو الحكم على المنهاج المتّبع إلّا من خلال تقويم شامل ودقيق يطال جميع مستويات ومراحل العملية التعليمية برامجاً وطرق تدريس ومقرّرات دراسية وغيرها، بهدف الوصول إلى النتائج التي تركتها كل ذلك على الطالب لجهة المعلومات والمهارات وسمات شخصية وخصائص نفسية وغيرها.

وقد عاشت الحوزة العلمية معاناة كبيرة في هذا المجال حيث كانت تضم جملة من الطلاب الذين أخذوا يتخطون المراحل الدراسية المتتالية من دون رقيب أو حسيب، ولم يكونوا ليصرفوا على فهم المنهج واستيعابه إلّا الوقت الذي يقضونه في حلقات الدرس، لكي ينتقلوا شكلياً من مرحلة إلى مرحلة فوقية أخرى، بل وقد يعرض البعض عن الدرس بشكل كامل وينشغل في أمر معيشية أخرى مبتعداً عن هدفه في الحياة، ما دام أسمه مثبت في سجل الدارسين([62]).

وكان يكمن السبب في ذلك . في السابق . بأنّه لم يكن هناك "لطلاب العلوم الدينية امتحان واختيار خاص للدخول في الحوزة العلمية، ولذا فقد كان يدخل من ليست له مؤهلات الدخول إلى هذه الحوزة المقدّسة. وبما أنّه لم تكن هناك امتحانات فإنّ الطالب كان حرّاً في الانتقال من الكتاب الأدنى رتبة إلى الكتاب الأعلى رتبة، ومن البديهي أنّه كثيراً ما كان يحدث أن ينتقل الطالب إلى الرتبة الأعلى وهو بعد لم يطو المراتب الأدنى، فتقطع دراسته ويصيبه الملل وفتور الهمة في تحصيل الدروس.

وبما أنّه لم يكن يتمّ فحص وتعيين استعدادات الطلاب، فإن النتيجة هي أنّه قد انشغل من له استعداد (الفقاهة) أو (الفلسفة) أو (الكلام) أو (الأدب) أو (التاريخ) أو (التفسير).. أو غير ذلك بغير ما هو كان مستعداً له، فلم تحصل الاستفادة الكاملة من وجوده..([63]).

هذا هو الحال في السابق بشكل عام، لا يزال تتبع بعض الحوزات نفس النمط والطريقة في العمل التعليمي، ولكن هناك مدارس وحوزات هنا وهناك من حوزة قم أو غيرها غيّرت الكثير مما كان سائداً، ولكن مع هذا لا تزال الحوزات العلمية لم تصل إلى جادة الصواب في طريقة التقويم وفي منح الدرجات العلمية والاستفادة المناسبة من عملية التقييم في مجالات وأصعدة مختلفة.

من هنا، يبدو أن العمل من أجل تأسيس وتقنين الأسس والمبادئ والأساليب الملائمة للعلم التعليمي في الحوزة العلمية، حاجة ملحة يحتاج إلى مزيد من الاهتمام وإلا فسوف تستمر الفوضى القائمة في نسبة الألقاب والصفات اللا محددة إلى أشخاص ينقصهم الكثير من المواصفات ومن دون أن تسبق ذلك عملية تقييم دقيق ومحدد لهؤلاء. إضافة إلى أن عملية التطوير ترتبط عضوياً بعملية التقييم ولا يمكن الفصل بينهما، ولا تطوير إلا وبسبه تقويم ولا تطوير إلا وبلا حقه تقويم.

كل ما سبق قوله يستدعي العمل في مجالين:

أولاً: تحديد الأسس والمبادئ العامة للتقييم انطلاقاً من الخصوصيات الحوزوية.

ثانياً: تحديد الأساليب الملائمة لتقييم المواد والدروس الحوزوية.

ففي الجانب الأول ينبغي التركيز على أمور:

1. انسجام التقويم مع الأهداف العامة والخاصة الموضوعة للبرنامج والمواد الدراسية.
2. شمولية التقويم لجميع الأهداف الدراسية والسلوكية وغيرها.
3. اعتماد التقويم على الموضوعية في العلم التقييمي والابتعاد عن التقييم الذاتي وتطبيق المعايير المختلفة في الموارد الموحدة والمتشابهة.

كما أنه ينبغي أن يتم التركيز في الجانب الثاني على:

1. تحديد الحقول الدراسية المختلفة وأهدافها الخاصة.
 2. تحديد نوع التقييم الملائم مع الحقل الدراسي والمادة الدراسية.
-

[1] (الواسطي، علي بن محمد: عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، 1376هـ.ش.، ص371.

[2] (من خطاب بمناسبة بدأ العام الدراسي في الحوزات العلمية في 11/2/1421هـ. طهران.

[3] (من خطاب ألقى بحضور ممثلي وطلاب الحوزة العلمية في قم تاريخ 1368/9/7هـ.ش.

[4] (المصدر السابق.

[5] (من خطاب لسماعته في لقاء المدرسين والطلاب في المدارس الدينية، في 1363/6/27هـ.ش.

[6] (من خطاب سماعته في لقاء علماء ومدرسين الحوزة العلمية في مشهد، في 1367/6/10هـ.ش.

[7] (من نداء إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم بمناسبة إنشاء المجلس الأعلى للحوزة، 1371/8/24هـ.ش.

[8] (من خطاب في لقاء طلاب مدرسة الملا جعفر مجتهدى، تاريخ 1360/9/29هـ.ش.

[9] (من خطاب بمناسبة تعمّم طلاب مدرسة "مجد"، في 1366/11/12هـ.ش.

[10] (من كلام ألقى في لقاء ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية، في 1368/9/7هـ.ش.

[11] (من كلام ألقى في لقاء علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1370/11/30هـ.ش.

[12] (راجع: الفصول السابقة: الاستقلال الإداري للحوزة.

([13]) من خطاب ألقى في لقاء فضلاء وطلاب مميزين من الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1374/9/14 هـ.ش.

([14]) من خطاب ألقى في لقاء طلاب وفضلاء الحوزة العلمية في قم، تاريخ 1369/11/14 هـ.ش.

([15]) من خطاب ألقى في لقاء طلاب ومدرسي المدارس الدينية، تاريخ 1363/6/27 هـ.ش.

([16]) من خطاب ألقى في لقاء ممثلي الطلاب والفضلاء في حوزة قم العلمية، تاريخ 1368/9/7 هـ.ش.

([17]) من نداء إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم بمناسبة إنشاء المجلس الأعلى للحوزة، 1371/8/24 هـ.ش.

([18]) من كلام ألقى في لقاء طلاب ومدرسي المدارس الدينية، تاريخ 1363/6/37 هـ.ش.

([19]) من خطاب ألقى في 1374/9/14 هـ.ش. عند لقاء فضلاء حوزة قم العلمية.

([20]) من خطاب ألقى الإمام الخامني في بداية العام الدراسي في الحوزة العلمية في 9 ربيع الثاني 1416 هـ.

([21]) خطاب بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية في 12 ربيع الأول 1412 هـ.

([22]) المصدر السابق.

([23]) المصدر السابق.

([24]) من خطاب ألقى في التجمع الطلابي في مدرسة الفيضية. تاريخ 1370/12/1 هـ.ش.

([25]) من خطاب ألقى في 12 / ربيع الأول / 1412هـ.

([26]) من خطاب ألقى بمناسبة بدأ العام الدراسي في الحوزات العلمية، في 9 ربيع الثاني 1416هـ.

([27]) المصدر السابق.

([28]) من خطاب ألقى في 12 ربيع الأول 1412هـ.

([29]) المصدر السابق.

([30]) المصدر السابق.

([31]) المصدر السابق.

([32]) المصدر السابق.

([33]) المصدر السابق.

([34]) خطاب في لقاء طلاب مدرسة الصدر العلمية . بابل، بتاريخ 1363/2/19 هـ.ش.

([35]) من خطاب ألقى في 12 ربيع الأول 1412هـ.

([36]) يبدو أن اعتبار "علم أصول الفقه" بالنسبة إلى الفقه كـ "المنطق" بالنسبة إلى الفلسفة وسائر العلوم أمر قديم نجد نقده عند "البهاري" صاحب كتاب مسلم الثبوت، ج1، ص5. كما نجد التركيز عليه عند السيد محمد باقر الصدر في دروس في علم الأصول، الحلقة الأولى والمعالم الجديدة.

([37]) الناشر (د. علي السامي): مناهج البحث عند مفكري الإسلام (بتصرف)، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ ص80.

([38]) من خطاب لسماحته السيد الخامنئي في 12 ربيع الأول 1421هـ.

([39]) المصدر السابق.

([40]) المصدر السابق.

([41]) المصدر السابق.

([42]) المصدر السابق.

([43]) المصدر السابق.

([44]) المصدر السابق.

([45]) المصدر السابق.

([46]) من نداء إلى المؤتمر العالمي لدائرة معارف الفقه الإسلامي، في 20 شعبان 1414هـ.

([47]) المصدر السابق.

([48]) من خطاب ألقى بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية في 12 ربيع الأول 1412 هـ.ق.

([49]) المصدر السابق.

([50]) مقدّمة في التفسير، ص 93.

([51]) أنظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 4، ص 187 وما بعدها.

[52] (المجلدي: بحار الأنوار، مجلد 16، ص 210).

[53] (وهي الكتب الأكثر تداولاً في مجال تدريس مادة أصول الفقه في الحوزات العلمية في السابق).

[54] (الصدر، السيد محمد باقر: دروس في علم الأصول، مقدمة الحلقة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1418هـ، ص 21 وما بعدها).

[55] (راجع: (م.س.)، ص 23).

[56] (م.س.)، ص 9.

[57] (من خطاب في 12 رجب 1416هـ، مدرسة دار الشفاء، قم).

[58] (من كلام بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية في 8 جمادى الثاني 1421هـ).

[59] (من كلام بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلمية في 9 ربيع الثاني 1416هـ).

[60] (من كلام بمناسبة الزيارة التفقدية لجامعة أمير كبير، طهران، 5 ذي الحجة، 1421هـ).

[61] (من كلام ألقى في 12 رجب 1416هـ، في مدرسة دار الشفاء، قم).

[62] (هذه الفقرة مقتبسة من: الباقر (د.جعفر): ثواب ومتغيرات الحوزة العلمية، دار الصفوة، بيروت، 1415هـ. ص 146.147 (بتصريف).

[63] (المطهري، الشيخ مرتضى: مجلة (حوزة)، العدد 2، ربيع الأول 1404هـ، (ص 7)، نقلاً عن المرجع السابق (بتصرف).

نداء الإمام الخامنئي إلى الحوزات العلمية (1)

الحوزات العلمية عبر التاريخ

تمثل الحوزة العلمية في قم، التي نذكر أسمها اليوم بكل فخر وإجلال، ثمرة وحصيلة الحوزات العلمية منذ إيجادها في أواخر القرن الهجري الثاني، أو على الأقل منذ أوائل القرن الثالث حينما ظهرت مراكز دينية مثلت نواة الحوزات العلمية، وقد كانت حوزة قم في عهد آخر ثلاثة من أئمة من أئمتنا (الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام). وهو ما عرف بعهد القميين. حوزة علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ كان يتم فيها التدريس والتعلم والبحث والتدوين والنشر.

أما اجتماعات الصحابة والمحدثين وحملة العلم من حواري الأئمة في مدينة الكوفة وغيرها فلا نريد أن نصلح عليها بـ "الحوزة العلمية".

على هذا، ربما يمكن اعتبار حوزة قم، من أقدم حوزاتنا العلمية؛ وهو ما تدل عليه آثار العظماء، من أمثال الأشعريين وآل بابويه وآخرين، التي ظلت حتى يومنا هذا.

لكن هذه الحوزة لم تبق على ازدهارها وعظمتها؛ بل توزّع الثقل العلمي على مراكز أخرى من العالم؛ في شرق العالم الإسلامي وما وراء النهر (2) وشرق خراسان، حيث عاش رجال مثل الشيخ العياشي والشيخ الكشي والسرقيديين والنسائيين وغيرهم ممن عرفناهم كمحدثين ورواة مؤلفين. كما انبثقت حوزة بغداد على يد الشيخ المفيد، ومن بعده السيد المرتضى والشيخ الطوسي عليهم الرحمة والرضوان، إضافةً إلى حوزة النجف التي وُلدت بهجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة حوالي العام 450 أو 448 أو 449، حيث أقام تنظيمًا مركزيًا باسم الحوزة العلمية للفقاهة والحديث والعلوم الإسلامية. كل ذلك شكّل مرحلة مهمّة من مسيرة الحوزات العلمية.

بعد ذلك انبثقت الحوزات العلمية الشيعية في "الشامات" (3) أي "طرابلس" و"حلب" ثم في مدينة "الحلّة" (4) التي أنجبت فقهاء عظاماً خلّدهم التاريخ، وضمت آثارها كتب الفقه الشيعي.

واستمرت هذه المسيرة حتى مجيء الحكم الصفويّ في إيران لتبدأ بذلك مرحلة مهمّة من التاريخ. ورغم محاولات البعض إظهار الصفويين كأعداء للشيعة والإسلام والقيم الدينية، إلا أن سلاطين الصفويين . رغم كل النقاط السلبية في حكمهم وفي شخصيات حكامهم . قاموا بخطوات كبيرة خالدة، لا يمكن أن تُنسى، ومن هذه الأعمال كان الاهتمام بتوسيع وتطوير الحوزات العلمية الشيعية، وقد شمل اهتمامهم بالتطوير حوزات قم وأصفهان وخراسان والنجف وباقي المناطق التي ازدهرت ببركاتهم، ومن يقرأ التاريخ سيطلع على أعمال عظيمة ومدمّشة.

فلو نظرتم إلى قائمة فقهاء الشيعة في مرحلة ما قبل الصفويّين لما رأيتم بينهم من الفقهاء الإيرانيين سوى العدد القليل جداً، أما بعد عهد الصفويين، فقد أصبح الإيرانيون يشكّلون الغالبية العظمى التي قد تصل إلى 90 بالمائة من مجموع الفقهاء.

بعد تلك المرحلة التاريخية، بلغت حوزتا النجف وكربلاء ذروة إزدهارهما، وظهر فيها طلاب من أمثال المرحوم الوحيد البهبهاني ثم الشيخ([5])، وصاحب الجواهر، ثم تلاميذ هؤلاء العظماء الذي استمروا حتى المراحل الأخيرة.

بعد ذلك، انتقل مركز الحوزة العلمية مرة أخرى إلى قم، على يد المرحوم آية الله الحائري ثم المرحوم آية الله البروجردي وما زالت قم مركز الحوزة العلمية حتى يومنا هذا.

من هنا، فإن الحوزة العلمية في قم، تمثّل حصيلة مسيرة تاريخية غنيّة، وثمرّة حركة علمية عظيمة اجتمعت فيها الهجرة والعلم والبحث، حتى أصبحت الحوزة التي أنتم فيها اليوم.

إن الحوزات العلمية تشكل موضوع دراسة تاريخيّة وعلميّة ذات أهمية فائقة تستحق من فضلاء الحوزة وعظمائها وأهل الرأي فيها القيام بها؛ وأحمد لله عليما أرى من اهتمام بهذا الشأن.

وظائف رئيسة

إذن؛ نحن اليوم أمام حوزة تُعتبر ميراث أثني عشر قرناً من الحركة العلمية، علينا أن نقوم بعدّة وظائف، سأذكر ثلاثاً منها مع بعضها البعض باعتبار من البديهيات، ولا تحتاج إلى بحث أو الاستدلال.

الوظائف هي:

1. الحفاظ على الحوزة.

2. ترميمها وسد نواقصها.

3. تطويرها وتنميتها ودفعها إلى الأمام.

الحفاظ على الحوزة

بحمد الله فإن "الحفاظ على الحوزة" أمر حاصل، بل إن هذه الوظيفة تؤدي بشكل أفضل من الماضي، كماً وكيفاً. وعموماً فإنّ هذه الوظيفة لا تشكو من تقصير. ولكن الصعوبة والدقة تكمن في عملية "الترميم"، وأكثر صعوبة من ذلك، عملية "التطوير"، فلا يكفي أن تحافظوا فقط على ميراث السلف لتسلموه إلى الجيل الجديد، لأن التوقّف في نفس المكان هو في حد ذاته عودة إلى الوراء.

ترميم الحوزة

ماذا يعني الترميم؟

إنه . باختصار . قيام الحوزة بتخريج العناصر الجديدة التي من شأنها سد الثلمة التي يخلفها فقدان بعض عناصر الحوزة من رجالها؛ وأيضاً إيجاد مفاهيم جديدة يمكنها أن تحل محل المفاهيم المندرسة والقديمة.

فالمفاهيم تتقادم وتفقد نضارتها وحيويتها بمرور الزمن، بفعل معطيات جديدة وظهور رؤى وأساليب جديدة في النظر إليها.

وهنا يتوجب استبدالها بمفاهيم جديدة تحل محلها، فلا يكفي مثلاً أن تقوم في مجال علم الأصول بمراجعة كتاب "صاحب الفصول" "صاحب القوانين" واعتبار العديد من مباحثه في حكم المنسوخ (رغم أن هذا قائم بالفعل) فأَيُّ من الفضلاء والأصوليين البحاث يشعر . خلال تأمله الأصولية . بالحاجة إلى كتاب "الفصول"، أو إلى العديد من أبواب كتاب "القوانين"؟ لقد أصبحت قديمة، وفقد الكثير من مفاهيمها بريقة بعد أن دخلت بدلاً منها مفاهيم عصرية جديدة. إذن فالمفاهيم تتعرض للنسخ. وكذلك الحال في باقي العلوم هو ما يستدعي بذل جهد متواصل لتقديم مباحث ومفاهيم جديدة لسد الفراغ الحاصر بنسخ القديمة.

فالأفق الذهني لكل عمل بلحاظ حجم المفاهيم اللازمة له يجب أن يبلغ الكمال؛ هذا هو "الترميم" الذي يلزم بذل مزيد من الجهد والفعالية من أجله.

تطوير الحوزة

والأهم من الترميم هو التطوير بما يعنيه من الدفع إلى الأمام واكتشاف آفاق جديدة؛ فليس التطوير هو فقط أن نضاعف من الدقة لدى الخوض في بحث ما؛ فمثلاً يأتي احدهم ليعيد التدقيق في مسألة البحث فيها عالم من القرن السادس مستخدماً استدلاله في ذلك الوقت، فيقوم هذا الشخص بتأييد بعض استدلالته وإبطال البعض الآخر، وإخراج المسألة نفسها مع بعض الاختلاف.

يجب أن لا يقتصر العمل على هذا الجانب؛ بل يجب فتح آفاق جديدة في العلم نفسه (أي الفقه) وفي حصيلة هذا العلم (أي الأبحاث الفقهية)، وكذا الحال في الأصول والكلام وباقي الأبحاث التي تحتاج دائماً إلى تجديد حياتها.

فالحوزات يجب أن تتمتع بالحيوية، لتتمكن من تطوير نفسها، أما الحوزة الجامدة أو الميتة فلا قدرة لها على ذلك.

إن الحوزة . كما الإنسان لها حالات ضعف وقوة، وحياة وموت، وسقم وصحة؛ ويجب أن تكون دائماً حية قوية وسليمة لتتمكن من النمو والتطور وفتح آفاق جديدة تمكّنها من فتح ساحات عمل جديدة تُطلّ فيها على المستفيدين منها.

عندما نخوض في تاريخ الحوزة العلمية في قم، لا نريد الإشارة فقد على أن تلك المراحل التاريخية، شكّلت سلف الحوزة الحالية، إنما نريد التأكيد على التواصل في المضمون بين الماضي والحاضر. فأبحاث الشيخ الطوسي وبعدها إبداعات ابن إدريس والمحقق الحلي، والمجهود الفقهي الواسع الذي بذله العلامة([6])، وإنجازات باقي العلماء، كلها تبلورت وترعرت في هذه الحوزة.

فكل من قدّم شيئاً أو أبدع في الفقه والأصول خلال القرون الماضية نجد آثاره اليوم في دروس وبحوث وتأليفات هذه الحوزة العلمية.

من المسؤول؟

ما هو الوضع الحالي لهذه الحوزة التي تملك هذا التاريخ والجدور؟

إنه (هذا السؤال) الموضوع الذي يجب الخوض فيه دائماً؛ خاصةً من قبل أولئك المهتمين بمصير الإسلام والمسلمين؛ فليس هذا الأمر مما يمكن إهماله أو التنصل منه، بل هو واجب يقع على عاقتكم أنتم فضلاء الحوزة وطلابها الموجودين هنا الآن، وعلى عاتق كل طالب في أرجاء العالم الذي يشعر أنه مدين لهذه الحوزة، بل وعلى كل مسلم استفاد من بركة هذه الحوزة أو يريد الاستفادة منها.

وطبيعي أن هذه المهمة لا يقوم بها غير الروحانيين (علماء الدين) من أبناء الحوزة؛ فلو أريد إنجاز عمل مجد، فيجب أن يتم داخل هذه الحوزة، وعلى أيديكم أنتم.

ربما تجدون مؤيدين لكم من خارج الحوزة . مثلي أنا . إلا أن دور هؤلاء يقتصر على الدعم والمساعدة، أما العمل الأساسي فيجب أن يتم على أيديكم أنتم.

من هنا؛ فإنني أؤكد دائماً على أن ترميم الحوزة وتطويرها يجب أن يكون ذاتياً، ولا يمكن لأحد من خارجها القيام بذلك.

النمو النسبي للحوزة

كيف هي الحوزة اليوم؟ وكيف ستكون غداً؟ أو كيف يجب أن تكون؟

لاشك في أن الحوزة شهدت اليوم تطوراً كبيراً مقارنة مع كانت عليه في الماضي، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره، بل لا مجال للمقارنة بين الحوزة الحالية والحوزة السابقة...

فهذه الحوزة كما ذكر آية الله المشكيني تطورت نوعاً وكمّاً؛ لقد كان فيها خلال تلك العهود أربعمئة طالب، أما اليوم فهي تضم آلاف الطلبة والأفاضل الذين يواصلون الدراسة.

ولا يمكن لأحد القول بأن الحوزة تراجعت إلى الوراء بل إنها تقدّمت بالفعل كما أن أفكار رجال الحوزة القدامى موجودة بين أيديكم، فمثلاً كتاب "المكاسب" الذي تدرسه هو كتاب البحث الخارج لـ "الشيخ" وهو يمثل أعلى مراتب بحوثه، وكذلك فإن "الكفاية" التي تدرسونها، تمثل قمة الأفكار الأصولية للمحقق الخراساني.

فلو قرأ أحد الطلبة . اليوم . "كفاية الأصول" وفهمها فحاله كحال أكابر تلامذة "الآخوند" آنذاك، لكن على الطالب اليوم أن يعي بأنّ ما يقرأه في "الكفاية"، ليس نهاية الطريق، كما كانت في ذلك العهد.

وعلى هذا؛ فإن الحوزة شهدت تطوراً كبيراً في الفقه والأصول وعلى صعيد حجم النشاط، وفي عملها التبليغي، وتوسعها في أنحاء العالم، وأضلاعها بمسؤوليات عديدة.

إشكالان كبيران

لو نظرنا إلى الحوزة من زاوية أخرى، فسنكون أمام أمرين هامين يعتبران اليوم إشكاليين مهمين في وضع الحوزة؛ الأول لم يكن موجوداً في الماضي وهو خاص بهذا العصر، والثاني على الأرجح كذلك.

الإشكال الأول: هو مواكبة الحوزة لمعطيات العصر، ففي الماضي لم تكن الحوزة متخلفة عن عصرها أبداً، بل كانت متقدمة عليه.

أنظروا مثلاً إلى ما قدّمه علماؤنا إلى أهل زمانهم على الصعيد العلمي والفقهي والكلامي.

لقد كان عطاؤهم كبيراً رغم قلة عددهم، فلو كان هنا نفرّاً من الشيعة في نيسابور أو بلخ أو هرات التي كانت تُعدّ من أقصى نقاط العالم الإسلامي بالنسبة إلى بغداد، وكانوا بحاجة إلى رأي فقهي أو كلامي، كان الشيخ المفيد يتواصل معهم من مركزه في بغداد ويمدّهم بما يطلبون.

إذن فالشيخ المفيد لم يكن متخلفاً عن زمانه؛ وكذلك الحال في زمان الشيخ الطوسي، إذن تصدّى لذلك الشخص المعادي لمدرسة أله البيت، والذي قال للشيعة "أن لا مصنّف لكم" فبادر الطوسي إلى الرد عليه عبر تلخيص واحد من أكبر كتب الرجال "رجال الكشي"، كما كتب هو نفسه كتاباً وفهرستاً في الرجال لهذا الغرض.

وما كاد يسمع ممن يشكل على الشيعة بأن لا فقه لهم، حتى بادر إلى تأليف كتاب كبير وغني بالبحث، حسب مستوى البحث آنذاك.

وعندما كان محمد بن زكريا الرازي يتفوّه بعدّة كلمات إلحادية، كان ينبري له السيد مرتضى الرازي(7) للرد عليه في كتاب خاص.

وعندما وضع أحد الكتّاب المعادين لآل البيت يسخر فيه من حقائق الشيعة وعقائدهم، بادر عبد الجليل الرازي القزويني إلى الرد عليه في كتاب سُمّي بـ "النقض".

إذن، فإنّ كل من كان يتناول الشيعة سلباً خاصةً في المجال الفقهي الكلامي، لم يكن الشيعة يتركونه دون الرد عليه، بقوة، بلاغة علمية.

هكذا كان الحال؛ ففي الهند قام أحد الكتاب بتأليف كتاب أسمه "التحفة الإثني عشرية" تناول فيه الشيعة بالقدح والذم، وفي نفس الوقت تناول أهل البيت بالمديح والثناء، فتصدّى له السيد حامد حسين بكتاب عظيم اسمه "عبارات" [8] تبعته ردود عديدة ربما وصلت على العشرة حسبما أذكر.

وقد أطلعت على فهرست لكتب علماء الهنود الشيعة بينهم كبار وأعلام من الرتبة الأولى، وبحسب ظني فهناك أكثر من عشرة ردود على ذاك الكتاب (التحفة الإثني عشرية).

إذن، فالحوزات العلمية لم تكن متخلّفة عن زمانها وكلما قام شخص بوضع كتاب خطّي ليقوم شخص آخر بتوزيعه، وثالث بقراءته بحيث لا يقرأه طول الدهر أكثر من أربعة أشخاص، كان العالم الشيعي يبادر على الفور بالرد وبنفس الطريقة، وأحياناً بسرعة وحزم أكبر؛ وحتى عهد الشهيد الأول (رض) كانت كتبنا الفقهية تتضمن آراء فقهاء أهل السنّة مثل كتاب "العلامة" و"فخر المحققين" لكنّ الأمر تغيّر فيما بعد ولم تعد كتب الشيعة في الغالب، تأتي على ذكر آراء أهل السنّة؛ فأنتم ترون أن كتبنا القديمة كانت تتضمن آراء أهل السنّة مع الأدلة المتعددة الجوانب.

لا تنظروا فقط إلى كتاب "الخلاف" الذي تمسك فيه الشيخ الطوسي بالإجماع؛ إذ غالباً ما تحتوي كتب العلامة والآخرين وكذلك كتب الطوسي نفسه على استدالات محكمة ومفصّلة.

الحوزة اليوم

لكن وضع الحوزة، يختلف . اليوم . عما كان في الماضي، فهي اليوم متخلّفة كثيراً عن زمانها ومساحة هذا التخلّف ليست صغيرة؛ ويمكن تشبيه وضع الحوزة اليوم بشخصين يعتليان حصانين ويسيران معاً، حصان أحدهما أكثر سرعة، فيلجأ الثاني صاحب الحصان البطيء إلى السيارة، فيسبق صاحبه رغم

سرعة حصانه؛ وهكذا هي أوضاعنا اليوم، فأجوام الفقه والفلسفة والكلام والحقوق اجتاحت العالم، وعندما نعود إلى أنفسنا نجد أننا متخلفون عنها إلى حدّ بعيد.

هذا الأمر ينطبق حتى على الأخلاق، إذ ينقل لي أحد الأعلام في الحوزة أدام الله بقاءه، وهو موجد بينا الآن . أنه خلال زيارته لإنجلترا مؤخراً رأى في إحدى المكتبات طابقياً كاملاً مخصّصاً لكتب الأخلاق التي وضعها المؤلفون الأوروبيون خلال السنوات الأخيرة.

تُرى كم كتاباً في الأخلاق صدر عن الحوزة العلمية في قم في تلك السنوات؟ هل تشكل واحداً من الألف أو لنقل عشرة من الألف من تلك الكتب؟ باعتقادي أن ما صدر هو أقل من هذه النسبة بكثير.

واللافت أننا نتحدث عن موضوع الأخلاق الذي نعلم أن الغرب لا يعيره أهمية كبرى؛ ومن الطبيعي أن كتب الأخلاق في الغرب، على الأغلب موضوعها فلسفة الأخلاق وانتقاد الأخلاق وطرح آراء في الأخلاق غير المعنوية (المادية)؛ أما نحن فماذا صدر عن الحوزة بعد "معراج السعادة" و"جامع السعادات" باستثناء القليل الذي صدر خلال السنوات الأخيرة مما يمكن اعتباره كتباً علمية؟

وينطبق هذا الأمر نفسه على مجال "القانون" (الحقوق) فأنتم ترون كم كتاباً صدر . حتى الآن . في باب القوانين المدنية والجزائية ومختلف الأبحاث القانونية، وكل ذلك حدث في الغرب وفي العالم الإسلامي غير الشيعي.

وعلينا الاعتراف بأننا متخلفون جدّاً في هذا الجانب، رغم أنّه من صلب تخصصاتنا، حيث يشكل الفقه أغلب تخصصات الحوزات العلمية.

أنظروا كما صدر . حتى الآن . من كتب ودراسات وبحوث في مجالات الفلسفة والكلام الجديد وفلسفة الدين وأبحاث حول الدين، وكم من الأعمال تحققت في هذا المجال؟ ربما تكون هذه كلها على غير صواب، لكنها تظل متاعاً للفكر وأموجاً فكرية تشغل حيّزاً في المساحة الذهنية للمجتمعات؛

فأين أنتم من كل هذا وكيف تريدون مواجهته؟ أين هو عبد الجليل الرازي القزويني ليكتب "النقص" الذي يناسب هذا الزمان ليس كتاباً واحداً بل عشرين الآلاف من الكتب في هذا المجال.

إن العالم . اليوم . هو عالم الموجات، فبالموجات والكمبيوتر تنقل المفاهيم والعلوم كافة من هذا جانب من العالم إلى الجانب الآخر؛ فاليوم، أصبح بالإمكان، الإطلاع على محتويات كتاب من كتبة الكونغرس الأمريكي، بواسطة الكمبيوتر وخلال دقائق (الانترنت)، والحصول على نسخة مطبوعة لكل ما نريد.

نحن متأخرون جداً عن هذا العالم؛ فلماذا نكرر ذلك؟.. إنه النقص الرئيسي والأكبر الذي تعاني منه حوزتنا اليوم.

التفريط بالقابليات

الإشكال الثاني: الذي تعاني منه الحوزة، والذي أعتقد انه لم يكن في الماضي؛ هو عدم الاستثمار الصحيح للطاقات البشرية الموجودة في الحوزة.

ففي حوزة قم الآن آلاف القابليات والطاقات الخلاقة للطلاب الأفاضل والشباب الجيدين، ولو حظى هؤلاء بقليل من الاهتمام الخاص ووضع كل في محله المناسب له وكلفوا بما يستطيعون دون تضييع لأوقاتهم، لأصبح بإمكان كل واحد من هؤلاء سد جانب من النقص الذي تشكو منه الحوزة.

من الطبيعي أن هذا النقص كان في زماننا أيضاً، عندما كنت مقيماً في الحوزة، لكنني أعتقد أنه لم يكن بالدرجة الموجودة حالياً فالعلامة الحلبي مثلاً أنشأ مدرسة سيّارة، وكان يتجول برفقة "الجائيتوي خدا بنده"[9] في المناطق النائية ليستقطب الطلاب إلى المدرسة، لكنّ بعض الوقائع التاريخية تجعل الإنسان يدرك أن المراحل السالفة شهدت استثماراً للطاقات البشرية بالشكل الصحيح.

مواطن القصور في الحوزة

تعاني الحوزة من مواطن قصور عدة تعكس وجود نواقص في جسمها؛ وفي البداية لنستعرض حالات القصور ونرى ما إذا كنا نعتزف بها أم لا؟

التوسع الكمي غير الكافي

فمن أشكال القصور في الحوزة، عدم التوسع الذي يتناسب وعدد المنتسبين؛ صحيح أن عددهم الآن يبلغ عشرة أضعاف، بل ربما مئة ضعف لما كانوا عليه سابقاً، إلا أن عددهم لم يصل إلى الحجم المطلوب؛ فهناك الكثير من المساجد والجامعات والقرى والمصانع والمعسكرات التي تفتقد وجود روحاني (عالم دين) فيها؛ كما أن هناك دولاً عديدة يفتقد مسلموها وجود الروحانيين (علماء الدين).

من هنا، فإن هذا الحجم الضخم الذي نشاهده للحوزة لعلمية . اليوم . لا يفي بالغرض وهذا نقص واضح لا يمكن إنكاره.

في الماضي، كان يوجد في بعض المدن الكبيرة عشرة من المجتهدين الذين يتمكن كلّ منهم من إدارة وتعليم مئتي شخص، أما اليوم، فلا يوجد شخص واحد مثل أولئك السف في تلك المدن؛ كما يوجد في بعض المدن روحانيون (علماء في الدين) ممن لا يتمتعون بالقدرة العلمية والفكرية اللازمة، أو لا يملكون الحماس اللازم للعمل، هذا بالرغم من وجود البعض ممن هم في المستوى المطلوب.

نقص المحتوى الدراسي في الحوزة

ومن مظاهر النقص الأخرى في الحوزة، القصور الظاهر في تطوير محتوى المتن الدراسي الحوزوي؛ فلدينا اليوم الكثير من المسائل الفقهية والكلامية التي لم تحل.

كما أننا نعاني نقصاً في المعارف اللازمة لعالم الدين، وفي أماكن كثيرة لدينا روحانيين (علماء الدين) لا يتمتعون بما ينبغي أن يتمتع به العالم، بما يتناسب وظروف العصر؛ وهذا ما ندرجه في خانة نقص المحتوى الذي تعاني منه الحوزة.

ضعف النشر والتبليغ

يُعتبر عدم التطور والتوسع على صعيد التبليغ والنشر، من أشكال القصور الأخرى في الحوزة، فإصدار الكتب والصحف والمجلات، واستخدام الموجات "السمعية والبصرية" لا يتم بالقدر اللازم، كما أن الحوزة لا تبث بالقدر الكافي من المبلّغين الدينيين، فيما نحن نتلقى طلبات عديدة من أرجاء العالم في أفريقيا وأوروبا وآسيا لإرسال المبلّغين.

لقد ذكرت لكم في اجتماع سابق في العام 1410هـ، أن بعض الأفاضل الذين يقومون بزيارة بعض البلدان لأمر ما، يقولون عند العودة: إن الطلاب الجامعيين في البلد الفلاني بحاجة ماسة إلى روحاني (عالم دين) فلماذا لا ترسلون لهم من يلبي حاجتهم؟ أقول: من الجيد أنكم ذهبتُم للعلاج هناك، ولمستم هذه الحقيقة بأنفسكم.

إننا نتلقى . اليوم . طلبات عديدة من كل أنحاء العالم. وهذا النقص موجود ولا يمكننا إنكاره؛ هذه الحالات تعكس مجموعة نواقص يشكو منها جسد الحوزة الموقرة.

وعلى أي حال، فإن هذه النواقص موجودة، وإلى جانبها الكثير من الإيجابيات والثقل العلمي، وكما أن السادة والفضلاء والباحثين والآخرين يبذلون جهوداً مشكورة في هذا المجال.

فمع كل هذه السلبيات، فإنّ في الحوزة رجالاً يبذلون جهودهم في التأليف والسفر قدر الإمكان، يتحملون في ذلك العناء والجوع؛ إن كانت هناك جبهة قتال، فإنهم يحضرون فيها، وإن احتاجت منطقة ما إلى مبلّغ، توجهوا عليها؛ وإذا دعوا إلى قرية للعمل فيها، لبّوا الدعوة؛ وإذا طلب منهم السفر الخراج استجابوا...

لكنّ هذه الحالات تبقى فردية وغير كافية؛ هذه هي النواقص التي تعاني منها الحوزة، والتي تنبع من أسباب وعوامل داخلية لا بد من تحديدها.

الأسباب الرئيسية للقصور

عدم تطور الفقه

السبب الأول: هو أن الفقه الذي يشكّل مهمتنا الرئيسية، لم يتطور ليشمل المجالات الجديدة التي أفرزتها تطورات العصر، أو أنّه تطور ولكن بنسبة محدودة جداً.

فاليوم لدينا الكثير من المسائل التي يجب أن يحدد الفقه التكاليف حيالها؛ لكن هذا لم يحدث.. ليس القصور في الفقه ففيه القدرة على تقديم الجواب عن كل سؤال، لكن المحققين والعلماء لم يلجوا هذه المجالات الجديدة...

في المجال الاقتصادي

ومن هذه المجالات، مسائل النقود.

فما معنى النقد؟ ما معنى الدرهم والدين الذين ورد اسمهما في الأبواب الفقهية المختلة مثل الزكاة والديات والمضاربة؟

يجب الخوض في هذا الموضوع وتحديد هذه المفاهيم. إن من اليسير جداً أن نضع العمليات المصرفية (عدداً موضوع النقود) والودائع تحت عنوان القرض الربوي وننتهي منها، لكن ألا يتطلب الأمر قدراً أكبر من التوغّل في عمق هذه الأمور لمعرفة هل إن هذا يعتبر قرضاً حقاً أم لا؟ فنحن نودع في البنك ونقرضه المال، والبنك هو الذي يقترض منها... فمن يقبل بهذا الكلام؟ الموضوع هو إبداع في البنك وليس إقراضاً له.

هناك من هذه المسائل الكثير... مثلاً ما هو مصير قيمة العملة في مراحل التضخم الاقتصادي الكبير. وليس المقصود ذلك التضخم الإجمالي في حركة كل مجتمع والذي يؤدي إلى النمو ومن دونه يحل الركود الاقتصادي، بل المقصود هنا التضخم الكبير والسريع والذي تبدأ نسبته من 20 بالمائة، و 30 بالمائة إلى 50 بالمائة فما فوق، بحيث تشهد النقود انخفاضاً كل أسبوع. فما هو مصير النقود؟ وكيف يتم التعامل مع القروض التي يأخذها الناس من بعضهم البعض؟ فإذا كنا قد اقترضنا منكم مئة تومان

قبل ستة أشهر فتصبح هذه المائة، مختلفة عن تلك المائة تومان... هذه الأمور يجب أن تبحث وتوضع أسس محددة لها في الفقه.

ربما يلجأ الإنسان إلى الإطلاقات والعمومات لتيسير أموره، لكن ذلك لا يحل المشكلة من الأساس.

في المجال الاجتماعي

ما تزال العديد من الأبحاث الخاصة بشؤون الحكم مثل الديّات والحدود ومسائل القضاء التي يحتاجها جهازنا القضائي الكبير، تفتقد الحل الفقهي ولم يثّ الفقهاء بها. لكن ذلك لا يعني إلقاء اللوم على السلف، لأن القضاء والديّات والحدود لم تكن قائمة، أما اليوم فمسؤولية التقصير تقع علينا.

وعندما يدخل المحقق الأردبيلي في بحث الجهاد، يقول: "إن هذا المبحث لا نحتاجه"، فذلك العظيم كان يعي أكثر منا ويعلم كيف يجب أن يكون الجهاد، لكنه في نفس الوقت يرى أن الناس في ذلك الزمان لم يكونوا بحاجة إلى موضوع الجهاد، ومع ذلك فقد بحث الموضوع في عدة صفحات، لكنّ الوضع اختلف اليوم، وأصبح الجهاد محل ابتلاء لنا، لكن هذه المسألة غير واضحة في فقها، وهناك الكثير من المسائل الأخرى مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشؤون الحكم الأخرى، وكذلك المسائل المتعلقة بحياة الناس مثل قضية التشريح وزرع الأعضاء...

كل هذه الأمور تحتاج على أن يدخل الفقه ميدانها بجدية وعمق، ولا يمكن أن نكتفي بالتعامل معها بشكل عابر وسريع متصورين أنها ستحل.. كلا فهذه كمثال باقي الأبواب الفقهية.

أنتم ترون مدى الدقة التي مارسها فقهاؤنا في مسائل العبادات والطهارة والصلاة، كل هذا بسبب أذهانهم الحية المتحركة وهو ليس نقصاً.

لكن البعض يسأل: لمَ كل هذه الدقة؟ فالواقع هو أن أولويات اليوم، ليست أوليات الأمس نفسها، فالיום تقدّمت أمور جديدة يجب أن تأخذ نصيبها من الاهتمام وتشغل الحيز اللازم في الأذهان لتدخل دائرة البحث والاهتمام العام.

مراحل تطوّر الفقه

عدم التطور، يعني عدم التعاطي في الفقه مع موضوع الفقه نفسه؛ الفقه هو الأسلوب والآلية المعتمدة في عملية استنباط الأحكام؛ هذا هو ما نسميه الفقه؛ فما لم تدرسوا هذا الموضوع لن تتعلموا كيف يمكن استنباط الحكم من الكتاب والسنة، هي أسلوب الاستنباط. هذا ليس مستوى الكمال بل هو يسير نحو الكمال.

والفقه بحد ذاتها بحاجة إلى تطور، فلا يمكن الادعاء بأننا وصلنا إلى أعلى مرحلة في الفقه، وأن الأسلوب المتبع هو آخر ما يمكن التوصل إليه فالشيخ الطوسي بعظمته وعلمه، كان يتمتع بالفقه، كلن أنظروا إلى فتاواه في مسألة فقهية معيّنة، فأني مجتهد مستعد لأن يتبع أسلوبه؟

إن تلك الفتاوى تُعتبر اليوم بسيطة وسطحية، والمجتهد المعاصر لا يمكن أن يقبل بإتباع ذلك الأسلوب في نفسه في الاستنباط.

لقد تكاملت الفقه خلال أدوار عدة، وعندما ينظر الإنسان إلى تاريخ الفقه، سيرى مراحل متعددة وآراء مختلفة، وأنا أتصور أن عهد "الشيخ" مرحلة وعهد "العلامة"، مرحلة أخرى، وعندما نذكر "العلامة" ولا نذكر "المحقق". والحال أنهما أساسياً بالمستوى ذاته. فذلك لأن البحث الاستدلالي للعلامة أكثر وأسهل على الإدراك والفهم، ما لا يتوفر مثله لدى المحقق.

بعد ذلك، مرّت مرحلة زمنية استمرت 250 عاماً لتأتي مرحلة "المحقق الكركي" يختلف عن أسلوب "العلامة"، الفقه واحدة لكنها تكاملت أكثر، بعد ذلك تأتي مرحلة تلاميذ وحيد البهبهاني، حيث

تفتّحت وازدهرت الفقهة الأصولية، وبرز فيها "صاحب القوانين و"الشيخ جعفر"([10]) و"السيد بحر العلوم"...

ثم نصل إلى عهد الشيخ الأنصاري، و"صاحب الجواهر"، الذي اتسم بتطور أسلوب الفقهة وهو ما يبدو واضحاً في أسلوب عمل "الشيخ" بالقياس إلى أسلوب "صاحب الجواهر"، وبالرغم من أن أسلوب صاحب الجواهر كان جديداً، إلا أن المرحلة التي يمكن أن نتحدث عن تطور الفقهة فيها، بعد مرحلة الشيخ الأنصاري، هي في رأي القاصر . مرحلة المرحوم آية الله البروجردى، الذي فتح باباً جديداً في الفقهة.

تُرى ما الذي يمنع الفضلاء والمحققين من إضافة جديدة إلى أسلوب البروجردى لإكمالها؟ ولو حدث ذلك، فما أكثر المسائل الجديدة التي ستلغي مسائل قديمة، وسيتغير الكثير من النتائج والأساليب، وإذا ما تبدّلت الأساليب تبدّلت الأجوبة عن الكثير من المسائل، واتخذ الفقه شكلاً آخرًا...

إن هذه من جملة الأعمال التي يجب أن تنجز.

إن على المحقق . اليوم . أن لا يكتفي بالعمل في المنطقة نفسها التي عمل فيها المرحوم الأنصاري، والتعمّق أكثر بكثير؛ فهذا لا يكفي، بل يجب على المحقق البحث عن آفاق جديدة، وهذا ما حدث في الماضي أيضاً.

فمثلاً اكتشف الشيخ الأنصاري موضوع الحكومة في النسبة بين دليلين، ثم جاء الآخرون ليتعمقوا أكثر فأكثر وليتعاملوا مع الموضوع بدقة وتوسع أكثر.

إن المطلوب اليوم، فتح آفاق جديدة في موضوع الفقهة فما الذي يمنع عظماءنا وفقهاءنا من عمل كهذا؟

والواقع إنّ بعض الإجلاء في هذا العصر، لا يتمتعون بأقل مما كان لدى الأسلاف، من حيث القوة العلمية ودقة النظر، لكن ما نحتاجه هو ظهور إرادة القيام بهذا العمل داخل الحوزة. نحتاج إلى توفر

الشجاعة لدى المؤهلين وإلى احتضان الحوزة لهم؛ لكن ذلك لا يعني أن كل من رفع صوته بموضوع ما، فإن على الحوزة أن تقبل به وتدعمه؛ وفي الوقت نفسه، يجب أن لا يظل الرأي الجديد والفكرة المعاصرة، أمراً مستنكراً.

ركود علم الكلام.. الفاجعة المروّنة

السبب الثاني: أما النقص الثاني فهو عدم حصول التطور الكافي في باب الكلام.

وهذا يُعدّ فاجعة مرة... والأكثر من ذلك هو نسيان علم الكلام، فالحوزة في الإسلام، وحوزة أهل البيت العلمية، كانت . في الدرجة الأولى . حوزة الكلام ثم الفقه، وكبار فقهاءنا كانوا من المتكلمين، لكن أنظر كيف أن "الكلام" أصبح منسوخاً في الحوزات العلمية؛ فيما غالبية الهجومات تأتي اليوم من جانب المباحث الكلامية.

أعود للقول: إنّنا لم نكن في الماضي متخلّفين عن زماننا، وكل من كان يطلق حديثاً أو رأياً ضدّنا، كان يجد الجوانب الشافية السريع، أما اليوم فالوضع مختلف، فالعالم يشهد اتساع نطاق المباحث الكلامية إلى درجة كبيرة بينما حوزاتنا لا تعلم عن ذلك شيئاً.

أتعلمون كم يخضع موضوع علم الأديان وفلسفة الأديان للبحث والنقاش اليوم، ومن هم الذين يمارسون الكتابة والحديث والبحث، بينما نحن نجهل كل هذا؟ إنه نقص كبير حقاً.

ولا ينفي هذا، أن تقوم جهود فردية لبعض منتسبي الحوزات بإنجاز أعمال قيمة في هذا المجال، وهذا ما حصل ويحصل، إلّا أنّه يظلّ أقلّ أثراً مما لو قامت به الحوزة بشكل منظم، فهذا العمل ليس فردياً بلي يجب أني تم في إطار نظام الحوزة، ولو قام شخص ما بعمل في هذا المجال وقدم ثماراً جديدة، فلا يمكن أن نضع ذلك في حساب الحوزة... فالحوزة مقصرة فعلاً في هذا الموضوع.

وإذا كنا نتحدث عن "الكلام" فيجب أن لا ينصرف الذهن إلى تأليف بضعة كتب في بحوث الكلام، فالنشر لا يشكل أغلب مسؤوليات الحوزة بل إنها تتولى الفكر التكاملي، ومتى ما ازاد إلى تأليف في

بحوث الكلام، ومتى ما زاد الإنتاج الفكري، توسع النشر أيضاً الذي يأتي في الدرجة الثانية، يجب أن لا نتوهم بان الأمر ينتهي عند تأليف عشرة كتب مثلاً حول موضوع معيّن بل إن الحوزة يجب أن تنتج أفكاراً في المجال الكلامي.

أعزائي! هناك . اليوم ت شبّهات جديدة وخطيرة، فقد انتهت الشبّهات القديمة، فلم يعد أحد اليوم يطرح شبّهة "إن كمونة"، بل حلّت محلّها شبّهات كبيرة في جميع المجالات الكلامية، بدلاً من أصل موضوع التوحيد وضرورة الدين وحتى موضوع إثبات الصّناع والنبوة العامة والخاصة ومسألة الولاية، إضافة إلى مسائل متعددة في المجال الديني والإسلامي.

كل هذه الأمور مدار نقاش وبحث، وتثار حولها شبّهات عديدة، فمن يتحمل مسؤولية الردّ على هذه الشبّهات؟ أليس العلماء هم حماة حدود العقيدة؟ فهل إن هذه الحدود تفتقد الحامي والمدافع؟ فمن سيتحمل أمام الله مسؤولية أيتام آل محمد (ص) الذي يقفون عزّلاً أمام هذه الأمواج الهادرة من الشبّهات؟

إن غياب الدفاع العلمي يؤدي إلى بروز حالة انفعال وغضب وضجيج عند بروز أي تطاول أو إثارة شبّهة على مجتمعنا، بينما المفروض أن يكون هناك ردّ علمي هادئ على الشبّهات.

فلو كتب احدهم مقالاً اعتمد فيه استدلالاً خاطئاً ومغالطات واضحة، فإن الواجب يُحتمّ المبادرة من قبل الحوزة العلمية في قم إلى نشر عشرة أو عشرين أو حتى مئة مقالة في كل صحيفة ومجلة للرد على تلك الشبّهات، وعندها لن يكون هناك مكان للردود الانفعالية.. فلماذا الانفعال؟ أليس من الحيف أن يُتهم هذا الدين المنطقي والاستدلالي بأنه لا يعتمد الاستدلال وأنّه يعتمد الانفعال والصراخ.

وعندما يتمادى الآخرون في التطاول فإنهم يتهموننا بأننا أهل التفكير، فمن الذي كفرناه لغاية الآن؟ فهناك كفار بأعداد كبيرة لكن ما نحن كفرناهم.

إن الحوزة لا تكفّر أحداً، إذن فالنقص الأول يتعلق بالفقه، أما الثاني فإنني أعتقد أنه يتقدّم الأول، وهو نقص كبير حقاً، ويتعلق "بالكلام" الذي يستدعي منا المعالجة السريعة، وعليكم أنتم أيضاً القيام بذلك.

القصور في أساليب التبليغ

السبب الثالث: النقص الثالث الذي تشكو منه الحوزة، هو فصل التبليغ عن الحوزة، وهذا خلل كبيراً جداً.

وبالرغم من أننا نرى بعض طلبة الحوزة يضطرون إلى التبليغ في أيام شهر محرم أو شهر رمضان المبارك بفعل دوافع وحاجات معيّنة، إلا أن الحقيقة هي أن التبليغ وتدريسه حالياً لا علاقة له بنشاط الحوزة. فهو مهنة وفنّ، بإمكانه أن يكون علماً أيضاً، وهو كذلك بالفعل، ويجب أن يتحول إلى درس من دروس الحوزة.

قد يكون أداء المبلّغ حسناً أو سيئاً، أو أنه يقول عكس ما يريد، وقد يحصل كثيراً أن يؤدي قصور المبلّغ أو جهلة إلى أن يصل في خطابه أو كلامه إلى عكس النتيجة التي يتوخاها دون أن ينتبه إلى ذلك. أو أنه يمارس التبليغ لكنه يجهل علم نفس التبليغ فيتكلم مع الناس بخطاب يختلف عن الخطاب الذي يفهمونه، فيتكلم في القرية مثلاً بأسلوب الكلام نفسه في الجامعة، وفي المصنع يتكلم بما يجب أن يتكلم به في القرية.

إذن فإنّ الحوزات ينقصها تعليم أساليب وفنون ومتطلبات التبليغ لتزويد المبلّغ بالأسس العلمية والعملية مثل علم النفس الاجتماعي وغيرها مما يحتاجه في عمله.

أضف على ذلك، أنه من الضروري أن يجري توفير مواد ومضامين لعملية التبليغ، كأن يجري تصنيف المواضيع المطروحة من قبل المبلّغ على أساس طبيعة المستمعين.

وهذا ما لا يوجد في الحوزة العلمية، وكذلك الأمر مع استخدام الصوت والصورة في التبليغ، وهو ما يجب أني صدر عن الحوزة أيضاً.

إنني لست ممن يقارن كل شيء بما عند الأجانب، فيلغي ما عنده... يجب أن تعلموا هذا.. فأنا أعتز بحقائق وظواهر موجودة في مجتمعنا، ولست ممن يعتقدون بالتفرق المطلق للآخرين علينا، لكنني أرى في العالم إمكانيات ووسائل تمكننا من ممارسة عملنا في الحياة بصورة أفضل.

إنّ الكنيسة متخلّفة من حيث علم الدين، رغم أن هناك من بين القساوسة المعروفين، من هم بدرجة بروفيسور في علوم عديدة مثل البيولوجي والنبات، فقد درسوها رغم أنها لا علاقة لها بالنجاح الروحي، إلا أن بعض رجال الدين لاكتسابها، وهناك بين المكتشفين المعروفين عدد كبير من القساوسة الذي درسوا مثلاً التاريخ والرياضيات.

لكن الكنيسة تفتقد علم الدين بالشكل المدوّن والعميق والاستدلالي ومع كل هذا نرى الكنيسة متقدّمة في مجال التبليغ الديني (التبشير). قد أنتج هؤلاء الكثير من الأفلام التي تبدو أنّها عادية لكنها تدعو ضمناً إلى المسيحية.

حتى في الإذاعة والتلفزيون عندنا إذ يقوم بعض الأصدقاء بعرض الأفلام دينية مسيحية في أيام ميلاد السيد المسيح مجاملة لعدد من مواطنينا المسيحيين، وعندما دققت فيها رأيها تنطوي على التبليغ للكنيسة، فالذي عرض هذا الفيلم لم يدرك هذا البعد الذي يتضمنه، لكن الذي يشاهد الفيلم يتأثر به؛ فهو يعرض قسيساً ذا وجه نوراني يقوم بأعمال معيّنة، من الطبيعي أن هناك قساوسة من أنماط مختلفة؛ وأنا أعرف أوضاعهم، لدينا القس الصالح كما لدينا السيء، لكن هدفي من الكلام هو توضيح كيف أننا ننتقد أسلوبهم في التبليغ.

هذا العمل واسع وشامل، ولا يمكن أن يُنجز بين عشية وضحاها؛ فإذا بدأت العمل اليوم باستخدام الموجات الصوتية والتصويرية خاصة، فلن يصبح لدى الحوزة هذه الإمكانيات إلا بعد عشر سنوات على الأقل.

إننا تفتقد هذه الإمكانيات الآن، فلا نستخدم الفن في التبليغ، ولا الكتاب أو المجلة أو الصحيفة، فإن كانت الأساليب الحديثة والتقنيات المتطورة غير متوفرة في متناول اليد فإن الكتاب والمقالة ليست

بعيدة المنال، لكننا نفتقدها هي أيضاً، فالحوزة لا تمارس عملية التبليغ حتى عن طريق الكتاب والمطبوعات.

هناك قصور كبير في موضوع التبليغ، كما لا يوجد أي اهتمام بهذا الأمر، باعتباره مرتبطاً بنظام الحوزة ومسؤولياتها.

الكلام كثير لكن العلم هو المطلوب

هناك الكثير من الكلام الذي يمكن أن يقال عن الحوزة، لكننا ندخل الآن في الفصل الأخير للخوض في سبل معالجة القصور في الحوزة.

أعزائي.. إن القصور يمكن علاجه اليوم، ربما لم يكن ممكناً في الماضي، ولربما يمكن علاجه في المستقبل لا سمح الله قم فاعتنم الفرصة بين العدمين".

فقبل أربعة أعوام، جئت إلى هنا وقلت في حديثي معكم إننا في مرحلة الشباب؛ وعندما كنا قد تلقينا هذه الأفكار وتعرّفنا على أفكار جديدة متعلّقة بالحوزات، لم نكن ملك فرصة مناسبة لتنفيذ مشاريع جديدة في الحوزات.

كان حديث التجديد يتردد آنذاك، فهو ليس بجديد؛ وهذا هو أحد أشكال المعاناة، فقد كان هذا الهدف موجوداً إلا أنّ ما أنجز من عمل كان قليلاً جداً.

لقد كان آية الله البروجردي (رضوان الله عليه) أول من تحرّك في هذا الاتجاه فقد تجمع حوله المرحوم آية الله محقق داماد والمرحوم آية الله مرتضى الحائري والإمام الخميني (رضوان الله عليه)؛ وكانوا من الفضلاء الشباب والنشطين آنذاك، يجمعهم هدف واحد، لكنهم عجزوا عن تحقيق شيء لأسباب عدة.

المهم أن هذه الأفكار كانت موجودة منذ القديم؛ وقد نقل لي المرحوم آية الله الأمين (رضوان الله عليه)، أن هذه الأفكار كانت مطروحة أيضاً في الحوزة الدينية في النجف في عهد المرجع السيد أبو الحسن([11]) (رحمة الله عليه) فقد كان المرحوم آية الله الخوئي وآخرون في عداد الشباب المتحمسين آنذاك، وكانوا يرددون نفس هذه الأفكار.

ما نستطيع قوله هو أن هؤلاء لم يكونوا يستطيعون عمل شيء آنذاك، لأن الحكم كان بيد فئة ظالمة، ولم تكن في متناول الحوزة أموال وإمكانيات كبيرة، ولم يكن أحد يسمح بالقيام بهذه الخطوات، بل كانوا يقابلون كل خطوة بإجراءات صارمة مما ولد لدى كبار مسؤولي الحوزة مخاوف على مصير الحوزة من الأساس.

لذا فكلما طالب شخص بالإصلاح داخل حوزة كان الجواب يأتيه بأن أساس الحوزة الآن خط، والظالمون الذين في السلطة سيبتلعون الحوزة، أما اليوم فالظروف تغيرت، ولم يعد وجود لهذا الكلام.

وسوسة الشياطين

ويجب أن نشير هنا إلى أننا أيضاً نواجه الآن عقبة من شكل آخر، فما أن تطرح هذه الأفكار حتى ينبري أصحاب النوايا السيئة للقول بأننا نريد جعل الحوزة خاضعة للحكومة..

وأنا هنا أنفي بشدة هذه المزاعم، من الطبيعي أن الحكومة هي حكومة إسلامية، ورئيس الحكومة إنسان فاضل ودرس في نفس هذه الحوزة، نعم فرئيس جمهوريتنا من رحم هذه الحوزة وليس من خارجها، لكنني لا أرى وجوب أن تصبح الحوزة تابعة لمؤسسات أخرى ورأيي هذا منذ ما قبل الثورة ترسخ أكثر بعد الثورة.

عندما طرح هذا السؤال: الآن وقد أصبحت الحكومة إسلامية، فهل يجب أن تظل للحوزة تنظيمات منفصلة؟ وقد كنت ممن يرى، بالاستدلال الراسخ ضرورة بقاء الحوزة مستقلة.. وما زالت على نفس الرأي، ولا أمارس في هذا الرأي تقيّة من أحد، ولا أدري مشاعر أحد.

ألجموا كل من يشير الوسوس في وجه أية دعوة إصلاحية، هؤلاء يسكتون أمام كل ممارسات العدو لكنهم ينبرون إلى إلصاق تهمة ما، بكل صرخة إصلاحية، وكل حديث نابع من قلب متألم وحريص على الإصلاح.

هذه المشكلة يمكن علاجها، اليوم، فالحكومة اليوم إلهية وإسلامية ومستندة إلى الحوزة ومؤمنة بها وتدعمها، وتُكَنّ لها كل الإجلال والتقدير.

وإنني على استعداد لأدعم كل تحرك إيجابي فعال في هذا السبيل، إذن فالوقت اليوم وقت العلاج ن فيجب أن يُصار إلى ذلك وغلاً فإن الله سبحانه وتعالى سيحاسبنا.. هذا هو رأيي.

العلاج

أحاول هنا إيجاز طرق العلاج التي أراها مناسبة لهذه الحالات:

الاعتراف بالقصور:

أولاً: الاعتراف بالقصور فلا يأت أحد للاعتراض على هذا الكلام بحجة أن الشيخ الأنصاري والميرزا النائيني والآخوند والإمام الخميني وباقي العظماء ترعرعوا في هذه الحوزة وان موضوع الإصلاح، كلام جديد وغريب عن الحوزة.

إن عدم الاعتراف بالنقص يعني عدم إمكانية معالجته. إن هذه المهمة مناطة بكم لاسيّما الفضلاء الشباب؛ أطرحوا هذا الموضوع وكرروا طرحه، أكتبوا واستدلوا عليه، ناقشوا الذين يعارضون هذا المنحى، جادلوهم بالحق وأثبتوا لهم أن هذا المريض، مريض حقاً، وأن هذا الجسم الحي يعاني الألم، وما لم يفهموا ألمه سيبقى مريضاً دائماً.

إرادة العلاج

ثانياً: توفر الإرادة الصلبة للعلاج، لا تقولوا : نعم، هناك ألم ولكن ما الذي يمكن عمله؟ فقبل ثلاثين عاماً قال أحد الفضلاء (رضوان الله عليه) وهو ممن أكنّ له كل ودّ واحترام: "نعم لقد حدث ذنبٌ كبير (لا أذكر التعبير بالضبط) لكنه حدث، فما الذي يمكننا عمله؟" هذا يعني إدراك المشكلة ووعيها، لكن مع عدم التحرك للمعالجة.

إن على الطلاب الشباب بشكل خاص باعتبارهم يستشعرون مواطن الألم والقصور أن ينشروا هذا الأمر وينقلوه إلى الآخرين، ويطرحوه مع المسؤولين وأصحاب الأمر لدفعهم إلى معالجته.

خلق استعداد للسعي

ثانياً: استنهاض روح العلم والسعي لدى شباب الحوزة، وعندما نتكلم عن الشباب، فلا نعني كل شاب جديد العهد بالحوزة وظروفها بل نعني الفضلاء الشباب الذين يشكلون الآن شريحة كبيرة داخل الحوزة ممن تقارب أعمارهم الأربعين عاماً الذي يقومون بتدريس الكفاية والمكاسب ودرس الخارج، هؤلاء الذين قضوا سنوات طويلة في دراسة الفقه والأصول وبعض المباحث الأخرى.

إن روح العمل والسعي يجب أن تنهض في هؤلاء (الفضلاء والشباب)، والذي نخاطبهم بكلامنا (العلماء) يجب أن يُنهضوا روح العمل فيها، وإن لم يفعلوا (العلماء) فعليهم (الفضلاء الشباب) هم بأنفسهم أن يتحركوا ويسعوا ويعملوا بهمة وعزم.

تنظيم خاص

رابعاً: يجب إيجاد مركز خاص يتولى هذه الأعمال، فقبل أربع سنوات، جرى الحديث عن تأسيس هذا المركز، وقد أقيم بحمد الله، فالحوزة تملك اليوم مجلساً أعلى ومديراً، وأغتتم الفرصة لتوجيه الشكر للسيد "مؤمن" صاحب الخدمات الجليلة في إدارة الحوزة لعدة سنوات (أدام الله بقاءه الشريف) وكذلك لعزیزنا السيد "أستادي" (دامت بركاته) الذي أخذ على عاتقه هذه المسؤولية الجسيمة، وأنا أكنّ له المودة والإخلاص من صميم قلبي.

إن الحوزة يجب أن تتولى مسؤولية هذه الإصلاحية، فإدارة الحوزة يمكنها أن تعمل على صعيدين:

الأول: أعمال قانونية، ووضع أنظمة داخلية لتنظيم هيكلية الحوزة، ووضع برامج الامتحانات والقبول والرواتب.

أما الثاني: فهو أعمال كبيرة وجبارة، وربما لا تندرج تحت أي من اللوائح الإدارية، بل هي حركة جهادية وتعبوية، واعتماد أفراد متنوعين لتسيير الأمور.

المهم؛ يجب أن يقوم بهذه المهمة مركز خاص ومحدد وبرأيي فإنّ هذا المركز تمثله مديرية الحوزة.

توسيع المحافل التخصصية والتحقيقية

خامساً: إيجاد أجواء مناسبة لتنمية الأفكار؛ هذه المهمة يجب أن تتم في الحوزة، وهذا الأمر بحد ذاته يؤدي إلى تنشيط حيوية الحوزة.

يجب تشكيل مجامع خاصة للفقهاء والكلام والعلوم العقلية، فمثلاً يجب إيجاد مجمع فقهي خاص بدراسة المباحث الفقهية الجديدة، يتألف من سبعة إلى ثمانية أو عشرة أعضاء من الطلبة الأفاضل، بحيث يكون لهذا المجمع مركز، وتعقد اجتماعات منتظمة ومحاضرات فقهية مفتوحة، ليتمكن كل صاحب فكرة جديدة أو موضوع معين من مواضيع الفقه صغيراً كان أم كبيراً من الديّات والطهارة، من تقديمها إلى هذا المجمع لتجري مناقشتها؛ فإن رأى الأعضاء أن الموضوع مكتمل الأركان (لا أن تكون الفكرة صحيحة بالضرورة) ومستند إلى بحث واستدلال أصولي ومتخصص، قاموا بإدراجه في جدول أعمال المجمع لحين وصول دوره، فيأتي صاحب الفكرة أو الموضوع الجديد ليطرحه بكل حرية أمام جمع من المتخصصين يُعلن مسبقاً عن حضورهم ثم يقوم هؤلاء بمناقشته والإشكال عليه، وربما كان الحضور أكثر علماً من صاحب الفكرة لكن ذلك لا يضر أبداً، فالموضوع الذي يُطرح للنقاش ينشط الأذهان.

المهم؛ يجب أن لا نعلم إلى رفض كل من يطرح فكرة أو فتوى فقهية جديدة حتى لو كانت خاطئة، بحيث نعالجه بالرد عليه، والقول بأن فلاناً جاء بفتوى سخيفة في الموضوع الفلاني؛ لأن ذلك يبقى في النهاية رأياً فقهياً يجب طرحه على بساط البحث، وفتح الباب أمام إبداع الأفكار الجديدة، علماً بأن هذا الأمر يحتاج إلى قوانين وضوابط خاصة لئلا يتحول إلى طرح اعتباطي للأفكار.

وعلى غرار ذلك يجب تشكيل مجمع لـ "الكلام" يجري فيه طرح المواضيع والأفكار الكلامية ويحضره الطلبة، يجب أن يكون ممكناً طرح المواضيع في محيط الحوزة، وأن يتمكن أصحاب الأفكار الجديدة من طرحها والقول "رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" فما أكثر الذي يطرحون موضوعاً فقهياً معيناً فينقله عنهم بعض السامعين ليصبح بعد ذلك موضوعاً جديداً، وقد يكون الموضوع المطروح خاطئاً في أساسه ولا معنى له، لكنه قد يثير في ذهن السامع موضوعاً أو فكرة جديدة توصله إلى أفكار جديدة وممتازة. وهذا أيضاً ينطبق على الأمر العقلية.

تغيير المناهج الدراسية

سادساً: تغيير الكتب المقررة في التدريس، ويجب بذل اهتمام جدي بهذا الموضوع، وأن يكون الأساس في التغيير هو التوفير في وقت الطالب، فعندما نقرأ كتاب "المغني" نجد مضامينه الضرورية نفسها في كتاب صغير آخر، لقد كُتب "المغني" بلغة جيدة وعلى يد كاتب معاصر، فما حاجتنا لكتاب "ابن هشام" وما الذي يميّز هذا الكتاب؟ إن "المغني" هو درس خارج في النحو فهو يستدل على ما إذا كانت "الواو" تفيد المعنى الفلاني أو لا؛ ففلان قال: إنها تفيد ذلك ودليله هو كذا، أما فلان فقد رد عليه، هذا درس خارج فهل نريد أن نقرأ درس خارج في النحو؟ نحن نريد فقط أن نرى ماذا تفيد الـ"واو" فلماذا نصيغ كل هذا الوقت في "المغني" و"المطوّل"؟

وإنّ ما نحتاجه من "المطوّل" نجده في كتاب صغير يصل إلى عُشر حجم "المطوّل". ما الذي يحتم علينا قراءة "المعالم" الذي هو أول كتاب في الأصول، رغم أنه يعود إلى ما قبل أربعة قرون خلت؟

فهذا الكتاب في الأصول وموضوعه جديد على المتعلم، كما أن عباراته معقدة، فلماذا نضيع وقت الطالب بالعبارات المعقدة؟

اليوم يسعون في أنحاء العالم إلى تبسيط العبارات وتسهيل فهمها وإدراكها، بل يعمدون إلى ترميزها لتعوض كل كلمة عن عشرة كلمات، بينما نأتي نحن ونختار العبارات الصعبة المعقدة.

إن المواضيع نفسها الواردة في "المعالم" صيغت من قبل عالم آخر في كتاب أصغر حجماً من "المعالم" وأحدث منه أسلوباً، وبعد أربعة قرون من صدور "المعالم" جاءت محتوياته في كتاب سهل اللغة والبيان، فما الذي يبرر عدم استبدال الكتاب القديم بالجديد؟

يجب أن تجتمع لجنة من فضلاء الحوزة العلمية، وتضع دورة مناهج متكاملة في الفقه بدءاً من الطهارة وحتى الدّيّات لتقوم بما قام به كتاب "شرح اللمعة"، وبيان كيفية الاستدلال فشرح اللمعة معقد الأسلوب فلماذا نضيع وقت الطالب بعباراته؟

ويسري هذا الأمر على باقي الكتب الدراسية المقررة، فهي ليست مُنزلة من السماء، حتى أن تلك الكتب لم تكن يوماً مقرّرة بل كانت كتب أخرى غيرها، فهل يشكو كتاب "الرياض" من نقص؟ يقال: أن كتاب المكاسب لـ"الشيخ" كتاب جيد لكن هل كان كتاب "رياض" سيئاً؟ ففي زمن ما كانوا يدرسون هذا الكتاب في الحوزة العلمية . طبعاً كان ذلك قبل زماننا بل في زمان آبائنا . فهل يجب علينا أن ندرس هذا الكتاب الآن أيضاً؟ لقد كان يدرسون "القوانين" و"الفصول" سابقاً، لكنها نُسخَت الآن ولم يعودوا يدرسونها، فما المانع في ذلك؟

يجب أن تتألف لجنة تتولى إعادة كتابة المواضيع التي تريدون دراستها في المكاسب، والتي وردت بعبارات وأسلوب معقد لتصاغ مجدّداً في كتاب جديد وبأسلوب سهل ممتنع، مع كل استدلالاتها ليصبح هذا الكتاب مقرراً في منهج الحوزة.

نريد أن يقوم جهد يكفل تيسير الدراسة للطالب بحيث إذا وصل إلى بحث الخارج . الذي يمثل مرحلة الدراسة الحقيقية لأن المراحل السابقة هي مقدّمة للخارج . لا يصاب بالدوار حين يسمع عبارات أستاذه، ونريد أن يتعلّم الطالب (قبل درس الخارج) المسائل الأصولية، ويدرس كتب الأصول، وأن يتعلّم الفقه ويتعوّد ذهنه على الاستدلال ويعرف الأسس التي اعتمدها "الشيخ" و"الآخوند".

هذه العلوم هي هدف الطلبة خلال مراحل مقدّمة السطوح والسطوح العالية، فما المانع من أن يجتاز كل ذلك في أربع سنوات؟ لنقبل الطلبة من خريجي الثانوية (البكالوريا) وليدرسوا على مدى خمس سنوات المقدمات والآداب، والسطوح، ثم ليدخلوا مرحلة الخارج ليبدأ عملهم الأساس، فلو استطعنا تقليص مدة الدراسة، فسنمكّنه من التزوّد بعلوم أخرى أيضاً.

لو قلنا . اليوم . أن طالب الحوزة بحاجة إلى تعلّم لغة أجنبية ليصبح عنصراً مفيداً في عالم تقلّصت فيه المسافات، وارتبط ببعضه البعض، لجاءنا الجواب إن الطالب لا يملك الوقت لذلك، وهم على حق، لأن الطالب مع وجود هذه المناهج لا يملك الوقت أبداً، أما لو استطعنا تقليص وقت الدراسة فسيتمكن الطالب من تعلم اللغة الأجنبية أيضاً.

إذن يجب أيضاً القيام بعملية تغيير جذري في المناهج الدراسية لأن التطوير يجب أن يبدأ من الأساس، والمناهج هي الأساس الذي يجب أن تبدأ به عملية التغيير، أما في مرحلة الخارج في الفقه فيجب أن تطرح مباحث أكثر عملية لأن بعض الأبحاث الموجودة خاصة في الفقه والأصولية لم يعد أحد بحاجة إليها لكنها تطرح لغاية الآن، فالفقيه ربما يحتاج إلى بحث ما أو مباني معاني الحروف أو الحقيقة والمجاز أو مباني أخرى مرة واحدة خلال عشرين عاماً فلماذا يضيع وقته في هذه الأبحاث غير الضرورية.

لقد قام المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر بعمل جيد في هذا المجال، فما أنجزه في باب الأصول، وما اقترحه في مجال تدريس الأصول كان شيئاً جيداً.

إيجاد فروع مستقلة في "الكلام"

سابعاً: إيجاد فروع مستقلة في "الكلام" كما هو الحال في الفقه، فالفقه فرع رئيسي في الحوزة العلمية ويجب أن يصبح "الكلام" كذلك أيضاً. لا تكتفوا بعدة ساعات "للكلام"، كلاً، فالطالب يجب أن يدرس إلى مستوى معي، ثم يتوجه على الفقه أو الكلام باعتباره فرعاً أساسياً في الحوزة؛ يجب لدينا مجتهد في "الكلام" أيضاً.

الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية

ثامناً: إدخال اللغات الأجنبية ضمن الدروس الإجبارية للحوزة وقد تحدثت عن هذا الموضوع.

تصنيف الطلاب على أساس الأهداف والحاجات

تاسعاً: التصنيف التدريجي للطلاب حسب الأهداف، فقد أطلعت على إحصاء يشير إلى وجود 23 أو 24 ألف طالب في الحوزة، ولو اعتمدنا هذا الرقم فيجب أن يكون لدينا 7 أو 9 آلاف شخص من لفضلاء والعلماء الكبار الذي لا مكان لهم في هذا التقسيم، وهؤلاء هم ممن اجتازوا مراحل عديدة وبلغوا مستويات عالية، وأما القسم الآخر فيتألف من أناس لم يكونوا من أهل الدراسة والتحصيل في فترة الشباب وليس لديهم القوت الكافي لذلك الآن.

لو افترضنا وجود خمسة عشر ألف طالب في قم وحدها، فعلينا حسب الضوابط السابقة اختيار حوالي ألف من هؤلاء لإعدادهم كي يكونوا فقهاء ومجتهدين كباراً في المستقبل، وضمن المدة الزمنية اللازمة، ولنفترض لدورة زمنية للدراسة مدتها عشرون عاماً حيث يدخل كل عام عدد جديد أيضاً لينضم إلى هؤلاء، وبالمقابل يخرج عدد منهم أيضاً لكن المعدل هو عشرون عاماً.

هؤلاء الأفراد يجب أن يكونوا على استعداد، ويمتلكون الرغبة والشوق للفقاهة، وليسوا ممن يفكرون في ترك التحصيل، هؤلاء يجب اختيارهم وتخصيص برامج في الفقاهة خاصة لهم، وسيخرج من بين هؤلاء مدرسون ومؤلفون كبار في الفقه، ومراجع التقليد؛ فلو تخرج من الحوزة ألف فقيه كل عشرين عاماً فسيكون رقماً كبيراً جداً.

وإذا ما نظرتم إلى العشرين أو الأربعين عاماً الماضية، فستدركون أن ألف فقيه كبير وبارز يمكنهم في المستقبل تغطية أرجاء العالم الإسلامي في مجال الفقه، وألف متكلم مجتهد في الكلام يسد حاجة العالم الإسلامي، ليسوا بالعدد القليل.

عليكم أن تختاروا الذين يُقبلون على الدراسة بشوق وشغف، ويجب أن تعطوهم دروساً خاصة، وإذا لزم الأمر يجري إرسالهم إلى الخارج في دورات أو إرسالهم في بعثات علمية إلى الخارج.

بعد ذلك يتم اختيار خمسة آلاف عالم للمدن، يجري إعدادهم في مستوى متوسط، وبين هؤلاء مجتهد وقريب للاجتهد ومجتهد متجزئ؛ فيجري تأمين ما يحتاجونه، وهؤلاء يجتازون بالطبع دورات محددة، ربما تصل مدتها إلى عشرين عاماً.

فلو استمرت دورة الفئتين الأوليين عشرين عاماً، فإن مرحلة الفئة المتوسطة ربما تكون أقل من ذلك؛ كل هذا يمكن أن يُخطّط له.

إلى ذلك يجري انتخاب خمسة آلاف شخص آخر ليتم إعدادهم وتخريجهم مبلغين وخطباء وكتّاب وعلماء أفاضل، وثلاثة آلاف شخص ليكونوا مبلغين خارج البلاد.

وبهذا سيكون مجموع هؤلاء خمسة عشر ألف شخص؛ هذا التقسيم لا يمكن أن يتم غداً، ولو ابتدأنا اليوم فلربما نتمكن من إنجاز هذا التقسيم بعد خمسة أعوام؛ لكن الحوزة يجب أن تصل إلى هذه المرحلة، وكل يوم يمر دون إنجاز هذا العمل سيؤدي إلى تأخرنا أكثر فأكثر.

أعلم أنه عمل صعب ومُعقّد، لكنه ممكن . إذا قررت الحوزة وليس شخصاً واحداً . إنجازه.

الحديث لمن؟

الذين أتوجه إليهم في كلامي ثلاث فئات:

الأولى: رجال الحوزة وكبارها الذين يحضر منهم الكثير في هذا اللقاء؛ وأنا أكن لغالبية هؤلاء السادة كل تقدير وإخلاص منذ القدم؛ منهم من فضلاء وكبار هذه الحوزة من عرفانهم دائماً بالتقوى والعظمى والعلم، وهم في مقدمة من نخاطبهم؛ نظراً لنفوذهم الكبير.

الثانية: الفضلاء والشباب في الحوزة، فأنتم معنيون بالكلام بشكل خاص، وعليكم أن تشمروا عن سواعدكم للعمل.

الثالثة: جهاز الإدارة وشخص مدير الحوزة العزيز، والمجلس الأعلى للحوزة العلمية، وهؤلاء سيتحملون القسط الأكبر من المسؤولية. ولأجل أنني سير العمل على ما يرام يجب أن يعقدوا اجتماعات علمية مستمرة.

خلال زيارتي السابقة طلبت أن تعتمدوا أسلوب الندوات لحل أي مسألة تواجهونها؛ والندوات يجب أن تكون بالمعنى الحقيقي، وليست اجتماعاً يتحدث فيه اثنان أو ثلاثة أشخاص ثم يذهب كل إلى سبيله، فهذه ليست ندوة؛ بل الندوة أن يتم اختيار موضوع يحتاج إلى تأمل عقلي فيقوم أهل الرأي بالتفكير والقراءة والخ... حول الموضوع ثم يجتمعون للبحث والتداول فيهن وليقدم كل منهم رأيه، ثم تقوم إدارة الندوة بجمع هذه الآراء لاستخراج حصيلة منها.

وبالطبع فقد عقدت ندوة دراسية قبل فترة، وكانت نتائجها جيدة والحمد لله، لكن أحداً لم يتابع هذه النتائج.

عليكم أن تختاروا أشخاصاً مناسبين لهذا العم، اختاروا الأساليب اللازمة، وتوصلوا إلى حلّ للمسائل المطروحة، اختاروا خمسين أو مائة من أصحاب الرأي، بالتفكير والدراسة والاستدلال، فالحوزة العلمية هي حوزة استدلالية.

تباحثوا بالأسلوب الحوزوي لتصلوا إلى النتائج المطلوبة.

اللهم وفقنا لرضاك بحق محمد وآل محمد (ص)

اللهم أغفر لنا ووقفنا لإخلاص النية، واجعل نصيبنا من هذا اللقاء كبيراً عندك.

اللهم وفق الحوزة العلمية وبارك فيها، وشاملها برعاية الإمام الغائب المنتظر "أروحننا فداه".

اللهم أجعل نصيبنا من هذا الشهر المبارك كبيراً، اللهم اقسم لنا في شهرنا هذا خير ما قسمتَ واختم لنا من قضائك خير ما ختمت وأقسم لنا بالسعادة فيمن ختمت، أحينا موفورين وأمتنا مسرورين ومغفورين.

[1] (مدينة قم، شهر رجب، 1416 هـ.ق).

[2] (أي ما وراء نهر جيحون بخراسان).

[3] (أي بلاد الشام).

[4] (مدينة تقع جنوب بغداد عاصمة العراق).

[5] (الشيخ مرتضى الأنصاري).

[6] (العلامة الحلي).

[7] (صاحب كتاب "تبصرة العوام في المقالات" (سفينة البحار 3 / 370 . الذريعة 3 / 318).

[8] (عبارات الأنوار).

[9] (وهو السلطان الجايتو محمد المغولي الملقب بشاه خدابنده).

[10] الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

[11] السيد أبو الحسن الاصفهاني.

نماذج من البرامج والمقررات الدراسية

المتبعة في الحوزات العلمية

وفيما يلي نماذج من البرامج والمقررات الدراسية المتبعة في الحوزات العلمية في الماضي والحاضر، انطلاقاً من ثلاثية مراحل التحصيل (المقدمات، والسطوح، والخارج).

. البرنامج والمقررات الدراسية المعتمدة في حوزة قم المقدسة (المنهاج غير المدرسي . الحر)، نموذج رقم (1).

. البرنامج المعتمد في حوزة النجف الأشرف (تاريخياً)، نموذج رقم (2).

. البرنامج المعتمد في مدرسة العلوم الإسلامية، نموذج رقم (3).

. البرنامج في كلية الفقه، نموذج رقم (4).

. البرنامج المقترح من قبل الشيخ مصباح يزدي لحقلي الفقه والقضاء، نموذج رقم (5)، و(6).

. البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرم (ص) للمرحلة العامة، نموذج رقم (7).

. البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرم (ص) لمرحلة التخصص في الفقه والأصول، نموذج رقم (8).

. البرنامج المعتمد في معهد الرسول الأكرم (ص) لمرحلة التخصص في الفلسفة والكلام الإسلامي،
نموذج رقم (9).

!Error

نموذج رقم (1)

(1) الصرف: المقرر الدراسي لمادة الصرف عادةً. هو "شرح أمثلة" و"صرف مير" وغيرهما من كتاب
"جامع المقدمات".

(2) النحو: المقرر الدراسي لمادة النحو هو الكتب التالية بالترتيب: 1. الهداية والصمدية من كتاب "جامع المقدمات" 2. شرح السيوطي على ألفية ابن مالك، 3. والمغني لابن هشام.

(3) البلاغة: إن المقرر الدراسي المعتمد في مادة البلاغة هو "مختصر المعاني" للتفتازاني (توفي 791هـ) و"المطول" له . أيضاً . وأخيراً استبدل "المختصر" بـ"جواهر البلاغة" لأحمد الهاشمي أو "البلاغة الواضحة" لعلي الجارم وزميله.

(4) المنطق: المقرر الدراسي المعتمد هو كتاب "الحاشية" للملا عبد الله اليزدي (توفي 1981هـ)، و"الشمسية" لقطب الدين الرازي (776هـ) ومنطق "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا، ودرج أخيراً "منطق المظفر" بدل الحاشية.

(5) الأحكام: المقرر الدراسي لمادة الأحكام هو "الرسالة العلمية" للمراجع الأكثر شهرة في الحوزات الدينية. مثلك "العروة الوثقى" للسيد كاظم اليزدي و"وسيلة النجاة" للسيد أبو الحسن الأصفهاني، و"تحرير الوسيلة" للإمام الخميني و"المنهاج" للسيد الحكيم والسيد الخوئي وغيرهما.

(6) أصول الفقه: المقرر الدراسي المعتمد لمادة أصول الفقه هو الكتب التالية بالترتيب:

1. معالم الدين وملاذ المجتهدين: للشيخ حسن زين الدين (توفي 1011هـ).

2. قوانين الأصول: للميرزا القمي الكبير (توفي: 1227هـ). واستبدل بكتاب فرائد الأصول المعروف "بالرسائل" للشيخ مرتضى الأنصاري (توفي 1281هـ).

3. كفاية الأصول: للشيخ محمد كاظم الخراساني (توفي 1329هـ).

ملاحظة: استبدل كتاب "الرسائل" في العقدين الأخيرين بكتاب "أصول الفقه" للشيخ محمد رضا المظفر وشاع تدريس "دروس في أصول الفقه" في ثلاث مراحل المعروف بـ "الحلقات" للسيد محمد باقر الصدر بدل الكتب الثلاثة المعروفة (أي المعالم والرسائل والكفاية).

(7) الفقه: المقرر الدراسي الشائع للفقه الاستدلالي في المرحلة الأولى من السطوح هو كتاب "شرح اللمعة الدمشقية" لـ (الشيخ محمد مكي المعروف بـ "الشهيد الأول" والشيخ زين الدين العاملي المعروف بـ "الشهيد الثاني" توفي 569هـ).

(8) الفلسفة والكلام: المقرر التقليدي لمادة الفلسفة هو كتاب شرح "المنظومة" لملا هادي السبزاوري (توفي 1289هـ) وكتاب "الأسفار الأربعة" لصدر الدين الشيرازي المعروف بـ "ملا صدرا" توفي (1050هـ).

وقد استبدل "شرح المنظومة" بكتابي: "بداية الحكمة"، و"نهاية الحكمة" للسيد محمد حسين الطباطبائي في حوزة قم.

وأما المقرر الدراسي التقليدي لمادة الكلام الإمام هو "شرح الباب الحادي عشر" للعلامة الحلي (توفي 726هـ). وتجريد والاعتقاد لنصير الدين الطوسي (توفي 627هـ). وشرحه للعلامة الحلي.

(9) علوم الحديث: المقرر المعتمد لمادة علوم الحديث هو "البداية" و"الرعاية" لزين الدين العاملي المعروف بـ "الشهيد الثاني".

نمودج رقم (2)

!Error

نموذج رقم (3)

الموارد الدراسية في كلية الفقه . النجف الأشرف ([1])

السنة الأولى		السنة الثانية		السنة الثالثة		السنة الرابعة	
1	الفقه	1	الفقه	1	الفقه	1	الفقه

2	أصول الفقه	2	أصول الفقه	2	أصول الفقه	2	أصول الفقه المقارن
3	الحديث	3	التاريخ الإسلامي	3	التفسير / علوم القرآن	3	أصول الفقه
4	النحو	4	الفلسفة الإسلامية	4	التاريخ الإسلامي	4	التفسير / علوم القرآن
5	البلاغة	5	النحو	5	الفلسفة الإسلامية	5	الفلسفة الحديثة
6	تاريخ الأدب العربي	6	البلاغة	6	الالتزام (قانون)	6	النحو
7	أصول البحث	7	تاريخ الأدب العربي	7	النحو	7	تاريخ الأدب العربي
8	المنطق	8	النقد	8	العروض	8	فقه اللغة

9	علم الاجتماع	9	علم النفس	9	تاريخ الأدب العربي	9	طرق التدريس
10	اللغة الإنكليزية	10	اللغة الإنكليزية	10	النقد	10	أصول البحث
11		11		11	التربية	11	الصرف

نموذج رقم (4)

نمودج رقم (5)

نموذج رقم (6)

معهد الرسول الأكرم (ص) العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، الأرصدّة الدراسية (الليسانس)

السنة الأولى / الفصل الأول

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
011	التجويد	2	34	ملزمة دراسية
031	العقائد(1) (مبادئ العقيدة)	3	51	العقيدة الإسلامية / السبحاني

041	الأخلاق (1)	2	34	منية المريد
051	فقه العبادات (الأحكام)	4	68	تحرير الوسيلة
071	المنطق (1)	1	17	ملزمة دراسية
091	الصرف	2	34	مبادئ العربية . 2
092	النحو (1)	3	51	مبادئ العربية . 2
101	السيرة (1)	2	34	كتاب المنظمة
	مجموع والحصص	19	323	

الفصل الثاني

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
012	علوم القرآن وتاريخه	3	51	الميسر في علوم القرآن
031	العقائد (2)	3	51	دروس في العقيدة الإسلامية / اليزدي
041	الأخلاق (2)	1	17	الإعداد الروحي / حسين معن
051	فقه الأحوال الشخصية	4	68	تحرير الوسيلة

071	المنطق (2)	4	68	منطق المظفر
092	النحو (2)	4	68	مبادئ العربية . 4
101	السيرة (2)	2	34	كتاب المنظمة
	مجموع والحصص	21	357	

نموذج رقم (7)

السنة الثانية / الفصل الأول

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
103	مبادئ التفسير ومناهجه	3	51	المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم

031	العقائد (3)	3	51	دروس في العقيدة الإسلامية / اليزدي
051	فقه المعاملات	4	68	تحرير الوسيلة
071	المنطق (3)	4	68	منطق المظفر
092	النحو (3)	4	68	مبادئ العربية . 4
101	التاريخ الإسلامي (1)	2	34	كتاب المنظمة + ملزمة
107	منهجية البحث العلمي	2	34	أصول البحث والتحقيق
	مجموع والحصص	22	374	

الفصل الثاني

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
104	التفسير التجزيئي	3	51	ملزمة دراسية
012	دراية الحديث	2	34	أصول الحديث
033	المدارس والأديان	3	51	ملزمة دراسية
052	المدخل إلى دراسة الفقه	2	34	ملزمة دراسية
061	أصول الفقه (1)	3	51	دروس في علم الأصول (ح1)
093	البلاغة	3	51	البلاغة الواضحة
101	التاريخ الإسلامي (2)	2	34	كتاب المنظمة + ملزمة
104	مبادئ علم النفس	2	34	ملزمة دراسية

	340	20	الوحدات	مجموع والحصص
--	-----	----	---------	-----------------

السنة الثالثة / الفصل الأول

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
032	مبادئ علم الكلام	3	51	مبادئ علم الكلام + القواعد الكلامية
053	الفقه الاستدلالي	4	68	دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي
055	القواعد الفقهية	2	34	كتاب المنظمة
061	أصول الفقه (2)	3	51	دروس في علم الأصول (ح2)

072	الفلسفة (1)	3	51	المنهج الجديد
094	تاريخ الأدب العربي	3	51	ملزمة دراسية
101	التاريخ الإسلامي المعاصر	2	34	ملزمة دراسية
108	مدخل إلى علم الاجتماع	2	34	ملزمة دراسية
	مجموع الوحدات والحصص	22	374	

الفصل الثاني

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
022	رجال الحديث	2	34	دروس تمهيدية في القواعد

الرجالية				
ملزمة دراسية	51	3	الفرق والمذاهب	034
ملزمة دراسية	34	2	فلسفة الأخلاق	042
دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي	68	4	الفقه الاستدلالي (2)	053
ملزمة دراسية	51	3	نظريات الحكم والإدارة في الإسلام	054
دروس في علم الأصول (ح2)	51	3	أصول الفقه (3)	061
المنهج الجديد	51	3	الفلسفة (2)	072
ملزمة دراسية	17	1	تاريخ عصر النهضة	103
			مجموع الوحدات	

	والحصص	21	357	
--	--------	----	-----	--

السنة الرابعة / الفصل الأول

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
015	التفسير الموضوعي	3	51	ملزمة دراسية
023	فقه الحديث	2	34	ملزمة دراسية
053	الفقد الاستدلالي (3)	4	68	دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي
061	أصول الفقه (4)	3	51	دروس في علوم الأصول (ح2)
072	الفلسفة (3)	2	34	المنهج الجديد

أساليب التدريس	3	51	ملزمة دراسية	106
مناهج التبليغ	2	34	ملزمة دراسية	0
مجموع الوحدات والحصص	19	323		

الفصل الثاني

الرقم	المادة الدراسية	الوحدات	الحصص	المقرر الدراسي
035	بحوث كلامية مقارنة	3	51	ملزمة دراسية
053	الفقه الاستدلالي (4)	2	34	دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي
056	فلسفة الفقه	2	34	ملزمة دراسية

057	الفقه المقارن	3	51	كتاب المنظمة
111	أصول البحث والتحقيق	2	34	ملزمة دراسية
0	إعداد الرسالة	3	51	
	مجموع والحصص	15	255	

معهد الرسول الأكرم (ص) العالي للشريعة والدراسات الإسلامية

المواد الأساسية لمرحلة التخصص (الماجستير) في الفقه والحقوق الإسلامية

عدد الوحدات	المادة	عدد الوحدات	المادة

1	أصول الفقه (1)	2	16	القواعد الفقهية (2)	2
2	أصول الفقه (2)	2	17	تأويل النص	1
3	أصول الفقه (3)	2	18	آلية الاستنباط الفقهي (الاجتهاد والتقليد)	2
4	أصول الفقه (4)	2	19	آيات الأحكام	1
5	أصول الفقه (5)	2	20	النظام الحقيقي والقانون الإسلامي (1)	1
6	الفقه الاستدلالي (1)	4	21	النظام الحقوقي والقانون الإسلامي (2)	1
7	الفقه الاستدلالي (2)	4	22	علم المناهج (منهج التحقيق)	2
8	الفقه الاستدلالي (3)	4	23	النظام القضائي في الإسلام	1

9	الفقه الاستدلالي (4)	4	24	فلسفة العبادات	1
10	الفقه الاستدلالي (5) فقه (الحكومة)	2	25	الوسائل التبليغية الحديثة	1
11	الفقه الاستدلالي (6) مباحث فقهية جديدة	2	26	الأخلاق والعرفان (1)	1
12	الفقه المقارن (1) (العبادات)	2	27	الأخلاق والعرفان (2)	1
13	الفقه المقارن (2) (الأحوال الشخصية)	2	28	اللغة التخصصية	2
14	أصول الفقه المقارن	2	29	رسالة التخرج	4
15	القواعد الفقهية (1)	2			
	مجموع الوحدات		60		

المواد المطلوبة لمرحلة الماجستير

عدد الوحدات	المادة	عدد الوحدات	المادة
1	تاريخ الفقه	2	علم الدراية والرجال
2	مناهج العلوم الشرعية	2	فلسفة الدين
2	مصادر الاستنباط (المقارن)	2	فلسفة الفقه
		1	تاريخ الأصول
60		مجموع الوحدات	

نموذج رقم (8)

معهد الرسول الأكرم (ص) العاليي للشريعة والدراسات الإسلامية

المواد الأساسية لمرحلة التخصص (الماجستير) في الفلسفة والكلام الإسلامي

المادة	عدد الوحدات	المادة	عدد الوحدات
1 الفلسفة المشائية	2	1 الفلسفة الإسلامية (1)	4
2 فلسفة الإشراق	2	2 الفلسفة الإسلامية (2)	4
3 الحكمة المتعالية	4	3 الفلسفة الإسلامية (3)	2
4 الفلسفة الغربية (1)	2	4 تاريخ الفلسفة الغربية (1)	2

5	الفلسفة الغربية (2)	2	الإثباتية المنطقية والوجودية	5	تاريخ الفلسفة الغربية (2)	2	القرون الوسطى
6	الكلام الإسلامي	2		6	تاريخ الفلسفة الغربية (3)	2	بعد عصر النهضة
7	المباحث الجديدة الدين (1)	2	الكلامية وفلسفة	7	علم المعرفة	2	
8	المباحث الجديدة الدين (2)	2	الكلامية وفلسفة	8	تاريخ علم الكلام	2	
9	المباحث الجديدة الدين (3)	2	الكلامية وفلسفة	9	تاريخ الفلسفة الإسلامية	4	
10	هرمونوطيقا	2		10	الفلسفة السياسية	2	

		2	11	بالتركيز على نقد تاريخ العلم	2	11	الفلسفة العلمية
		2	12	تاريخ العرفان	2	12	المباحث الفلسفية والكمالية لعلم الأصول
		2	13	تاريخ الحضارة الإسلامية	2	13	الفكر العقلي في الكتاب والسنة
		2	14	الإلهيات الإسلامية والمسيحية المقارنة	2	14	العرفان النظري
			15		2	15	نقد الفكر العقلي البرهان، الجدل، المغالطة
			16		2	16	النصوص بلغة أجنبية الفلاسفة التجريبيين

				(هيوم)			
					4	بحث التخريج	
	34	المجموع			38	المجموع	

نموذج رقم (9)

الحوزة وضرورة نهضة علمية جديدة ([1])

نبدأ أولاً كما جرت العادة بذكر حديث شريف تبركاً بمعارف أهل البيت (ع) إن شاء الله. جاء في وصية الرسول لأُمير المؤمنين (ع) أنه قال: "يا علي، إنّ من اليقين أن لا ترضى أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله، ولا تدم أحداً علماً لم يؤتكَ الله، فإنّ الرزق لا يجره حرص حريص، ولا تصرفه كراهة كاره. إنّ الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط لله" ([2]). والسخط هنا بمعنى الغضب من جميع الحوادث، فإذا أعطاه الله غضب لأن الله لم يعطه أكثر من ذلك، وإذا أصابه أذى غضب وسخط للذي أصابه. فإذا أراد المرء بلوغ الروح والفرح عليه أن يبحث عن الرضا واليقين. فإذا كان في هذه الدنيا خير ومنفعة فهو من نصيب الزاهد القانع.

بمناسبة بدء الموسم الدراسي الجديد لدينا في الحوزة العلمية بقم وسائر الحوزات العلمية، رأينا ضرورة الإشارة. قبل الشروع ببحثنا الفقهي. إلى بعض الشؤون المتعلقة بالحوزة وبنا نحن طلبة العلوم الدينية.

كما ازدادت أهمية الدين في الحياة، ازدادت إلى جانب ذلك أهمية الحوزات العلمية. فالدين يمثل اليوم محور اهتمام عالمي، ويحظى الإسلام العزيز والأحكام الإسلامية المقدسة بأهمية بالغة من قبل الساسة والمفكرين والمتخصصين بالقضايا والعلوم الاجتماعية والكثير من الجماهير وخاصة الشباب منهم. في الكثير من بقاع العالم، وفي البلدان الإسلامية على وجه الخصوص. ومن المؤكد أن القسم الأعظم من الحادثة التي بدأت منذ عقدين من الزمن خلافاً للتوقعات وللتيار السائد في العالم، ترتبط بانتظار الدين في هذا البلد وإقامة نظام إسلامي. ولهذا فإن الدراسات الجارية على الدين اليوم في كل أنحاء العالم، ليست في معزل عن جانبه السياسي، ولا تنظر إليه مجرداً عن تأثيره السياسي؛ وتتخذ المواقف إزاءه وفقاً لهذا الأساس، مثلما أنّ القلوب التي تهفو إلى الدين، وأقصد الشباب العالم الإسلامي والأجيال الصاعدة فيه وفي بعض المناطق الأخرى من المعالم، لا تُقبل عليه مجرداً من حضوره السياسي والاجتماعي.

نحن نعيش اليوم في مركز هذا الاهتمام العالمي، أو بعبارة أخرى إن الإسلام وخاصة الجمهورية الإسلامية تقع في بؤرة هذا الاهتمام. ولعلكم تسمعون أو تعلمون بعقد ندوات تخصصية وعلمية ذات توجهات مختلفة في بقاع متعددة من العالم وخاصة في بعض الدول التي ليست لها مواقف ودية من الإسلام ومن الجمهورية الإسلامية، من أجل دراسة هذه الظاهرة. وهذا ما يعكس مدى أهمية هذه القضية.

على الحوزات العلمية التخطيط لحركة ونهضة جديدة

ونحن اليوم بصفقتنا أناس ننتمي إلى الحوزات العلمية، يجب علينا أن نخطط لفكر وحركة ونهضة جديدة في منهاجنا العلمي وفي مباحثنا الإسلامية، وفي ضوء هذه الظاهرة العالمية؛ فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية والمعارف والكلام والفقه، يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام والدقة وتقييم عملنا من جديد بصفقتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينية.

فاليوم ليس يوماً نستطيع فيه التحدث باسم الدين بكلام غير رصين، أو أن نرسم لأنفسنا هدفاً يتعذر علينا استخراجهُ من المعارف الإسلامية، أو أن نقف مكتوفي الأيدي إزاء ما يدخل ضمن الأهداف الدينية والقضايا الفقهية أو الكلامية المهمة. وليس هناك لزوم يدعونا إلى التشبث بشيء آخر سوى المهمة العلمية من أجل اقتفاء هذا السبيل الجديد. فلو كانت لدينا دوافع بقدر ما يحمله أي عالم من اندفاع علمي إزاء ما يهتم به علمياً، تجاه المباحث الإسلامية. ناهيك عن الاعتقاد والإيمان والواجب والمسؤولية الدينية. واعتبرنا هذه المهمة العلمية والشعور بالتعلق بما يؤدي له هذا العمل العلمي ونعتقد به علمياً، فإن ذلك يكفي لما نفهمه من الإسلام ونشره باسم الإسلام ولأجل الإسلام، ونفتح له حساباً جديداً.

لا شك في أنّ مركز هذه التوجّهات والدراسات العلمية هو الحوزات العلمية. وهذا لا يعني طبعاً أنّ الآخرين من غير منتسبي الحوزات العلمية لا يحقّ لهم التفكير أو البحث في القضايا الإسلامية؛ فالكلام ليس في الحقّ وعدمه، بل لأنّ مستلزمات هذه الدراسات لا تتوفر إلّا في الحوزات العلمية.

إنّ من حقّ كل إنسان أن يصبح طبيباً، إلّا أنّ من يريد أن يصبح طبيباً عليه أن يدخل كلية الطب، إذ لا ينبغي تحصيل العلم في موضع لا يتوفر الأستاذ والعلم والمختبر والمعلم والمتمرّس في هذا المجال. والموضع المناسب لفهم الدين والتعمّق في المسائل الدينية إلى حدّ التخصص هو الحوزات العلمية. من الممكن طبعاً أن يكون لدى كل شخص معلومات دينية أدنى من حدّ التخصص، إلّا أن التخصص في الدين يستلزم دخول الحوزات العلمية والدراسة على يد الأساتذة المتخصّصين في العلوم الدينية وأخذ تلك العلوم عنهم.

وفي المقابل يجب أن تكون الحوزات العلمية قادرة على تلبية هذه الحاجة. فأهمية الحوزات العلمية اليوم لا تنحصر في القدرة على تبليغ الدين. فهذا طبعاً واحد من واجباتها الأساسية والمهمة. إلّا أن الواجب الآخر الذي يفوق أهمية التبليغ، أو يوازيه في الأهمية على أقلّ تقدير، هو التعليم والتدريس الفني والعلمي للمباني والمعارف الدينية بما في ذلك الفقه أو الكلام أو الفلسفة أو بقية العلوم التي

يحتاجها بالدرجة الثانية. وهذا يعني تزايد أهمية الحوزات العلمية وعلماء الدين ومدرّسي العلوم الدينية والعلم الذي يمارسه طالب العلوم الدينية.

المباحث الأساسية في الحوزات العلمية

أمّا ما هي المباحث التي يجب أن تتخذ كأساس في الحوزات العلمية في هذا المجال، فهذا أمر تحدّثنا عنه مرّات عديدة، ونتحدث عنه هنا مرّة أخرى أيضاً؛ فالفروع الأساسية في الحوزات العلمية هي على الترتيب الآتي: أولاً: الفقه، ثانياً: علم الكلام، ثالثاً: الفلسفة. فالفقه هو العامود الفقري للحوزات العلمية، وعلم الكلام من الأركان الأساسية لها، والفلسفة جزء من مستلزماتها المؤكدة، فيجب على المدرّسين الصالحين الكفوئين والطلبة المجدّين المثابرين دراسة هذه العلوم الثلاثة، ويجب على الحوزات العلمية التحرك في هذا المجال بجدّ ونشاط وحيوية.

وفي الوقت ذاته ينبغي عدم الاكتفاء بهذه الحقول فحسب؛ فهذه هي العلوم الأساسيّة، ولكن توجه إلى جانبها علوم أخرى يجب الإلمام بها، من قبيل التفسير، وعلم الأصول الذي تجب دراسته إلى جانب الفقه كمقدمة واجبة له، فضلاً عن علم الحديث والرجال وكل ما يتعلق بمقدمات فهم الكتاب والسنة.

هذا إضافة إلى فنون تبليغ الدين؛ فقضية تبليغ الدين في الوقت الحاضر أصبحت قضية علميّة، وعلوم الاتصالات التي تبذل لها إمكانيات هائلة في جامعات العالم تعني في الحقيقة بأساليب الارتباط بالتبليغ. ونحن لدينا أساليب في الارتباط بمخاطبيننا، وهي بطبيعتها أساليب جيّدة، إلّا أنّها على كل الأحوال غير كافية. ولا أريد هنا الإيعاز إلى الطلبة بدراسة علوم الاتصالات، ولكنني أريد التأكيد على المدار وواضعي المناهج في الحوزات العلميّة بالتخطيط لعلم لهم في ضوء معطيات هذه العلوم، ووضع القدر اللازم من هذه العلوم تحت تصرّف من يحتاجون إليه وبدرجات مختلفة حسب ما تتطلبه حاجة الحوزات العلميّة، وخاصةً لمن يعملون في حقل التخطيط والبرمجة لشؤون التبليغ.

ولاشك في أنّ الإطلاع على التيارات الفكرية السائدة في العالم ضروري للحوزات العلميّة، وإلّا فلن نكون واثقين من صحة القرارات والممارسات التي نتخذها في مجال التبليغ؛ فإذا لم نحدّد مخاطبيننا

ونكون على معرفة بهم وبالتيارات الفكرية المحيطة بهم، فقد نتحدث إليهم بأمر لا وجود لها في أذهانهم ولا هي موضع اهتمامهم ولا تدور ي عقولهم أية تساؤلات عنها. أي أنّ العمل الذي أنجزناه كان عبثاً. إذّا تجب معرفة المخاطب وتحديد طبيعته.

ما أكثر الأشخاص القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين غيرهم. فالمخاطب يجب تحديده بدقة. ويجب على الأجهزة الإدارية في الحوزات العلميّة أن يكون لديها نشاط وفعالية وتخطيط في هذا المجال.

يجب معرفة المخاطبين والأسئلة التي تختلج في أذهانهم والتيارات الفكرية السائدة عليهم. فهناك في علام اليوم شبهات ومباحث وآراء جديدة مطروحة على بساط البحث يستند بعضها إلى أسس علميّة. فالشخص الذي يضطلع بمهمّة تبليغ الدين وتبيين رؤاه أو بتعبير آخر الدفاع عنه، يجب أن يكون على علم بالتيارات الفكرية والآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم. وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلميّة.

وعلى الطلبة أن يتعلموا أيضاً لغات العلام الحيّة ومعرفة لغة واحدة على الأقل من اللغات الحيّة الموجودة في العالم تعتبر من المستلزمات والأدوات اللازمة لعمل طلبة العلوم الدينية. وهذا ما ينبغي إشاعته في الحوزات العلميّة. ومن حسن الحظ فإنّ الطلبة غالباً ما يكونون من الشباب ويتمتّعون بمقدرة عالية على تعلّم اللغات.

هدفنا إعلاء كلمة الله

ومن المباحث المهمّة الأخرى أيضاً هو بحث المعنوية والقداسة. فالفارق الأساسي الذي يميّزها عن بقية أصحاب الادعاءات في العالم يكمن في وجود هذا الهدف المقدّس؛ فنحن نريد السعي في سبيل الله ولأجل دين الله ولنيل رضا الله ولإعلاء كلمة الله. ويجب أن يكون هذا هو هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ أو التدريس أو التصدّي لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها،

وعند ممارستنا لأيّ نشاط سياسي أو اجتماعي أو علمي. وهذا هو ما يفضي بنا إلى النجاح ويجعل كلامنا تأثيراً وجاذبية. ولهذا يجب اعتباره فرضاً محتملاً علينا.

علينا بشحذ الهمم والعزائم

في الوقت الذي أتحدث معكم فيه حول هذه الموضوعات، لاشك أنّ هناك أعمالاً كبيرة قد أنجزت في هذه المجالات في الحوزات العلميّة وخاصّةً في حوزة قم المباركة. وقد أصبح البون ملحوظاً اليوم عمّا كان عليه قبل عدّة سنوات؛ فقد أصبحت هناك اليوم دروس في الأخلاق ودروس جيّدة في التفسير وفي الفلسفة، وهناك التبليغ والكلام، وهناك المجالات العلميّة المتخصّصة. وهذا هو ما كنّا نوصي به ونتمناه أن يتحقق تدريجياً. وهذا يمثّل دليلاً على أنّ ما كنّا نطرحه كأمان لم يكن مجرد أمني فحّة بعيدة المنال، وإن كل هذه الأمور قابلة للتحقيق بهمة أصحاب الهمم وبقليل من الإمكانيات والطاقات، كما حصل في الحوزة العلميّة بقم بالدرجة الأولى، وفي بعض الحوزات العلميّة الأخرى. وكل الأعمال الكبرى التي نرى وجوبها للحوزات قابلة للتطبيق العلمي ولكن بشروط أن نعقد لها أنا وإياكم العزائم والهمم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[1] من كلام لسماحته بمناسبة بدء العام الدراسي في الحوزة العلميّة، طهران، 8 جمادى الثانية، 1420 هـ.ق.

[2] المجلسي: بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج73، ص61.

التبليغ في الإسلام

آراء وتوجيهات الإمام الخامنّي (دام ظله) حول التبليغ ومبادئه وأساليبه

تبليغ الإسلام

يعدّ التبليغ الديني من الشؤون الأساسية للحوزات، حيث نجد علماء كباراً كانوا في صفوف مبلّغي الدين، ونهضوا بمسؤوليتهم في مجال التبليغ وإرشاد المجتمع.

وتتمتع الحوزات الشيعية بتاريخ مشرق على صعيد نشر المعارف الدينية في مختلف المجتمعات، لذا فهي تتميّز عن حوزات المذاهب الإسلامية الأخرى.

"إن ارتقاء المنبر والتحدث في أمر الدين من أشرف الأعمال، ويجب على أشرف الناس وأعلمهم وأوعاهم بالقضايا الإسلامية وأكثرهم عملاً بالأحكام الشرعية أن يسيروا في هذا الطريق ويعتبروه فخراً لهم، كما كان الأمر في السابق. فمثلاً كان الشيخ جعفر الشوشتری العالم الأخلاقي الكبير صاحب منبر، وكان المرحوم الحاج السيد رضا الهمداني الواعظ، صاحب كتاب هدية النملة. واعظاً وخطيباً دينياً، وهكذا كان ابنه السيد ميرزا محمد الهمداني الذي كان من العلماء، وكذا أمثالهم. ففي الماضي كانت الشخصيات العلمية والوجوه المعروفة بالتقوى والتدين متصفة بهذه الصفة ومفتخرة بهذا الفن(1)".

قيمة التبليغ

بدأ الدين الإسلامي المقدّس بالتبليغ، واعتد في بسط نفوذه عامل لدعوة الذي مكّنه من الامتداد إلى أقصى مناطق العالم، فحصلت الكلمة الإلهية الطيبة والشرعية المحمّدية الخالدة على مؤمنين ومسلمين من شرق العالم إلى غربه ومن جميع الأعراق والألوان والأقوام، حتى أورقت شجرة الدين المبين.

"إن الدين الإسلامي هو دين التبليغ. صحيح أننا في الدين الإسلامي المقدّس لدينا جهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية والإسلامية، إلّا أن الأصل هو التبليغ والتبيين، فللجهاد فلسفة أخرى، الجهاد لمواجهة الظلمة والظلمة وموانع التبليغ وانتشار نور الإسلام، ومتى ما غاب المانع، أو وجد ولم يمكن

الجهاد، فإن السبيل الأساس للإسلام هو التبليغ... فلم يُقَصَّ التبليغ عن حياة المسلمين منذ ألف وأربعمئة عام.

لاحظوا، أن التبليغ للإسلام عمّ آفاق العالم، وحالياً كلما اتجهتم نحو المناطق الواقعة شرق إيران تجدون أغلب المسلمين قد أسلموا بالموعظة والتبليغ والدعوة قبل السيف. ما الذي قاد إلى إسلام كل هؤلاء المسلمين في الصين؟ من الذي دعا سكان ماليزيا واندونيسيا والفلبين والمناطق التي يقطنها المسلمون إلى الإسلام؟ أكان التهديد بالسيف؟ لو كان لسيف السلطان محمد الغزنوي من تأثير، فإن تأثيره تجلّى في تحريض الناس ضد الإسلام.

إن سيوف المغول في الهند وأكبر شاه وجهانگیر شاه وأورنك زيب وأمثالهم. وهم معروفون الآن يتفاخر بعض بهم، كان منشأ لظهور أعداء ألداء للمسلمين، ولقد أدّت سيوف المغوليين إلى ظهور السيخ في الهند. والسيف لا يجعل المرء مسلماً من أعماق قلبه. فمسلمو الهند لم يسلموا بالفتح الجهادي بل بالدعوة. أنظروا ما يفعله الهنود عند قبر العرفاء الإيرانيين الذين كانوا في الهند، لأنهم من ثمار تبليغهم. لقد نهض فرد عارف وعالم وواعظ روحاني. فرد مثلي ومثلكم. وتوجه إلى هناك، وكان فعله الوحيد أنه أعرض عن الأصدقاء والديار، ولم يخلد إلى الأرض، فجاهد نفسه، وذهب إلى منطقة في الهند وأقام فيها نحو أربعين أو خمسين عاماً، فأسلم عدد من الناس على يديه. هكذا انتشر الإسلام "يجلب بعضه بعضاً" فإذا أسلم فرد قاد إلى إسلام مئة آخرين([2]).

إن الجهاد التبليغي هو المسؤولية الدائمة للحوزات الدينية، ويجب على العلماء بصفقتهم رافعي راية الدين أن يحملوا علا عاتقهم راية الدعوة إلى الدين في الداخل والخارج، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في التبليغ للدين عبر تبیین المبادئ والقيم الإسلامية وتثبيتها والدفاع عنها. وهذا تكليف مستمر يتأكد في الظروف الراهنة، فقد اتسعت دائرة الاحتياجات والتساؤلات والإشكالات، واشتد الظمأ إلى منهل الإسلام العذب وازدادت الآذان شوقاً لسماع تعاليمه. فاتساع مساحة المخاطبين رسخت مسؤولية الدعاة المبلّغين في الوقت الحاضر، وجعلتهم مسؤولين حال الناس المتعطشين للمعارف الدينية.

"ألا يجب في الظروف الراهنة على الحوزة العلمي في قمّ أولاً، وبعدها بقية الحوزات العلمية حيث الأرضية مهياة لتبليغ الإسلام وصوتنا يصل إلى أقصى نقاط العالم أن يتّسع عملنا التبليغي أكثر من السابق؟ فثمة فرق بين اليوم الذي كانت فيه دائرتنا التبليغية عبارة عن جلسة تضمّ خمسين أو مئة أو خمسمئة شخص في أبعد الحدود، وتنعقد في مسجد ويتحدث فيها عالم بصفته إمام جماعة أو خطيباً، وبين يومنا الحاضر حيث ينتظر الناس نشاطنا التبليغي في كل نواحي البلد والمجتمع.

"كم يوجد من الشباب المتهلّفين لمعرفة شيءٍ عن الدين! كم من الأفراد المتعلّمين وذوي الفهم الذي كانوا حتى الأمس منفصلين عملياً عن الدين والمعرفة الدينية، لكن الحكومة خضّتهم اليوم على فهم الدين والاتجاه إليه، هؤلاء يرغبون في أن يفهموا شيئاً عن الدين([3])."

من جهة أخرى، فإن عصرنا يشهد هجوماً إعلامياً قوياً على الإسلام والأفكار الشيعة النقية، ولعلنا لا نجد حقبة في تاريخ المسلمين تماثل هذه الحقبة، حيث ضغوط وقدرات الثقافات المنافسة والمعادية متوجّهة إلى الفكر الإسلامي من كل جانب وبأساليب مختلفة، وهذا يعكس أهمية الدعوة ويعمّق الحاجة لنشاط المبلّغين.

"ليست قيمة بعض الأشياء مطلقة ومتساوية في كل جانب وبأساليب مختلفة، وهذا يعكس أهمية الدعوة ويعمّق الحاجة لنشاط المبلّغين.

"ليست قيمة بعض الأشياء مطلقة ومتساوية في كل مكان، فمثلاً إن الماء الزلال الذي هو أساس الحياة الإنسانية، له قيمة وسط الصحراء، وقيمة أخرى قرب النهر، وكذلك التبليغ، فعندما نقل الحاجة أو حينما يزداد عدد المبلّغين، فإن قيمته لا تكون كبيرة. إلا أنها تزداد إذا ازدادت الحاجة إلى التبليغ وانخفض عدد المبلّغين.

ربّما يمكن القول: إننا نعيش في زمن تزداد فيه الحاجة إلى التبليغ، لأن الإعلام المضاد للدين والإسلام. والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية وتوظف فيه أحدث الأساليب والطرق. قد بلغ أقصاه([4])."

الغزو الثقافي

إن الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجدّية، وفي المواجهة الراهنة سيتحدد إمّا البقاء بعزّ، أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرر رفعة الإسلام والمسلمين أو ديمومة الذلّ والانحطاط، فاليوم تتجلى الحرب الصليبية الجديدة في الميدان الثقافي فيما تظهر الأحقاد الصليبية الدفينة وكأنها تقيّحات الجروح.

الإمام الخامنّي من الروّاد الذين التفتوا إلى هذه المخاطر، وحذّر من أبعادها مشدّداً على ضرورة مقاومتها، وقد تحدّث سماحته عام 1984م لدى لقائه علماء أهل السنة في "بندر تركمن" عن هذه المعضلة قائلاً:

"إحدى وظائفكم الأساسية أيها السادة، باعتباركم علماء دين، إعداد علماء دين مطلّعين وواعين.

قوموا بدعم المدارس الدينية، وزودوا طلابكم بالمعلومات الإسلامية القادرة على إقناع عقول الشباب فجميع أعدائنا يستخدمون الثروات الطائلة والتجارب الكثيرة والعقول القوية لكتابة آلاف الكتب والمقالات. علاوة على ما كتبوه حتى الآن من أجل إلقاء الشبهة حول الفكر الإسلامية لزعزعة إيمان الناس، وسيبثون آلاف الشبهات بينهم لتشويش أذهانهم، ترى من الذي يجب عليه أن يحفظ إيمان الناس ويُسَلِّح أذهانهم في خضم مواجهة هذا الغزو الثقافي؟ إنها وظيفة العلماء([5])."

ليس هذا الخطاب أول خطاب لسماحته بهذا الصدد، ولا الأخير، فسماعته ما انفك طوال العقدين الأخيرين يتحدّث عن حرب وصراع بين الإسلام والغرب في الميدان الثقافي، ويسلط الضوء على أخطار الغزو الثقافي للقوى الاستكبارية لافتاً نظر أهل الثقافة إلى هذا الخطر العظيم.

وفي خطاب آخر في السنة نفسها، قال سماحته:

"إن لم نقاوم الغزو الثقافي والعقائدي للاستكبار العالمي، فسنهزم قطعاً([6])."

وللأسف لم تدرك أبعاد المأساة كما يجب، بالرغم من التحذيرات والإشارات المتكررة، ولم يتم التعامل معها بشكل جاد، واجه هذا التعامل أحياناً التشكيكات والعراقيل، وجرى الحديث عن التبادل الثقافي وتأكيد ضرورة التحوار والتعامل، وفي هذه الأجواء الصاخبة غفلنا عن المهاجم المتربص بنا الدوائر، فظلت مواقع المهاجم الثقافي مستورة، ويبدو أن الإقرار بوجود هجوم ثقافي سيتم بعد أن نجد أضراره قد لحقت بجميع أركان كياناتنا.

وقد حذر سماحته مراراً أصحاب الفهم المعوج، كما في النص الآتي:

"علينا وجميع المتصددين للشأن الثقافي في البلد، أن نعتقد بأننا مستهدفون ثقافياً من قبل أعدائنا(7)[7]".

إن الغزو الثقافي المعادي يشدد على قضية أن الشباب لا يؤمنون بالدين والنظام، فهو يحشد كل قواه في سبيل إضعاف الأصول والعقائد الدينية لهذا الجيل واستلاب هويته الدينية والتاريخية:

"وإن الغزو الثقافي يهدف إلى استلاب الجيل الجديد عقائدياً، إنه يرمي إلى إقصاء العقيدة الدينية وتغييب الأصول الثورية والفكر الفعال الذي يخشاه الاستكبار حالياً، والذي بات يعرض نفوذ القوى الاستكبارية للخطر(8)[8]".

وأضاف سماحته:

"يسعى العدو في غزوه الثقافي إلى بث شيء من ثقافته لهذا الشعب، ليثقفه على ما يريد ومعلوم ما يريد العدو(9)[9]".

تسعى الثقافة الغازية في دفع المجتمع إلى الرذيلة، وإلهائه بالأمور التافهة، وتصنع عوالم وهمية لتغرق أفراد المجتمع في مظاهرها الخادعة، وتغذي نزعة الإخلاق إلى الراحة والافتتان بالجسد، وتفتح أبواب الفساد أمام الجيل الجديد مستترة بآلاف الأقنعة والحيل لتوقع الأفواج في شباكه:

"يسعى العدو من خلال نشر الثقافة الخاطئة ثقافة الفساد والفحشاء، إلى أن يسلب شبابنا منا، وليس ما يفعله مع شبابنا على صعيد الثقافي هجوماً ثقافياً، إنما هو غارة ونهب وقتل جماعي ثقافي، هذا ما يفعله العدو معنا اليوم(10)".

الغارة الثقافية تحدث بلا ضجيج، ولا تبدأ بقرع الطبول ولا تكشف القوى المهاجمة عن وجهها الإجرامي، إنما تتقدم بظاهر وديع وسلوك مؤدّب وخطوات متأنية لتفتح جبهة الطرف الآخر بالكلمة والابتسامة، وليس بالصخب والعنف:

"في الوقت الحاضر تتحرك لحربنا جبهة ثقافية عظيمة كالسيل، وهي مدعومة بالسياسة والصناعة والمال وغير ذلك. والحرب ليست حرباً عسكرية، فلا يمكن الاستفادة من التعبئة العامة هنا، ومن خصائص آثارها أننا لا نعيها إلا بعد أن نقع في أسرها، فهي كالقنبلة الكيماوية لا صوت لها فلا نحس بها، فإذا سقطت قنبلة كيماوية في منطقة معينة قد لا يحس بها أحد، ولكن بعد سبع أو ثمان ساعات ستحترق الوجوه والأيدي.

وستشاهدون فجأة مؤشرات هذا الهجوم الإعلامي والثقافي في المدارس والشوارع والجبهات والحوزات العلمية والجامعات، والآن تلاحظون شيئاً منه وسيزداد فيما بعد، ويتم إعداد أرضية لمثل هذا الهجوم عبر طبع الكتب وإنتاج أفلام الفيديو وتوزيعها داخل البلاد.. إن الهجوم بهذه الأبعاد يستهدف الإسلام والثورة ويستهدفنا(11).

تتحرك الغارة الثقافية بهدوء كالريح المعتدلة لكنها مسمومة، وهي لا تعترف بالحدود الجغرافية، وتجتازها لتصطدم مباشرة مع الأفراد فتسلخ هويتهم وتضخم في أوصالهم أفكار الثقافة الأجنبية وأهواءها.

"الهجوم الثقافي مثل العمل الثقافي نفسه هادئ وبلا ضجيج(12)".

ولا ينفع الصخب والضجيج في مواجهة الهجوم الثقافي، فإشهار السلاح والصراخ يدلّان على السفاهة والبلادة، والغضب وانتفاخ أوداج العنف يكشفان عن الضعف والدّلة.

في مواجهة الغارة الثقافية، لابد من اعتماد سلاح مماثل، فالثقافة الأصلية تفضح مساوئ الثقافة المزيفة، كما أن الأموال المزوّرة يكتشف زيفها لدى مقارنتها بالأموال الخالصة، وتظهر السجون الذهبية الدنيوية على حقيقتها، وتنكشف ضعوتها ودناءتها في النظرة السماوية الجميلة:

"يمكن مواجهة الحرب الثقافية بالمعاملة بالمثل، والردّ على النشاط والهجوم الثقافي لا يتحقق بالبندقية، فالقلم هو البندقية. هنا([13])."

فرصة التبليغ

لم تُلقَ على عاتق العلماء الشيعة مسؤولية التبليغ في أي زمان آخر كما هي حالياً. فالأخطار التي ذكرت سابقاً تقع أمام أنظار العلماء، الأمر الذي يستدعي سعيّاً أكبر وتخطيطاً أدقّ وأشدّ فاعلية فالعلماء. باعتبارهم قادة الثقافة الدينية. مطلوب منهم اتخاذ موقف صلب وبذل مساعٍ حثيثة حيال الهجوم وتقديم نتاج فكري والقيام بتنوعية مناسبة وشاملة:

"ثمة هجوم ثقافي عظيم على الإسلام وليس له اتصال وثيق بالثورة، فهذا الهجوم أوسع من الثورة وضد الإسلام، إنه أمر عجيب واستثنائي أن يكون ضد الإسلام بجميع الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية.. وحتى الإسلام بمعنى اعتقاد عوام الناس فإنه معرض للهجوم، ناهيك عن الإسلام الثوري النزيه..

منذ القدم كان لديهم الإحساس حيال الإسلام، وهذا ناشئ عما شاهدوه من الإسلام.

بعد أن مضت مدة على قضية تحريم التبغ وقضايا مختلفة في الهند وأفغانستان وإيران ومصر وبقية البلدان، غفل الاستكبار والاستعمار العالمي عن قدرة الإسلام وتراجع توجّسه منه، والسبب يكمن في أن التحرك الإسلامي لم يكن بارزاً وأنهم غفلوا بعض الشيء.

وبعد عدّة عقود انتصرت ثورتنا، فأعيد طرح المعلومات والمعارف الاستعمارية، والملفات الأرشيفية، وانطلقت جهود تحقيقية جديدة، وانعقدت الندوات والجلسات في الغرب الرأسمالي والاستكباري وظهرت نظريات متعدّدة حول إعادة النظر في فهم الإسلام.

يوظّف الاستكبار كل طاقاته لإدارة وضعه بمنهجية علمية، ويضبط تحركاته بالفكر ويستبق الأحداث العالمية، ليظل حاضراً في موقعه، لأنه يعلم أن أضراراً ستلحق به إذا أقصى الفكر ولم يخطّط للمستقبل وفقد المعلومات والأرقام.

فالاستكبار يمتلك أرقى وأفضل المؤسسات الفكرية، وهذه تفكّر وتخطّط مسبقاً للقضايا الرأسمالية بعيدة المدى لتحقيق أهدافها بعد خمسة عشر أو عشرين عاماً.

لقد أحاطت الثورة الإسلامية وبصورة مفاجئة الوجود الغربي والعالم الرأسمالي ومنظومتها القيمة بمجموعة من التشكيكات، بمعنى أنها هدّدت مستقبلها وأحاطته بالغموض، لأن الثورة قامت على أساس الإسلام، ومن ثم يمكن أن تتحقق هذه الثورة في كل مكان للمسلمين علاوة على أنهم شاهدوا نماذج ذلك".

إن هذه الرؤية تكشف بوضوح الخلفيات المنطقية والتاريخية للهجمة الغربية على الثقافة الإسلامية، فقط انطلقت القوى الغربية من المبادئ المذكورة في هجومها الشامل ومن كل اتجاه وبإزاء هذا الهجوم ينبغي لمبّلغي الدين أن يهيئوا طرق الدفاع ويحرسوا المجتمع ويحفظوا ثقافتنا:

"لاشك في أن الوقوف بوجه هذا الهجوم يقتضي ميزانية مالية وإمكانيات ودعم سياسي من الحكومة، لكن لماذا تهيبّ الحكومة الأموال وتقدم الدعم؟ من الطبيعي لكي نتوفر على الفكر.

ومن أين يتولّد الفكر؟ من الحكومة أم من الحوزة(14)؟".

تتطلب الظروف الخاضعة للغارة الثقافية للأعداء نفيراً عاماً وجاداً من جانب المؤسسة التبليغية للحوزة. لتكون كالجبل الراسخ أمام السيل العارم في دفاعها عن كيان ديانة الشعب وإيمانه.

هذا الأمر يمثل جانباً من مسؤولية مبلي الدين، وهناك موضوع آخر يضاف إلى الحقيقة السابقة، وهو الفرصة التبليغية المتوافرة لعلماء الدين.

فمما لا ريب فيه أن علماء الدين لم تتوافر لهم، على مدى تاريخهم، ظروف مناسبة للتبليغ الديني كما هي الآن، كما لم تنهياً لهم أبداً الإمكانيات والدعم والوسائل والآذان الصاغية والقلوب المشتاقة كما هو الوضع حالياً:

"طوال التاريخ الإسلامي ذي الأربعة عشر قرناً، لم توجد حقبة توافرت خلالها لعلماء الدين فرصة لتبليغ الأحكام الإسلامي، لا في عصر الأئمة عليهم السلام ولا بعده، ولا في عهد الحكومات المؤيدة للفقهاء الحنفي والشافعي في إيران، ولا في أيام الملوك المؤيدين للفقهاء الجعفري في بلدنا، لم يجد العلماء في جميع العصور مثل الفرصة الموجودة اليوم(15)".

وفي نص آخر لسماحة القائد أكد على هذه النعمة الإلهية بقوله:

"إخوتي الأعزاء! ثمة فرصة عظيمة أمام العلماء فلم تتوافر طوال التاريخ بعد عصر الرسول الأكرم (ص) حتى اليوم مثل هذه الفرصة المتوافرة لدعاة الدين. فمتى وجد دعاة الدين مثل هذه الفرصة(16)".

إن الفرصة والنعمة المتوافرتين ترسخان تكليف مبلي الدين وتقتضيان الاستفادة من كل آن ولحظة، والحضور الواسع في الميادين المختلفة، والتخطيط الدقيق للتبليغ:

"إنها فرصة عظيمة وعزيزة، ويجب علينا اليوم باعتبارنا مبليين للدين، أن نؤدي دوراً فاعلاً وخالداً، وسيحاسبنا الله تعالى على ذلك، إنها وظيفتنا، وعلينا أن نعد أنفسنا(17)".

فالفرصة المتوافرة للتبليغ، تمثل امتحاناً إلهياً للعلماء، فإن جدارتهم وكفاءتهم باتت على المحك في هذه المرحلة من التاريخ وسينظر الجيل القادم إلى هذه الصفحة من التاريخ وسيصدر حكمه بشأن هذه الفرصة الذهبية المتاحة للحوزة والعلماء، والله تعالى يرى اليوم عمل العلماء. فإذا استفادوا من الفرصة

الموجودة فسيعينهم بفرض مضاعفة، وإذ فرطوا . لا سمح الله . بها فإنه تعالى سيحرمهم الفرصة
الموجودة والفرص المقبلة:

"تقف الأوساط العلمية الشيعية والحوزة العلمية وعلماء الدين الشيعة أمام امتحان تاريخي عظيم لا مثيل
له ولا يمكن تكراره وليس له شبيه في الماضي، وهذه هي النعمة التي تجسد مصداقاً للآية القرآنية
الشريفة: "وإن تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد(18)".

إن العلماء الذي يبلغون الدين يؤدون المهمة السامية للأنبياء ومن بينهم النبي الأكرم (ص)، وأداء حق
هذه المهمة لا يأتي عبثاً ولا يتحقق بسهولة، إنما يتطلب استعداداً، وحتى الأمس القريب كانت تلقى
بعض المعاذير بسبب العراقيل والعقبات التي يولدها قمع الجائرين وقهرهم، لكن اليوم ارتفعت تلك
المعاذير ولم يعد لها مسوغ، فاليوم فتحت أبواب المراكز التربوية والعسكرية والنظامية والإدارية
والمعتقلات و... أمام المبلّغين:

"أيها السادة العلماء شيعة وسنة! يجب علينا، نحن العلماء، اليوم أن نبرهن على قدرتنا على نشر
الدين، فالتبليغ ليس قضية ولا هي بالهزل، ليدّعي أيّاً كان أنه داع للدين ومبلّغ وحامل ومفسّر له، فهذا
الأمر يسير في الكلام لكنه صعب عسير في العمل.

من ألف عام ولعلماء الشيعة فقه مدوّن منظّم واستدلالي، والآن هو وقت النهوض بهذه الوظيفة إذا كنّا
حقاً من رجالها وأهلاً لها وصادقين في حملها، لماذا؟ لأننا لم نمتلك في الماضي الميدان والمجال
الكافيين للتحرك.

لقد سافرت في عهد الطاغوت إلى أغلب بلاد خراسان وكثير من بلاد إيران، وقد اتصلت بالعلماء في
كل مكان زرتهم، أي أنني التقيت علماء كل مدينة ذهبت إليها وتعرّفت بهم، سواء كانت زيارتي لارتقاء
المنبر أو لأمر غيره، وأنا أعرف أغلب العلماء المعروفين في عصرنا في أنحاء بلاد إيران كافة. كان
هناك علماء وأفاضل لكن لم يكن لديهم تحرّك(19)".

النشاط والدافع التبليغي

يجب على المبلِّغ الديني أن يعتبر إرشاد المجتمع تكليفاً إلهياً له، وأن يتحمل المشاق ولا يخشى ضآلة الإمكانيات، وأن يؤدي مسؤوليته بكامل قدراته.

ولا ينبغي للطلبة اعتبار الظروف المؤاتية شرطاً للانطلاق في التبليغ، فإن هذا الأمر لا ينسجم مع التكليف والشوق والرغبة، ولا يتناسب مع السنّة التاريخية للتبليغ الحوزوي. فالحوزة أدّت تكليفها في إرشاد الناس والإصلاح الديني في ظروف صعبة دائماً لكن ذلك لم يشنها عن المضيّ في مهمّتها:

"كنا في السابق نرتقي المنبر بصعوبة ومشقّة... في مشهد، حوّل أحد الكسبة، بفضل الله، متجراً على مسجد، فاتخذناه مسجداً لنا، هذا المتجر الصغير صار محوراً ومركزاً للتبليغ المذهبي ولكل الأفكار الجديدة في مشهد، فيمكن القيام بمثل هذه العمال، لتتوجه ونستند قليلاً إلى المعنويات، إلى أنفسنا، إلى استعداداتنا الذاتية وإلى الأمور التي في داخلنا، لنفجّر طاقاتنا الكامنة(20)".

يجب أن لا يأخذ تبليغ العلماء مواصفات وأطر الوظيفة الإدارية، فلا يتم إلاّ بقرار يتسلسل نازلاً عدد من المواقع الإدارية، فلا بد للتبليغ الديني أن ينطلق من الشعور بالمسؤولية، فالمبلِّغ المخلص يتنازل عن كثير من حقوقه وحاجاته ويقدم وجوده على طبق الإخلاص لله تعالى في تجارة مربحة، وهو ينفق عمره في خدمة التبليغ:

"إن دافعنا الدائم، نحن الطلبة، هو السعي لأداء التكليف، فعالم الطلبة يختلف عن شكل الأجهزة الإدارية ومحتواها وآلياتها.

فتارة قد يستخدم المرء لطهي طعام في وليمة، ومن الطبيعي أن يطالب بكمية كبيرة من الزيت واللحم ونوعية مفضّلة من الرز وقائمة طويلة بمواد أخرى، ومعلوم أن عدم تلبية طلباتهم سيعرقل عملهم ومن ثم لن يقوموا بالمطلوب.

وتارة قد تكونون بين جماعة مثل أفراد الأسرة أو أصدقائكم، والمثال البارز العام هو جبهة الحرب، فافترضوا مثلاً أن زملاءكم شعروا بالجوع وكنتم في منطقة نائية، وأنتم تجيدون الطهي، في هذا الحال تتلاشى القيود والشروط، وتندفعون بمحض إرادتكم ورغبتكم وبكل قوتكم وقدرتكم لإعداد الطعام، وأحياناً يكون هذا الطعام ألذ من غيره، لأنه ثمرة الرغبة الصادقة والمحبة وحس المسؤولية. نحن الطلبة كان علمنا هكذا منذ البداية، فعندما كنا نذهب للخطابة في مكان ما، كان ذهابنا أحياناً بناءً على دعوة وجهت إلينا، وأحياناً دون أية دعوة، وهذا هو الغالب، فكانت غايتنا توصيل الموضوع الذي طالعناه وأعددناه على الناس([21]).

حقيقة التبليغ الديني

ثمة فاصل كبير بين التبليغ المتداول في العالم، فالتبليغ في الثقافة والسياسية والاقتصاد على المستوى العالمي يعني تحجيم الحقيقة، وأحياناً تغييب بعضها وإظهار بعضها الآخر، وفي بعض الموارد تشويه الحقائق وتزييفها؛ لذلك فإن التبليغ الديني يختلف كثيراً عن هذه الأمور، فالدعوة المطلوبة لا تضع مساحيق التجميل على صورة الدين، وإنما تعرضها بجمالها الطبيعي؟

"التبليغ الديني لا يجزئ الحقيقة وإنما يكشفها كاملة، ولو لم يستسيغها المخاطب. التبليغ الديني يبين الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقصان، وبعيداً عن الأهواء والرغبات. وبكلمة أخرى: إن المبلغ الديني يؤدي الشهادة مثل الشاهد الصادق، فيكشف عن الحقيقة ويضعها أمام الأنظار.

التبليغ في الاصطلاح المعاصر يعني استقطاب اهتمام الناس نحو شيء معين دون الأخذ بالاعتبار ما يحمله هذا الشيء من الحقيقة.

والتبليغ في اصطلاحنا هو التبليغ القرآني، يعني توصيل الحقيقة إلى أذهان الناس وإخراجهم من الجهل "ومن أظلم ممن شهدا عنده من الله". فمن الظلم أن المرء لا يؤدي الشهادة التي يمتلكها([22]).

وقال سماحته في خطاب آخر:

"إن التبليغ والإعلام في العرف العامي عبارة عن جذب الأنظار نحو شيء ما، هذا هو مفهوم الإعلام في عالم اليوم، أي تصوير شيء غير موجود على أنه موجود، أو تضخيم الموجود مئات وآلاف أضعاف حقيقته وعرضه بشكل مزيف. لكن ماهية عملنا غير ذلك، فنحن لدينا حقيقة وضّاءة اسمها التوحيد والإسلام، وقد حجبناها سُحب الجهل والعداء، والتبليغ يعني توصيل تلك الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم([23])."

مواصفات المبلّغ

على المبلّغ الديني أن يتحلّى بالفضائل ليكون بمقدوره القيام بوظيفة الأنبياء، فيجذب القلوب ببيانه، ويحرّك النفوس، ويقود المجتمع نحو الصلاح. ومن الشرائط المطلوبة في المبلّغ:

1. التزكية والتهذيب:

على المبلّغ أن يتّصف بالفضائل ومكارم الأخلاق، وأن تصدق أفعاله وأقواله.

فالمخاطب يأخذ بالاعتبار شخصية المبلّغ، ويراقب بدقة أفعاله وسلوكياته، ويتمعّن بعمق في أبعاده النفسية، فيهتم بأقواله بالمقدار الذي يثق فيه بشخصيته، ويكنّ احتراماً له بالشكل الذي يتناسب مع حجم نفوذه في روحه:

"إذا لم يهذب المبلّغ نفسه ويصلحها، لم يقدر على إصلاح غيره. وإن لم يؤمن المرء بما يقول ويعمل به. صادقاً، فإن أقواله لا تؤثر في الآخرين، تتذكرون في أيام الثورة كيف كانت التصريحات والخطابات المتصلة بالثورة. تصل إلى أعماق النفوس، ترى ما هو السبب؟ السبب يكمن في أن الذين أطلقوا تلك التصريحات، أطلقوها من أعماق قلوبهم وبإيمان كامل بها وكانوا عاملين بها، كانوا إذا طلبوا من الناس أن يقولوا شيئاً، سبقوهم إلى قوله، وإذا دعوا الناس إلى الالتحاق بالجهات سبقوهم باللاحاق بها... كانوا لا يوصون الناس ولا كانت أقوالهم نابعة من القلب ولا جرم أنها تستقر في القلب وتؤثر فيه.

كانت الأقوال والتصريحات كثيرة، لكن الذي أثر منها في القلب وترسخ فيه هو ما كان مطلقه معتقداً وعاملاً به [24]".

2. الإخلاص:

يفتح المبلّغ بخلوص نيته آفاقاً رحبة لنشاطه، ويوجد لسعيه أبعاداً لم تكن في الحسبان. إذ يتميز التبليغ الديني عن غيره من أنواع التبليغ المعروفة، في أن التبليغ الديني والمادي يرتبط بالعلم والتقنية وحسب، فتلعب المهارات التبليغية والفنون المختلفة دوراً أساسياً، وتضمن معطيات العلوم. كعلم النفس وعلم الاجتماع و... للخطاب التبليغي امتداداته.

في هذا النوع من التبليغ لا تظهر نية الفاعل بوضوح، بينما تقوم النية الخالصة بدور جليّ في التبليغ الديني لأنه في سبيل دين الله. إذ ينزل العون والعناية الإلهية على المبلّغ الديني الذي يتحرك في أوساط المجتمع لدعوته وهدايته.

فالإخلاص في النية يفضي إلى أن تقوم جميع القوى المسخرة للإرادة الإلهية في خدمة المبلّغ، فتھیأ مساحات جديدة لتحركه، وتلين القلوب وتنقاد النفوس لمبادئه وخطاباته، وتتسجم أفواج كثيرة من الناس مع أهداف ودعوته.

ويعتبر الإمام الخميني "رضوان الله عليه" أروع مصداق معاصر. لهذه المقولة. فقد استطاع هذا العظيم وفي ظلّ النية الصافية والإخلاص الشديد أن يستقطب القلوب بشكل لا نجد له مثيلاً في التاريخ المعاصر.

وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي إلى هذه الحقيقة الكبيرة بقوله:

"ومن دون الإخلاص لا يستقر أي عمل. في اليوم الثالث أو السابع من وفاة الإمام الخميني (قدس سره). وربما في أربعينته أيضاً. ذهبت بالطائرة المروحية إلى مرقد "رضوان الله عليه" حيث كان في منطقة جرداء نائية، فرأيت. من الجو. فجأة وسط تلك المنطقة قبة وبناء والناس يطوفون حوله كالجراد،

وقد أثر هذا المشهد كثيراً في نفسي وقلت: إلهي، ما أسرع ما كافأت هذا الإخلاص، فאלله يؤجل ما لليوم إلى غد، فلم يستقطب كالمغناطيس. شيء إلا إخلاص الإمام (قدس سره)، فحقاً لا يمكن إنجاز أي عمل دون الإخلاص [25]."

3. المعلومات اللازمة:

من النقاط الأخرى التي يجدر بالمبلِّغ أن يتصف بها قبل حضوره التبليغي في أوساط المجتمع، العلم المتناسب مع المستوى التبليغي.

فالمجتمع يتوقع من المبلِّغ أن يتمتع بمعلومات ووعي ينسجم مع مستواه التبليغي، ليجيب عن أسئلة مخاطبيه ويتمكن من إقناعهم وإثرائهم.

ولا يحرز المبلِّغ الأتمّي أو صاحب المستوى المتدنيّ مركزاً مرموقاً على المدى الطويل في المجتمع الذي يخاطبه ولو كان ماهراً في فنون التبليغ. فالناس وبخاصة في وقتنا الحاضر. الذي يمتاز بارتفاع مستوى الوعي. يكتشفون خواءه العلمي، من ثم لا يعيرون اهتماماً لكلامه ولا لشخصيته.

وعليه، يجدر بالمبلِّغ الديني أن يكون عالماً وأن يحمل معلومات تتناسل مع مستواه التبليغي (ابتدائية، ثانوية، جامعة، مراكز شعبية، مقرّات عسكرية و...) ثم ينطلق للتبليغ:

"على المبلِّغ أن يتوفر على وعي وأفق ديني رحب ومتنوّع، وان يأنس بالقرآن، ويتمعنّ بعمق بالأحاديث، ويطلع على الأفكار الجديدة المتصلة بالمذهب والدين، ويكون من أهل البحث في القضايا والأفكار الدينية، وأن لا يقتصر على معرفة الدين فقط، بل يطلع إلى جوار ذلك على بعض الأفكار الفلسفية والرؤى الاجتماعية [26]."

4. الزهد ومعايشة الناس:

على المبلّغ الديني أن يعيش في أوساط الناس. كما فعل الأنبياء عليهم السلام. ومثلهم ويتجنّب حياة الترف والبذخ بل يعيش حياة بسيطة لا تختلف عن مستوى حياة مخاطبيه. فإن المبلّغ المترف تواجهه مردودات سلبية تصل إلى نتائج معكوسة، تجعل المجتمع يبتعد عن التدين والمتدينين، وتجّره إلى الاستهزاء بالدين. وتجربة الغرب شاهد على ذلك، إذ كانت حياة زعماء الكنيسة حياة بذخ وترف، فحدثت فجوة بينهم وبين الناس العاديين، ثم اتسعت تدريجياً لتتهدد جسر الثقة بين المجتمع الغربي وبين الكنيسة ومبلّغي الديانة المسيحية، ثم تحوّل المجتمع الغربي المتدين في القرون الوسطى إلى مجتمع علمائي بعيد عن الدين.

يذكر أن المبلّغين المسيحيين في الغرب كانوا يعيشون في المنطقة التي يسكنها الوجهاء، بل إن القسيس كان يعتبر من طبقة أشرف القرية، والأسقف من طبقة نبلاء المنطقة، والكاردينال من أعيان البلد.

ولقد تحقّق للمبلّغين الشيعة نفوذهم في ظلّ قربهم من الناس وزهدهم؛ إذ عاشوا في القرى والمدن حياة لا تختلف عن حياة الناس وشاركوهم آلامهم وآمالهم، بل اقتربوا من الناس حتى كأنهم صاروا أعضاء في أسرهم.

فيجب الإبقاء على هذه الخصيصة، فلا يمكن لمبلّغي الدين أن يؤثروا في الناس إلاّ إذا تحدّثوا بلسانهم وإلى جانبهم، أمّا مخاطبة الناس من البروج العاجية فإنه لا يؤثر في القلوب، بل تكون له نتائج معكوسة وتدرّجاً ينشئ جداراً حديدياً حول القلوب ليحرمها من الاستماع إلى الخطاب الديني:

"يجب على المبلّغين الذين نرسلهم إلى هذه المنطقة أو تلك أن يعيشوا مثل الناس وفي مستواهم، يعني إذا أرسلنا مبلّغاً فدخل المدينة الصغيرة بالطائرة المروحية فجأة لكي يلقي خطاباً فهذا لن تكون له فائدة... فهذا العالم الذي يدخل المدينة بالمروحية من هم مخاطبوه؟ وكيف يريد أن يتحدث؟ وأي إيمان واطمئنان سيوجده في الناس؟ تارة. بفعل ذلك. أحد المسؤولين لوجود خطر يتهدده، وتارة يكون ذلك لضيق الوقت المناسب، وتارة لأسباب أخرى. وهذا يختلف باختلاف الظروف. ولكن نجد أحياناً عالماً يستقل سيارة فاخرة تنقله إلى المدينة التي يريد أن يلقي خطابه فيها، وعندما يهّم بالنزول يفتح له

السائق باب السيارة!. وللأسف تعود الحرس أيضاً على هذه الممارسة. ما هي الضرورة لكل هذا؟ هذه ممارسات خاطئة، ولا أتصور أن فائدة إرسال هذا المبلّغ أكثر من فائدة عدم إرساله([27]).

5. الأدب والرحمة مع الخلق:

على المبلّغ أن يمتلك أدباً ورحمة، فيلتزم بالآداب الاجتماعية في تعامله مع الناس ويراعي حسن الخلق في سلوكه في أوساطهم، ويرشدهم إلى الأخلاق الحميدة، فلا يخلق في نفوسهم أرضية لسوء الظن بالدين والمتدينين:

"خذوا في اعتباركم دائماً لدى قيامكم بالتعليم، الأخلاق والأدب والرحمة والمودة. تعاملوا بطريقة تجعل تلميذكم يستشعر الرحمة فيكم، وفي هذه الصورة سيجد قوله الحق مكانه المناسب له، فإن الله تعالى خاطب نبيه. وهو المعلم الأكبر وصاحب أقوى بيان من أول التاريخ إلى آخره. بقوله: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك". هذا وكلام النبي (ص) كان صحيحاً ومحكماً، لكان صاحب هذا الكلام. الذي لا يوجد أكثر اتقاناً منه. لو كان سيئ الخلق، لما قبل الناس كلامه([28])."

6. العقل والتدبير:

يجب أن يتصف المبلّغ الديني بالتعقل، فيكتسب عقلاً اجتماعياً مناسباً، لتكون مواقفه حكيمة وخطاباته رزينة لا تؤدي إلى استفزازات وحزازات وانعدام للثقة، فيحفظ حرمة مركزه ويقوم بما يتناسب معه.

فانعدام التدبير، واللامبالاة عند المبلّغ الديني تسفر عن خسارة المبلّغ الديني لمنزلته ومركزه، فيهبط رصيده وتراجع قدرة تأثيره، علاوة على أنه يضيف أحياناً معضلة على المعضلات التي يعاني منها المخاطبون:

"إنّ الطالب الذي ترسلونه إلى التبليغ هو مظهر "قم" فيجب أولاً: أن يكون حديثه متقناً، ولا بد من متابعة هذا الأمر والتشديد عليه. وثانياً: أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة. وثالثاً: علاوة على الأخلاق

الفاضلة، أن يكون صاحب عقل وتدبير. فإذا ذهب شخص. إلى منطقة ما، وكان عالماً ومتديناً، ولكن ليس متعقلاً، وقام هناك بممارسات غير منطقية، فإن مشاكل كثيرة ستترتب على ذلك.

ونلاحظ الآن الدور المهم للعقل في الفئات والطبقات الاجتماعية كافة، وقد لاحظتم في مستوى قضية اختيار الموظفين اللائقين حيث أشار الإمام قدس سره إلى أن القائمين على الاختيار يجب أن يمتلكوا خصائص معينة منها العقل. ومع أن العقل من الشرائط العامة التي لا يمكن أداء أي تكليف من دونه، لكنه وضع هذا القيد ليكون القائمون به من المعروفين بالتعقل والتدبير والنضوج، وعلى هذا الأساس يجب إرسال الطالب العاقل [29].

إن العقل والتدبير الاجتماعي مركب من عناية إلهية وسعي اكتسابي، والأخير يتحقق بالدراسة وإدراك الواقع وتأثيرات الظروف الخاصة للمجتمع والبيئة... فيكمن للطالب في ضوء ذلك أن يتوفر على الشرائط المطلوبة، ليتعامل مع المخاطبين بأفق مفتوح ويتجاوز الأخطاء:

"أحياناً يتمتع الطلبة بذهنية وعقلية ممتازة ولكن عدم معرفتهم بالمجتمع وطموحاته وتطلعاته توقعهم في أخطاء وممارسات غير سليمة لذلك فإن من المستحسن إقامة دورات لتعريف الطلبة بتطلعات المجتمع. وعلى الطلبة أن يعرفوا قدر أنفسهم كما هو، لا أكثر من ذلك ولا أقل [30]."

7. الجِد والاجتهاد:

يستدعي التبليغ الديني استقامة وجداً، فالمبْلَغ الديني لا يخشى المشاكل والعقبات ولا يستسلم للصعاب، فيطوي مسيره الإلهي بكلّ قوّة وقدرة، لا يريد في ذلك إلا وجهه تعالى.

ولا ينبغي المبْلَغ الديني الشهرة والجاه وإنما أداء التكليف فيتوجه إلى أي مكان يحسب أن وجوده فيه مفيد، دون أن يستهدف في حركته رضي جهة أو شخصية، ولا يهتم بمنصب أو مقام أو منطقة كبيرة أو صغيرة أو لقب أو عنوان، وهو مسرور بالقيام بواجبة في انطلاقه فيه من هذه النية المباركة:

"عندما نؤدي وظيفتنا في مؤسسة معينة، يجب أن نكون جادّين دائماً في أدائنا، وأن نهتم كثيراً بعلمنا، ولا ينبغي لنا أن تراودنا أفكار من قبيل أننا نعمل في المدينة المعينة منذ سنوات، فماذا تحقق.

في الجبهة، مثلاً، يطلب من أحدهم القيام بنقل المصابين، ومن الآخر الرمي بقاذفة ال(آر . بي . جي)، ومن الثالث رصد تحركات العدو، وعليه فإن لكل امرئ عمله، وإذا لم يؤدّ كل فرد دوره لانهازت الجبهة، فلا يصح رفض العمل المطلوب منّا القيام به فحمل المصابين لا يقلّ أهمية عن الرمي بالقاذفة. أينما كنتم في الجمهورية الإسلامية اعتبروا موقعكم مركز العالم، واعلموا أن جميع الأعمال متعلّقة بكم[31]".

المبلّغ الديني لا يستصغر عمله سواء كان في منطقة صغيرة أو كبيرة، فلا يقنع بالأهداف الجزئية والضيئلة، بل عليه أن ينظّم نشاطاته وفق مبادئه العليا وفي الآفاق المفتوحة، ويجتهد في أن يكون لخطابه أبلغ الأثر في نفوس مخاطبيه.

ويهتم المبلّغ الديني بالتبليغ ويصرف عمره في سبيل هدفه السامي وهو رضاه تعالى، فيما لا يجتمع التبليغ والعبثية ولا يتحقق التبليغ في الإطارات الإدارية:

الأول: "اطلبوا المعالي، ولا تقنعوا بالقليل والمتوسط، إن كنتم من أهل الفكر والإبداع الفكري والتنظيري فيها، وإن لم تكونوا كذلك فاعكفوا على قراءة الكتب وحفظها.

الثاني: اختيار الوسائل المناسبة والاستفادة منها بذوق جيد وإبداع للواقع وانطباق عليه.

الثالث: الاستناد إلى الهمة والإيمان والإرادة، يعني عدم التعب[32]".

مضمون التبليغ

إن تبليغ الدين عمل جاد وحساس كالصراف، حيث يقود أدنى انحراف إلى نتائج معكوسة، فيرسل المخاطب إلى النار بدلاً من الجنة، ويجعله ينفر من الدين بدلاً من أن يحبب الله والدين إليه، ويزرع فيه الأحقاد واللامبالاة تجاه الدين.

لذلك ينبغي للمبليغ أن لا يسطّح عمله، فينظر إليه كما ينظر إلى النشاطات العادية ليبقى غريباً عنه. وفي هذا الإطار نشير إلى بعض النقاط الضرورية:

1. الكلام المتقن:

يجب أن لا يكون المضمون التبليغي ضعيفاً وركيكاً، بحيث ينهار بأدنى انتقاد، ويمكن أن يكون محتوى الكلام سهلاً لكن يجب أن يكون متقناً:

"ليكن عملكم محكماً منذ البداية، يعني سواء كنتم معلّمين أو متعلّمين، لا تنطقوا بكلام واهن ولا تعبروا عن رأي ضعيف ولا تعتمدوا استدلالاً خاوياً. وحتى في المستويات المنخفضة، علينا أن نعلم الشخص المنطق الصحيح الذي يظلّ في ذهنه مقبولاً حتى لو قوي عقله ونضج بالتجارب واتسع بالمعلومات، فلا نقوم بتعليم المرء في الصف الأول كلاماً لا يقبله في الصف الخامس، فاثنان زائد اثنان يساوي أربعة، وهذا الأمر تعلمونه في الصف الأول والثاني، هذا ما تعلمونه للطفل، وبعد عشر سنين تظل النتيجة واحدة لهذا الشخص. كل ما في الأمر أننا في الصف الثاني نثبت له النتيجة باستدلال معين، وعندما يرتقي فيه المراحل الرياضية العليا نبرهن له نفس الحقيقة ونفس النتيجة برهان آخر.

وهكذا يجب تعليم معنى التوحيد والنبي والإسلام والقرآن والدين والقيم الإنسانية والأهداف الدينية، وبالطبع قد لا نستطيع تقديم دليل بسيط وواضح عن كثير من المفاهيم والمعارف الإسلامية للعقول الابتدائية([33])."

وفي جميع أشكال التبليغ الديني هناك ضرورة ملحة، لإتقان الكلام وإحكامه. فالبلاغ الديني سواء كان على شكل خطابة أو كتاب أو صحيفة أو فيلم أو... يجب أن لا يكون ضعيفاً وخاوياً.

"لنلتفت إلى أن ما نقوله يجب أن يكون صحيحاً وقابلاً للدفاع عنه وإثباته، وينسحب ذلك على القضايا السياسية والقضايا الإسلامية، وكذا على الفيلم والمسرحية والشعر والخطابة والدرس العقائدي وبقية الأمور [34]".

الموضوعات الخاوية لا تفيد المجتمع ولو كانت جذابة على المدى القصير، فالذهن الخلاق للمجتمع لن يبقى راكداً وساكناً، ففي نهاية المطاف سيلتفت أفراد المجتمع إلى المضمون غير المنطقي لهذه الموضوعات ثم يبينون ذلك للآخرين، وفي هذا الحال تفقد الجاذبية الأولى قدرتها ولن تتحقق الفائدة المرجوة:

"الاستدلال الضعيف القابل للنقد. يعني عدم تطوير الواقع كما هو. من الأمور التي تلحق ضرراً بالمرء على المدى البعيد. بالطبع له جاذبيته للوهلة الأولى، ولكننا لسنا في مرحلة نعمل فيها على المستوى القريب، فنحن في مرحلة تقتضي تخطيطاً وعملاً في المدى البعيد [35]".

ينبغي للمبليغ عندما يتحدث مع عامة الناس أن لا يكون حديثه عامياً، فيلقي من الكلام ما يريد دون ضابطة بذريعة أن المخاطب أمي أو شبه أمي، وعليه في مثل هذه الأوساط أن يعتمد خطاباً بسيطاً، ففن التبليغ يتطلب منه أن لا يخطط بين الكلام البسيط وبين التفكير السطحي:

"لا إشكال في توجيه خطاب بسيط إذا كان المستمع من العامة ومستواه منخفضاً، لكن بساطة الحديث لا تعني الخطأ في الحديث [36]".

ينبغي للمبليغ الديني أن لا يجعل الدين غطاءً لمنطقه أو خطابه الخاوي، وإن كانت العوام تستحسن ذلك المنطق أو الخطاب، كما ينبغي للمبليغ الديني أن لا يخضع خطابه لمذاق مخاطبه ومزاجه:

"اجتنبوا الكلام الضعيف والمعلومات المظنونة في القضايا الدينية، فلو كانت الفضاءات الذهنية لعوام الناس تتقبل أمراً ما، لكنه غير صحيح، فإياكم والخضوع لتلك الفضاءات، فتطلقون تصريحات خاوية تحت غطاء الرأي الديني [37]".

لقد ضاعف إتقان المضمون التبليغي وإحكامه، التكليف. ففي الظروف الراهنة التي يراقب فيها الأجانب أوساط العلماء الشيعة ويتربصون بهم الدوائر، فإذا صدر منهم أي كلام خاوٍ استخدموه دليلاً ضدّهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتعرّض مخاطبونا لهجومٍ ثقافي من قبل الأعداء، فأَيّ ضعف وتراجع في مضمون الخطاب التبليغي الديني تترتب عليه نتائج إيجابية للأعداء ونجاح هجومهم الثقافي:

"إن من يمارس الخطاب الديني اليوم عليه مراعاة بعض الأمور منها:

1. إحكام الخطاب وإتقانه:

"فالتصريحات والخطابات توضع اليوم تحت مجهر الأعداء. وتعرّض أذهان وأفكار مخاطبيننا لهجوم الأعداء، فعلينا أن نحذّر كثيراً. حتى لو خاطبنا الأطفال فليكن خطابنا صحيحاً وقوياً ومبرهنأً([38]).".

ويتحقق الإتقان في التبليغ في ظل التفرّغ والمطالعة، ففي أيّ مستوى من العلم والفضل كان عليه المبلّغ يجدر به أن يخصّص وقتاً مناسباً لتأهيل نفسه في مجال إحكام الخطاب وإتقانه:

"ارتقاء المنبر يستدعي المطالعة، والمنبر دون مطالعة معناه أننا نطرح على الناس همّنا وغمّنا، الأمر الذي يستبطن أننا لا نهتم بالناس([39]).".

على المبلّغ الديني أن يهتم بكيفية تبليغه، فالإكثار يمنعه من إتقان الكلام... ليَجعل التفرّغ للمطالعة والبحث أصلاً في نشاطه ولو انعكس ذلك سلبياً على عدد الخطب أو المؤلفات:

"لتكن الأقوال والتصريحات علمية، اجتنبوا الهزيل من القول، ولا ترتقوا المنبر دون مطالعة، اطلّعوا على آخر وأفضل الأقوال المتعلقة بالقضايا الإسلامية. وقد يسفر ذلك عن تقليل خطاباتنا، لكن لا إشكال في ذلك، فهذه الوظيفة تحتم على المرء لكي يتحدّث جيّداً أن يقلّل كلامه([40]).".

2. الإقناع على المدى الطويل:

يجب أن لا تتلاشى تأثيرات التبليغ الديني بسرعة، كمن يحدث فقاعات على سطح الماء لا تلبث أن تختفي.

فعلى المبلِّغ الديني أن يسعى لإطالة مدى تأثيرات عمله أو يجعلها باقية، فيستوعب عقل المخاطب وقبله ويصوغ . استدلالياً . قناعاته، لا أن يصوغها حماسياً وفوضوياً ويجعل ذلك برهاناً على صحة عمله:

"على مبلغنا، ذلك المرء الذي يخاطب الناس، أن يتحدث مع الناس بأمور تشري أذهانهم لمدة يعتد بها، لا أن يتلاشى جهده التبليغي بكلمة أو بشعار أو بكتيب، فالمشكلة تكمن في أننا نواصل. أحياناً، المفهومات إلى أذهان الناس بطريقة طوباوية، فيأتي الآخرون، ودون ضجيج، ليغسلوا كل ما أوصلناه! إنها مشكلتنا الكبيرة حتى الآن.

إن ما نريد إقراره في الأذهان يجب أن يقر بطريقة تمكّنه من البقاء في الذهن مدة من الزمن، خمس أو عشر سنوات، ولا أقول يجب أن يظل إلى آخر العمر، باعتبار أن ذهن الإنسان ينمو، وتنبثق منه تساؤلات جديدة(41)".

3. مواكبة مقتضيات الزمان:

يجب أن لا يدور المضمون التبليغي في فراغ وخارج زمانه، وكأنه مجردات عقلية لا صلة لها بحاجات المجتمع، فليتخذ المبلِّغ الديني مقتضيات الزمان معياراً لمطالعتة وخياراته، ويطابق خطاه معها:

"أرجعوا وانظروا، ما هي متطلبات العصر وما هي احتياجات الناس، واستنبطوا ذلك من الشرع الإسلامي المقدّس.. نصّجوه وهينوه، ثم قدّموه طازجاً للناس(42)".

المبلغ الواعي يدرك المتطلبات الآنية ويشخصها ويلبيها وفق التكليف الديني، فيبذل كل جهوده لكي لا يتخلف عن أداء تكليف في الإجابة عن تساؤلات العصر:

"الحكمة في أن المرء يؤدي عمله في الظروف المناسب وأن يعرف زمانه... حكمة هذا الرجل. سماحة الإمام الخميني (قده) تجلت في إدراكه الدائم لمتطلبات كل لحظة، بالطبع فإن هذا الأمر مهم جداً، لأنه يستدعي:

أولاً: إدراكاً واستعداداً ونظراً ثاقباً.

ثانياً: شجاعة وشهامة.

يعني أنه يقوم بالعمل في الوقت الذي لا يقدم فيه الآخرون على العمل(43)].".

إن المجتمع يهتمّ بالمبّلّغين في ظلّ إدراكهم لوضع المجتمع وحركة العصر، والمبّلّغ الناجح هو الذي يتواكب خطابه مع مشاكل المخاطبين والإشكالات الدينية المعاصرة، فيوضح الإجابات عن الإشكاليات ويحل المشاكل. فهو لا يخاطب موجودات فضائية مجهولة، وإنما يوجّه خطابه لإنسان يعيش على الأرض، فعليه أن يعرف آلامه ويواسيه في أحزانه ويقدم الإجابات الشافية عن كل تساؤلاته:

"كان في إيران نوعان من الخطباء: أحدهما: الخطيب الذي لا يهتم أحد بحديثه، لأنه لا يتناول في حديثه أموراً مرتبطة بعصره، والآخر: الخطيب الذي يزدحم الناس، وبخاصة الشباب، حوله للاستماع إليه (فليس كل من باع الحلوى كثرت زبائنه)، ما الفرق بينهما؟ أفي قوة البيان وضعفه؟ أم في رخامة الصوت؟ أم في الرشاقة والشكل؟

إن جميع الناس إمّا في هذا الطراز أو في ذلك، لكن الفرق يكمن في أن ضآلة عدد المستمعين تعود إلى أن الخطيب لا يفهم مقتضيات العصر ويتطرق إلى أمور أخرى، فالناس كانوا متعطشين لمجموعة من المفاهيم الإسلامية التي لا يتناولها هؤلاء أو لا يجروون على التحدّث بها، أو أن عقولهم لا تصل إليها، لكنهم بسبب أو بآخر لا يعتبرونها ضرورية(44)].".

4. تعميق المضمون:

طوى مخاطبونا في مختلف المراحل العمرية والتعليمية خطوات واضحة في التثقيف الديني، وهذا الأمر يستدعي من المبلِّغ تعميق محتوى كلامه وأن لا يكرّر أقوال المبلِّغين الماضين للأجيال السابقة. فلأسف أن المخاطبين مستأوون من عدم طرح الموضوعات الجديدة والمفيدة في الخطاب التبليغي؛ لذلك نشاهد أنهم يحجمون عن حضور المجالس والمحافل التبليغية أو أنهم يحضرون في أيام خاصة فقط، إسقاطاً للتكليف وفقاً للسنة، متجاهلين أقوال المبلِّغ. يجب على المبلغ الديني أن يسعى لتصعيد المستوى العلمي للمخاطب، وأن يزيد من عمق الموضوعات التي يخاطب بها جميع المراحل العمرية والتعليمية.

فلا يصح النظر إلى الطفل اليوم كطفل الأمس، ولا يماثل الفتى الآن الفتى قبل عدّة عقود، وهكذا في المراحل العمرية والتعليمية الأخرى، وحتى عوام الناس يختلفون. بوضوح. عن أمثالهم السابقين، فهم في الأقل على تماسّ مع المذياع والتلفزيون وما يثابته من معلومات، ولديهم أولاد متعلمون يمكنهم أن يحصلوا على بعض المعلومات منهم، علاوة على ما تزودهم به البيئة والمعارف من تعاليم.

وعليه ينبغي للمبلِّغ في أي مستوى تبليغي كان أن لا يقتصر على المعلومات والموضوعات السابقة ويقف عند حدود مطالعته لبعض الكتب التقليدية:

"المجتمع يتحوّل ويتطوّر، الثورة تتحرك وتسير، فلا بد من امتلاك تحليل وفكر وبناء منطقي وعقائدي يتناسب وجميع مراحل ودرجات التطور والحركة... إنه أمر واجب ويقع على عاتق العلماء، ويجب أن نسجّل حضورنا على المنابر وفي الخطب.

ألاحظ أحياناً أن بعض هذه الخطب، التي تنشر بين الحين والآخر في الصحافة، خاوية، ولا تتصل بالعصر الحاضر، يعني أنها تتناول أموراً واضحة وجميع الناس يعرفونها([45])."

لا بد للمبلِّغ الديني من معرفة الدين جيداً ليبلِّغه للناس، متحاشياً الإفراط والتفريط، فلا يستند إلى جانب من الدين وينسى أبعاداً أخرى منه، فالدين في شكله الجامع أساس للسعادة الإنسانية. لكن الإفراط في التركيز على أحد أبعاد الدين يعكس صورة كاريكاتورية ومزيفة عنه وتترتب مخاطر على الوضع الديني للمجتمع. وقد أشار سماحته، إلى الإفراط والتفريط في أحد أبعاد الدين بقوله:

"عليكم بمراعاة الاعتدال، والاعتدال يعني تفادي الإفراط في أي اتجاه كان، فبعض الخطباء يفرطون إمّا في الجهات الأخلاقية أو الجهات السياسية، لا فرق أياً كانت الجهة، فالإفراط مذموم في كل الأحوال. بالطبع أكثر ما يحتاج الناس إلى الأخلاقيات، فنحن بحاجة إلى ثورة أخلاقية، لكن لا يكون الأمر بحيث إذا تناولنا القضايا الأخلاقية، أو قرأنا على الناس حديثاً، أغفلنا تماماً القضايا الراهنة والقضايا الثورية، وقضايا العالم، وقضايا الحياة.

وكما ذكرت، فبعض يرتقي المنبر، لكن السامع يظن أنه لم تحدث ثورة في البلد! هذا إفراط في جانب، والإفراط في الجانب السياسي خاطئ أيضاً، فبعض يخصص جميع خطبته من بدايتها إلى نهايتها، للأمور السياسية، ولا نجد عبارة في الأخلاق والنصيحة والتهذيب والأحكام(46)".

6. مراعاة الأولوية:

لابد من مراعاة الأهم ثم المهم في مضمون الكلام، فلا نكتفي بصحة الموضوع وحسنه، فالتبليغ يجب أن يتطابق مع الحاجات الفورية والأولية للمخاطبين.

على المبلِّغ الديني أن يعتبر نفسه كالطبيب العالم والحكيم العاقل، فيتمعن بعمق في مريضه ليشخص أداؤه، ثم يصنف أمراضه فيبدأ بعلاج الأمراض الخطيرة والمميتة، ولا ينشغل بالآلام الخفيفة والأمراض البسيطة:

"علينا أن نتحدث بالأهم، فقد يكون الموضوع جيداً جداً لكنه غير مهم. إذا كان شخص بحاجة على من ينقذ حياته، فهل من الصحيح أن تحدثوه مثلاً عن العناية بنظافة الفم والأسنان؟

إن نظافة الفم والأسنان أمر ضروري، لكن هذا الشخص يعاني من مرض قاتل. اهتموا بالقضايا ذات الأهمية، والأهم هو الذي يجب أن يقال([47]).

لمعرفة القضايا الأهم لا بد من التأمل والتمعن، وإدراك القضايا، والذكاء، والنظر الثابتة، وتخصيص وقت مناسب، لأن قضايا المجتمع الفكرية في تغير دائم، والتساؤلات التي تفرزها حركية الحياة تظل تلحّ مطالبة بالإجابات:

"الأهم هو الذي يجب أن يقال... عليكم أن تبحثوا عما يدور في ذهن الشباب من تساؤل بحيث إن لم تتضح الإجابة عنه قد يؤدي ذلك إلى الانحراف ما هو هذا السؤال؟ عليكم أن تبحثوا عنه وتجده. الجزء الصعب في القضية يتمثل في ديمومة السعي للعثور على تلك الأسئلة التي تدور في الأذهان، فالأسئلة ليست دائماً من نمط واحد، في الأيام التي كنا فيها في مقدّمة النشاط التبليغي ونبدل جهوداً ضخمة في هذا الطريق، لم تكن القضايا المطروحة آنذاك تشبه ما هو موجود الآن، آنذاك كان علينا أن نفهم الاشتراكية العلمية والمادية. التاريخية لنرد عليهما، في ذلك الوقت كانت هذه المسائل تشغل أذهان غالبية شبابنا الجامعيين وغيرهم حتى بعض التجار والكسبة، لكن اليوم توجد قضايا أخرى.

هل تريدون أن تبقى هذه القضايا؟ هل تريدون أن يبقى فراغ في أذهان بناتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا ليملاّه العدو كيف يشاء؟

إن لم ترغبوا في ذلك عليكم أن تحدّدوا الفراغ. ثمة حاجة إلى أجهزة متخصصة للتفكير في هذا الأمر([48]).

7. تحاشي التفكير

لا بد للمبلّغ الديني أن يعتمد الأسلوب المنطقي والتحاوّر اللين، ويتحاشى التكفير والانتهاك.

إن تكفير الآخرين لا يحل المشاكل بل يكرّسها ويضاعفها، ويضفي طابع المظلومية والبراءة على الأفكار المسمومة، فيضعها وسط هالة زائفة من القدسية فيجتمع حولها الأنصار والمؤمنون بها.

وللأسف كان لظهور وتنامي الفرق الضالة في تاريخ بلدنا ارتباط بهذا النمط من التعامل، فكلّما حلّ التكفير محلّ المنطق وقعت مخاطر عظيمة والتجربة التاريخية عبرة لمبلّغينا:

"ارتكبنا، نحن المعمّمين وعلماء الدين طوال التاريخ، أخطاءً كبيرة في نقد بعضنا بعضاً، فقد تصورنا أن النزاع والإبعاد وأحياناً التكفير بمقدوره أن يجتث جذور الأفكار الخاطئة من المجتمع، بينما هذا الأمر خاطئ.

لماذا استقرّت الأفكار الخاطئة للفرق الضالة في عقول كثير من الناس وما زالت حتى الآن؟؟ السبب يكمن في أن التعامل معها لم يكن منطقياً واستدلالياً، وإنما كان تعاملًا خشناً، وحسب.

هذا التفكير الالتقاطي موجود في مجتمعنا، إلا أن الرد عليه ليس في العصا والشجار والإبعاد والتكفير والتفسيق، بل في العمل الصحيح ([49]).

وتزداد أهمية هذا الأمر في عصر الحكومة الدينية، ففي عصر الانزواء لم تكن أنظار العدو متوجهة للحوزة مثلما هي الآن لأنها كانت بعيدة عن الحكم، أمّا الآن فيوجد ارتباط وثيق بين الدين والحكومة، لذلك فإن تداعيات التفكير والتفسيق السيئة ستبدو مضاعفة. في عصرنا هذا يمكن بسهولة اعتبار التكفير والتفسيق دليلاً على عدم منطقية الحكومة والدين، فيتم تصوير الدين القائم على الحكمة والمنطق على أنه دين قمعي وإرهابي، الأمر الذي يساعد على الانفصال عن الدين أو التشكيك في أركانه.

الالتفات إلى هذه النقاط يقتضي من المبلّغين أن يرّدوا على الأفكار المنحرفة بالمنطق والنتائج الفكرية الغزيرة:

"المجابهة يجب أن تتناسب مع المصلحة والحكمة، فاليوم ليس كالأمس. ففي السابق إذا تكلم شخص ولم يكن بإمكاننا أن نقوم بأي عمل، كنّا نصرخ أو نعلن البراءة منه، أو نكفّره أو نفسقه إذا كان

كلامه في حدود الكفر والفسق، أما اليوم فلا حاجة لهذه الأمور ويجب تجنب هذه الممارسات، فإنّها تضرّ بالمجتمع الإسلامي [50]".

الطرح الصحيح لمظاهر الحق يفسد عمل أهل الباطل، كالورد الذي يبطل سحر الباطل ويفضحه دون الحاجة إلى ضجيج وتكفير وتفسيق.

جميعنا يجب أن نكون "لا ريب فيه"، عقائدنا يجب أن تكون "لا ريب فيه"، وهذا نبينّه بقوة واقتدار وثبات وبلغة مناسبة، وقتها سنرى مصداق "لا تقارن السحر بالمعجزة، إنما كن صاحب قلب".

لا تأسفوا، هاتوا المعجزة، سيقهر السحر تلقائياً، وستلقف حبالهم وعصيهم.

المطلوب إذن أن نلقي عصا موسى ونخرج يدنا البيضاء من جيبننا.

أسلوب التبليغ وأنماطه

من الأجدى للتبليغ . علاوة على المضمون الجيد والصحيح . أن يعرض في أنماط أو نماذج مناسبة وجذابة.

فينبغي للمبلِّغ الديني الالتفات إلى أن لمخاطبيه مستويات متفاوتة في المعلومات والأذواق والذكاء والإيمان ... هذا الأمر يقتضي اعتماد أنماط ونماذج تبليغية تتناسب مع مختلف الفئات التي يوجّه إليها خطابه؛ فلا يكتفي بنمط أو نموذج تبليغي واحد لمخاطبة المجتمع بمستويات كافة:

"يتفاوت التبليغ (أي التوصيل وأدواته) تبعاً للظروف، فتارة نريد نقل شيء إلى الغرفة المجاورة، وأخرى على مكان يبعد مسافة فرسخ، وتارة ثالثة إلى أقصى نقطة في العالم، أحياناً تعترضنا الحجب والجدران، وأحياناً يجب علينا اجتياز العقبات والجبال، وقد نحتاج إلى الأدلة والبراهين لإقناعه، بل قد يظلّ يقف على مسافة منا ممتنعاً عن القبول بأفكارنا.

إذن، فالتبليغ يتقوم بأقسام وأنواع متعددة تبعاً للظروف المختلفة. ترى، ما الذي يشخص أداة التوصيل وأسلوبه؟ إنه إبداعكم وذوقكم وفهمكم وسرعتكم في النقل. إذا كان المطلوب نقل مقدار من الماء مسافة فرسخ وحملتموه في كأس كل هذه المسافة بحيث تساقط أغلبه أثناء النقل، فإن العقلاء يدهشون لعملكم، فما هكذا ينقل الماء؛ بل يحتاج إلى جرّة أو كوز([51]).

من غير الصحيح إذن التعصب للأنماط التبليغية السابقة والاقتصار عليها، ففاعلية طريقة ما في العصور الماضية لا يجب أن تتحول إلى حجاب يمنع المبلغين من التفكير في طريقة أخرى:

"لا ينبغي لنا الاكتفاء بالقول: هكذا كنا نبلغ في السابق، وكانت طريقتنا في التبليغ مؤثرة. أجل، ارتقى الشيخ جعفر الشوشتری رضوان الله تعالى عليه المنبر يوماً في إحدى مدارس طهران، وخاطب الناس قائلاً: "أيها الناس! يكفي أن تعلموا أن الله موجود" فأحدث تحولاً في قلوب الناس بهذا المقدار من التذكرة. لقد أثر كلامه في النفوس سواء كان السبب في ذلك يعود لنفسه أو المدد الإلهي أو أجواء تلك الأيام، أو استعداد المستمعين. وإذا أردنا اليوم أن نرتقي المنبر ونقول: يا أيها الناس اعلموا أن الله موجود، فالإنسان سيعجبون لعملنا([52])."

وعليه يجدر بالمبلغ أن يعيد النظر دائماً في أنماطه ونماذجه التبليغية فيجعلها تواكب تطورات العصر وحركة الحياة الاجتماعية:

"من غير المنطقي أن نطرح كلامنا الحق اليوم بذات الطرق والمناهج التي اعتمدت قبل مئة عام. بل هناك تفاوت بين اليوم وما قبل الثورة. فالمنبر الذي كان مفيداً ومؤثراً قبل الثورة. في الأعوام (1976-1978) قد لا يكون مؤثراً ومفيداً في كل مكان هذه الأيام([53])."

فالتبليغ تواصلٌ وتجاوز بين المبلغ والمخاطب، ومعلوم أن الشرط الأول لأي تواصل وتفاهم هو الاستئناس باللغة وبأداة التواصل.

لكن المؤسف أن التبليغ الحوزوي يتمّ أحياناً باللغة المهجورة؛ بحيث يجد المخاطب نفسه يإزاء كمّ كبير من الكلمات والمصطلحات الغربية والألفاظ المعقدة التي تُضَبُّبُ له الحقائق فيضيع عليه الطريق:

"عرض المرحوم المجلس رضوان الله تعالى عليه في "حق اليقين" و"حياة القلوب" وأمثالها، الأخلاق والعقائد الدينية بلغة عصره فيما قرب الآخرين من الفكر الشيعي واجتذبهم إليه. ولا تظنّوا أن كتب المجلسي جاءت جزافاً، إنما رسّخت دعائم التشيع. في ذلك العصر الذي كان فيه التشيع جديداً في بلادنا. وعمّقت العقائد الشيعية في قلوب الناس. لقد كانت هذه الكتب مفيدة وقتذاك. ومع ذلك، لا نستطيع اليوم اعتماد "حق اليقين" و"حياة القلوب"، فضعوهما على الرف باعتبارهما جزءاً من التراث، وليتركز جهدنا على تقديم مضمونها بلغة العصر([54])."

على الحوزة أن تهتم بالفن المعاصر. فالفن بكل أشكاله المسموعة والمرئية والمكتوبة يمتلك خزيناً ثميناً من التجارب تراكم عبر التاريخ، لكن الحوزة غافلة عن هذه الثورة بحيث نشهد قطيعة بين الحوزة والفن.

فللتوفر على أنماط تبليغية مناسبة، لابدّ للحوزة من تعميق الصلة بينهما وبين الفن المعاصر، والكف عن اعتباره لهواً ولعباً منافياً للمروءة.

فخطاب الحوزة علاوة على بعض الاتجاهات الجديدة المتمثلة في كتابة المقالات التحقيقية ما زال هناك أنماط وأساليب فنية جديدة في المناهج التي خبرتها الحوزة إضافة إلى عشرات المناهج التي لم نخبرها بعد، مع أن مكانتها لا تقلّ عن غيرها.

فيجب على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تدرك مكانة الفن، وأن تدعّن إلى أن جمال العرض يضاعف من فاعلية التبليغ ويوسّع مداه:

"ينبغي الاستفادة القصوى من الفن، واعني الاستفادة من الفنانين الموجودين. فثمة استعدادات وتوجهات فنية عند الطلبة وغيرهم؛ إذ لا بديل للفن في المجال التبليغي، أي لا يملأ مكان الفن في

التبليغ أي شيء سواه. وهذا أمر ثابت في العالم ويجري العمل به، فيقال: إن عرض عبارة واحدة ناهية أو أمرة من خلال أسلوب فني معين يجعل من شأنها الاستقرار في أعماق نفس المستمع فيستجيب لها. فاليوم يترافق التبليغ والفن... فيجب علينا إذن أن نجتمع التبليغ إلى الفن([55]).

وقد مارس الجهاز التبشيري المسيحي هذه التجربة وما يزال، مستخدماً مختلف الفنون (الرواية، المسرحية، السينما، الرسم، الموسيقى) من أجل توصيل مفاهيمه ومبادئه بنحو غير مباشر. ففي ظل الإدراك الصحيح لأهمية الفن والتوظيف المطلوب له حققت المسيحية حضوراً ملموساً على الساحة العالمية، حتى استطاعت أن تجد في البلاد، الإسلامية أفراداً يستجيبون لها دون قصد:

"لست من الذين يقارنون كل ما يطرح عندنا مع الأجانب، وأوجه الانتقادات إلى جانبنا. فأنا أعترف بالحقائق الموجودة في مجتمعنا...، لكن ثمة أمور تجري أمام أعيننا في هذا العالم..

ليس للكنيسة علم ديني بتلك الصورة المعمقة والاستدلالية، لكنها في الوقت نفسه متقدمة في الجانب التبليغي. لقد أنتجوا أفلاماً كثيرة في إطار الدعاية للمسيحية دون أن يظهر ذلك. حتى أن أصدقاءنا في التلفزيون وفي أيام كانون الثاني وأعياد الميلاد، يعرضون عدداً من الأفلام المسيحية والكنيسية مجاملة للمسيحيين. وقد لاحظت أن أغلبها يروج للكنيسة... فمن يشاهد الفيلم يتأثر به، إذ يعرض قسيساً بوجه نوراني وهو يقوم بعلم إيجابي([56])."

ومن الطبيعي أن توثق الارتباط بين "الحوزة" و"الفن" لا يتم بين ليلة وضحاها، فهو يحتاج إلى وقت وإلى تخطيط دقيق.

بوسع المؤسسة التبليغية للحوزة وعبر التخطيط المناسب أن تصوغ سبل الارتباط، وتعزز حضور "الفن" في الحوزة، فتكتشف الذوق الفني لدى الحوزيين، وتهيئ لهم الأرضية الخصبة للإبداع والارتقاء الفني، وتدعم الطلبة الفنانين مادياً ومعنوياً، وتدعن على أن الفنون من وسائل التبليغ الديني، فتعمل على صياغة طرق الاستفادة منها في منظوماتها التبليغية:

"لا تنجز هذه الأعمال بين ليلة وضحاها. فإذا بدأت اليوم بالعمل في هذه المجالات وقمتم بإنتاج البرامج الصوتية والتصويرية. وبخاصة التصويرية. فربما تتوافر للحوزة هذه المقدرة بعد عشر سنوات، لكننا نفتقدها حالياً، ولا نستفيد من الفن([57])."

المجتمع المخاطب

يجب على المبلغ أن يتوفر على معرفة صحيحة بمخاطبه، ثم يوجه خطابه إليه، فيقيم ارتباطاً بين المخاطب والمضمون ونمط التبليغ.

ومن المؤسف أن نقائص ومعايب كثيرة تحيط بهذا المضمار أيضاً، حيث لا تعتبر مراعاة مستوى المخاطب شرطاً جاداً للتبليغ، فالمبلغ يعرض ما يعمل في قالب معين اعتاد عليه ولا صلة له بطبيعة المخاطب. فهو يتحدث مع جماعة مجهولة لديه، وبموضوعات جاهزة سلفاً.

فيجب أن يكون لدى النظام التبليغي للحوزة معلومات واضحة عن خصائص المناطق والبيئات والمجتمعات المفترض مخاطبتها لتعين المبلغ في وظيفته:

"لا توجد مواد تبليغية. مثل تصنيف البحوث وتشخيصها لكل فئة من المستعين. فعلى سبيل المثال، إذا أردتم التوجه إلى بلد معين ستستفيدون من مطالب معينة لا تنفعكم في بلد آخر. وهكذا فإن ما تحتاجون إليه في القرية يختلف عما تحتاجون إليه في المدينة الكبيرة. وفي طهران والجامعة والبيئة الطلابية تتباين المقتضيات عن مجلس تعزية نسائي. إن هذا التصنيف غير موجود في الحوزة([58])."

إن عدم معرفة المجتمع المخاطب، يبعد المبلغ عن هدفه، بل يعرضه أيضاً. في بعض الأحيان. لمطبات خطيرة تقضي على العكس مما يتوخاه من التبليغ. وبناء على هذا يجدر بالمبلغ أن يعرف المجتمع الذي تحرك وسطه، ثم يضبط حركيته وينظمها وفق هذه المعرفة:

"أحياناً يتمتع الطلبة بخلفيات ذهنية وعقلية جيدة جداً، لكن عدم معرفتهم بالمجتمع وتطلعاته وما يحمله (المجتمع) من تصور عن المبلغ، يوقعهم في ممارسات تخالف المطلوب. فمن الضروري إعطاء

دروس حول تصورات الناس عن المبلّغ وتوقعاتهم منه. فيتعين على الطالب "الحوزوي" أن يعرف قدر نفسه وقدر المبلغ كما هو. لا أكثر ولا أقل [59].

يفترض بالمبلغين أن يعلموا أن المجتمع في حالة تغيّر مستمر، فلا يعيدوا لجامعي اليوم حديثهم الذي حدثوا به الجامعيين قبل عشرة أعوام، ولا يتصوروا شاب اليوم كشاب أوائل الثورة، فبيئة المدينة والقرية في تغيّر دائم:

"يتعين على إمام الجمعة. في مدينة ما. أن يطوّر مستوى خطبه على الدوام. فالمطلوب أن نعرض للناس خطباً جديدة وحيوية. فإن ما أوصل الناس على مستوى تحمّل "أمانة" الثورة الإسلامية هو الخطاب الديني المتجدد والفهم الصحيح والجديد للإسلام الذي بين للناس الجوانب المجهولة من الإسلام. وهي الأمر التي لم توضّح للناس على مدى عصور متماذية. واليوم تتجلّى ذلك الخطاب بحقائقه العينية والخارجية. ولديمومة هذه الحركة ومواكبة التطور يجب الاستمرار في ترشيد الناس وتصعيدهم فكرياً [60].

وعلى المبلّغ أن لا يخلط بين معرفة المخاطب والانسحاق مع الأجواء السائدة، فلا بدّ أن يتحاشى الاستجابة لأهواء المخاطبين ورغباتهم. على المبلغ أن لا يغفل عن مبادئه وقيمه ومنطلقاته ويوقعها في أسر الأهواء. وبعبارة أخرى: يتعيّن على المبلغ أن يدرك أذواق واتجاهات المخاطبين ويأخذها بنظر الاعتبار، دون أن يعني ذلك وضع الدين في سجن النوازع الآتية:

"الشباب يتّسمون بالإخلاص والإيمان والظرافة، فعلينا أن نحافظ على صفائهم وإيمانهم، وهذا لا يعني أن نقبل منهم ما ليس داخلاً ضمن تخصصهم. وللأسف نشهد هذه الأمور في بعض الحالات، وهذا مؤثر على تأثر بعض المبلغين بالجوّ السائد، فهم يردّدون ما يمليه الجو عليهم، حتى إنهم يحسّون أحياناً بذلك، وهذا بلاء عظيم، فمن غير الصحيح أن يؤثر الجو المتأثر بفكر ما أو عقيدة ما أو انطباع ما، على أذهانكم وانطباعاتكم.

إن الإعراض والرفض والجفاء أمور غير صحيحة، ولا نوافق عليها، ولكننا لا نوافق أيضاً على أن يبدي أحد العلماء رأياً لا ينسجم مع تشخيصه ومبناه الفقهي وفتاويه أو فتوى مقلده، أو يتعارض مع مسلماته، وهذا ذنب لا يرضى به الله ولن يعفو عنه بالتأكيد([61]).

وينبغي للمبلغ أن يرى في التحرك بشهامة وشجاعة تكليفاً شرعياً . إنسانياً، فلا ينكفي وينعزل، بل يتحرك في وسط المجتمع ويعرض أفكاره بوضوح وجراًة، ولا يجعل خطابه أسيراً لأحاسيس المخاطب الآنية، بل يجعل مشروعية خطابه وفائدته للمخاطب أصلاً في عمله، ولا يتخذ الضجيج الذي قد يثار حوله والمشاكل التي قد تعترضه معياراً لحركته، فمثله مثل الطبيب الحاذق الذي يصف الدواء المر وإن لم يستمرئه المريض:

"يجدر بالكاتب أن يطرح الموضوع من خلال نظرة عميقة وبعيدة المدى، وبشجاعة تامة، أي بعيداً عن أي مهادنة للجامعيين وغيرهم. وبعبارة ثانية، يجب أن لا أتأثر في كتابتي للموضوع بالأحكام التي أتوقع أن يصدرها القارئ ضدي، بل يجب أن أكتب الحقائق بشجاعة.

فالموقف الشجاع يعود بالفائدة على صاحبه. وقد شاهدنا إبان السنوات العشر الفائقة أفراداً لم يتخذوا مواقف شجاعة، خشية أن يستاء طرف معين منهم، أو لأن طرفاً ما ينتظر ذلك، فهؤلاء ينطلقون من خلفيات خاصة، وهذا الأمر يعود عليهم بالضرر... على أنه لا ينبغي إغفال بعد النظر، فعلى المرء أن يتمتع بسعة الصدر وبعده النظر وعليه أن يجمع إلى سعة الصدر، الشجاعة والصراحة والثبات([62]).

ولقد جسّد الإمام الراحل رضوان الله تعالى النموذج الأروع في الجمع بين معرفة المخاطب وعدم التأثير بالجوّ السائد. وهو ما تجلّى فيه قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعده. فبالرغم من اهتمامه بمخاطبه وصياغة محتوى خطابه ومستواه وأهواء هذا الطرف أو ذاك عن القيام بتكليفه، فثبت واستقام على منهجية المستقيم طارحاً بصراحة تامة رؤاه وأفكاره الأصيلة، قبل الثورة وبعدها، دون أي مهادنة.

وقد أشار سماحة قائد الثورة مراراً إلى هذه الخصلة الممتازة التي تميز بها سماحة الإمام رضوان الله تعالى عليه.. ومن ذلك قوله:

"عاد الإمام إلى إيران في وقت كانت أجواء الصراع في بعض المستويات في الأفراد مشحونة بالتصورات المستوردة وكان بعض العلماء قد شارك في صعيدها. وجاء الإمام فأقصاها جميعها. وقد تجسد موقف في أول خطاب له في المطار. حيث أنابتني الحيرة عندما كان يلقي خطابه وقلت لنفسى: عجباً! لا يتأثر الإمام بالملاحظات التي نتأثر بها... وفي الأشهر الأولى طرح بشكل قاطع مسألة السفور والحجاب([63])."

المؤسسة التبليغية

نجد الحوزة نفسها اليوم إزاء كم كبير من الاحتياجات المتزايدة في المجال التبليغي، وهو ما يستدعي منها موقفاً جاداً ومنظماً:

"إن انحسار النشر والتبليغ أحد المشاكل التي تعاني منها الحوزة؛ إذ لا تصدر الحوزة ذلك المقدار الكافي من الكتب والصحف والمجلات، ولا ترسل العدد الكافي من المبلغين، فثمة طلب دائم إلينا من أنحاء العالم كافة (أفريقيا وأوروبا وآسيا) أن نرسل إليهم العلماء([64])."

وعلاوة على هذه الحاجة الكبيرة، أُمست الممارسة التبليغية مدعاة لعمليات معقدة ودقيقة زادت من صعوبة الأمر وأكدت اتخاذ موقف رزين ومدرّوس بهذا الخصوص. وهنا نلفت إلى أهمية المسائل الآتية.

1. ضرورة التنظيم

يفتقد التبليغ الحوزوي للعمل التنظيمي، حيث يتم في الأغلب بنحو تلقائي وفردى ومزاجي، وعليه فإن الخطوة الأولى اللازمة لحل المعضلات تتمثل في إيجاد مؤسسة تبليغية في الحوزة، قادرة على تنظيم القوى والاحتفاظ بها:

"يتعين علينا القيام بعملين؛ أحدهما: تنظيم التبليغ بأفضل نحو، فبالتنظيم نستفيد من القوى، مهما صغرت، في مواردها المناسب، فكما أنكم تارة تنقلون المياه من مكان إلى آخر بوعاء، وتارة أخرى عبر الأنابيب، وتلاحظون أنكم في الحالة الثانية لا تهدرون قطرة واحدة من الماء، وهكذا العمل المنظم لا يهدر الطاقات. إن تنظيم التبليغ يمنع من هدر أي طاقة، كالماء الذي لا يُبخر ولا يترسب في الطين ولا يتبدد في غير موضع الحاجة إليه، فأحياناً تذهب كميات كبيرة من المياه سدى أثناء سقي إحدى الحدائق، وهذا يعني أن الماء الضروري للحياة قد دمر الحديقة وحولها إلى أرض موحلة. وفي بعض الحالات يكون تبليغها مشابهاً لهذا المثال. أي إن كانت هناك حاجة لمبلغ في منطقة ما، فإننا نرسل ثلاثة أضعاف العدد المطلوب من المبلغين، فتكون النتيجة مناقضة للهدف التبليغي! إن التنظيم يحول دون هذه السليبيات(65)".

2. التنظيم المناسب:

لابدّ للمؤسسة التبليغية في الحوزة أن تواكب الاحتياجات وتستجيب لها. فشدة التطلع والحاجة إلى العمل التبليغي وتعدد مستويات المخاطبين، تستدعي وسائل تبليغية متعددة، إضافة إلى عشرات المسائل الأخرى التي يفترض بالمؤسسة التبليغية أن توفرها وتعتمدها فيما يحقق لها أهدافها.

وهذا الأمر يستلزم تشكيل مؤسسة تبليغية تتمتع بإدارة مقتدرة وكوادر متمرسة وآليات عمل فاعلة، وفي غير هذه الصورة فإن هذه المؤسسة تغدو عبئاً يثقل كاهل الحوزة ومشكلة أخرى تضاف إلى مشاكلها:

"لولا التنظيم، لو لا تحرك الأشخاص الذين يريدون أن يتحدثوا في إطار عمل منظم، لما وجدنا لهذا الجهد العظيم أثراً. لقد كان هذا العمل المنظم يتم قبل انتصار الثورة بشكل بسيط فيما لم يكن مجال عملنا واسعاً. ترى كم نستطيع أن نعمل؟ ما الذي يمكن شخصاً واحداً من مدّ نفوذه إلى مساحة واسعة من المجتمع؟... اليوم أصبحنا محطّ تطلّع نظام ومجتمع وبلد وحكومة... إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يكون لدينا عمل منظم قوي وواسع(66)".

3. الحركة ذات المضمون:

لا ينبغي للمؤسسة التبليغية أن تحسب نفسها في الأعمال الصورية، ولا أن تكتفي بأطر تنظيمية شكلية، بل عليها أن تثري خطابها الحوزوي وتعزز تماسكه وتبعده عن التكرار، وتجسّر الصلة بينه وبين البيئة الاجتماعية التي يمتد فيها. فإن البناءات التنظيمية الشكلية لا تعدّ دليلاً على أن للحوزة خطاباً تبليغياً متماسكاً وفاعلاً:

"في تصوّري إن التبليغي خصائص معيّنة تمنحه الفاعلة، فإذا افتقر النظم للمضمون ولم يتعدّ كونه حركة صورية فإنه يفتقد للفاعلية. فالنظم لا تترتب عليه فوائد حقيقية وأساسية إلا إذا اغتنت الحركة بمضمونها.

في الحركة الشكلية تشخّصون هوية المرسل والمنطقة التي سيرسل إليها وتاريخ الإرسال، وهكذا تحدّدون الناشر والكاتب. إنه عمل شكلي يتمثل في استخدام القوى المتوافرة بطريقة منظمة، وهذا هو النظم؛ وهو جيد جداً ومفيد. لكن لن يحصل لكم الاطمئنان والأمل بفاعلية حركتكم إلا إذا أغنيتكم النظم بالمضمون([67])."

4. تأهيل المبلّغ:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تهتم بإعداد المبلّغ بصفته ضرورة من ضرورات برامجها الأساسية. فالتبليغ بات عملية معقدة تستدعي تأهيلاً خاصاً:

"ثمة عيب أساس في التبليغ الحوزوي، يتجلى في انفصال التبليغ عن الحوزة. بالطبع تضطر بعض الدوافع والحاجات عدداً من الحوزويين إلى التبليغ في فصل الصيف أو في أيام شهري محرّم ورمضان لكن الحوزة تفتقر إلى درس في التبليغ. فالتبليغ عمل وفن وعلم، فلا بد من تدريسه. فقد يعتزم أحدهم التصريح بأمر معين، فإذا به يطلق تصريحات تتناقض وما عزم عليه وكثيراً ما حدث أن إمراً تحدث بأمور استنتج منها السامع نقيض ما كان يريد المتحدث من حديثه. أو على سبيل المثال يتوجه المرء على التبليغ دون أدنى معرفة له بعلم النفس الإعلامي، فيخاطب الناس بغير لسانهم. حيث يتكلم في

القرية بما كان يجب التكلم به في الجامعة، ويتناول في القرية مسائل جديدة بالتطرق إليها في العمل. وبناء على هذا اعتبرنا الحوزة تفتقد لمنهجية علمية في التبليغ مثل علم النفس الاجتماعي([68]).

إن تحقيق ذلك يمكن أن يتم بصورتين:

أ . إقامة دورات قصيرة:

"يتعين على المؤسسة التبليغية في الحوزة إيجاد الاستعدادات الأولية والعامة للمبلغين عبر دورات قصيرة يطلعون خلالها على المسائل الضرورية في التبليغ:

إحدى المعاينات، معاونة التبليغ والطاقت البشرية ويقتصر عمل هذه المعاونة على تأهيل المبلغ للعمل في داخل البلد وخارجه وأيضاً تأمين مبلّغين دائمين وموسميّين لمختلف مناطق البلد. وهذا يقتضي دورات قصيرة وصفوفاً خاصة([69]).

ب . تأسيس قسم خاص بالتبليغ:

"يجب على الحوزة طي طريق آخر إلى جوار الطريق الأول (الأكثر عمومية)، وذلك من خلال تأسيس قسم للتبليغ وتخصيص جزء من إمكانياتها له.

ومن شأن ذلك أن يفضي إلى تخريج متخصصين في المجال التبليغي قادرين على تحقيق الأهداف التبليغية المرجوة، خلافاً للوضع الحالي الذي يدفع بالعناصر الحوزية الفاشلة إلى امتحان التبليغ.

ج . التقسيم للطلاب

"التقسيم التدريجي للطلاب وفق الأهداف... ويتم اختيار خمسة آلاف شخص كمبلغين وخطباء وكتاب وعلماء، وثلاثة آلاف آخرين في خارج البلد([70]).

5. الجدول الزمني:

بعد تحديد الأهداف والاتجاهات، يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تضع جدولاً زمنياً ترصد فيه الفترة المخصصة لتحقيق كل هدف.

وتترتب منافع مختلفة على الجدول الزمني المذكور، فهو من جهة يسرع الحركة ويمنع التلكؤ والمماطلة. ومن جهة ثانية يشخص الفضاءات الزمنية لتفاصيل العمل ويتيح رؤية واضحة لمستقبله علاوة على إيجاد الأرضية الملائمة لتقويم العمل ونقده:

"ليكون عملنا محكماً. لابد من تقسيم الهدف وفق مراحل زمنية، بمعنى التخطيط للوصول إلى هدف معين خلال خمسة عشر عاماً، مثلاً، وعليه ننجز كل عام، من الأعوام الخمسة عشر، جزءاً من العمل بما يتناسب مع ذلك الهدف. في مثل هذه الحال نغدو قادرين على مراجعة أعمالنا في كل عام، لنرى أي الأعمال أنجزت وأيها لم ينجز.. هل بلغنا المطلوب منا وجاوزناه أم لم نصله بعد؟"([71]).

6. تحديد الموضوعات التبليغية المهمة:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تشخص الموضوعات الزمانية المهمة، من خلال الدراسة والاستقراء، وتضعها بين يدي المبلغين.

فما لا ريب فيه أن مساعي المبلغ الفردية تظل عاجزة. مهما كانت واسعة وشاملة. عن إدراك الموضوعات الضرورية والفورية بكل أبعادها. وهنا يأتي دور المؤسسة التبليغية لتعالج هذا العجز:

"عندما كنّا نبذل مساعي حثيثة في صلب العمل التبليغي، واجهتنا مسائل وقتذاك، لا وجود لها راهناً. كان علينا أن نعي الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية ثم نرد على تساؤلاتها. وهذا معلوم لانشغال أغلب شبابنا وجامعينا وبعض التجار وغيرهم بتلك الأمور. لكن لا وجود حالياً لتلك المسائل، ففي الوقت الحاضر تطرح مسائل أخرى.

هل تريدون تجاهل هذه المسائل؟ هل ترغبون في حدوث فراغ في أذهان فتياتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا، ثم يأتي العدو ليملأه بالشكل الذي ترتئيه؟ إن لم تكونوا راغبين في ذلك، فالحديث بكم أن تعرفوا ماهية هذا الفراغ، وهنا تتجلى ضرورة إيجاد أجهزة تفكر بهذا الأمر..

على العلماء أن يشكّلوا فريقاً يأخذ على عاتقه مسؤولية البحث عن الموضوعات المهمة ليقدمها للمبلّغين، وهو ما تقوم به المسيحية هذه الأيام. فإذا أرادوا إرسال مبشّر إلى منطقة معيّنة من العالم، ينعقد مجلس كنسي رفيع المستوى لدراسة الخطط والسبل اللازمة للنفوذ في أهالي تلك المنطقة، ثم يقدمون نتائج دراستهم للمبلّغ ([72]).

7. تقويم التبليغ:

"يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تقوم ببرنامجها التبليغية وفق منهجية علمية وإحصائية، وتطالع بدقة نقاط القوة والضعف التي تكتنفها. وعلى المؤسسة التبليغية أن تقارن من خلال الإحصاءات والأرقام بين نتائجها في السنوات المختلفة وتدرس العلاقة بين ذلك والموازنة المخصصة لكل عام...

إن هذه الأرقام التي أشار إليها، أرقام جيدة، مع أنه لا يمكن معرفة مدلولاتها إذا ذكرت مجردة، فينبغي ذكر الإمكانيات والاحتياجات وأرقام السنوات الفائقة، ليصبح بالإمكان التوفر على معرفة دقيقة بمدلولاتها ([73])."

والى جانب النظرة الكمية هذه، هناك ضرورة لدراسة علمية. إحصائية:

"والأرقام الأخرى التي يجب أخذها في الاعتبار، هي الأرقام المتعلقة بمستوى التبليغ. فأعداد المبلّغين والكتب والصفوف تعكس أرقاماً كمية. وفوق هذه الأرقام نسأل عن مدى تقدمنا في التبليغ، وعن هدف التبليغ والمقدار الذي تحقق منه، وهذه الأسئلة هي المهمة ([74])."

أما المسألة الأخرى فهي ضبط الأرقام وتقويمها. فيجدر بمسؤولي التبليغ اعتماد طرق موضوعية وسليمة لتقويم برامجهم:

"أرغب في إثارة مسألة معيّنة مع الشيخ التسخيري والسادة الآخرين. وهي أنني لاحظت عبر تجربتي أنه في بعض الأحيان يؤكد نحو مئة وخمسين أو مئتي شخص أنهم نشروا هذا المقدار من الكتاب. هنا لا ينبغي لكم أن تكتفوا بهذه الأرقام فقط بل عليكم أن تلاحظوا أولاً: هم تم انتقاؤها بشكل جيد، وثانياً: هل تتميز بجودة الطباعة، وثالثاً: هل ترجمت بدقة، ورابعاً: هل أرسلت في الوقت المناسب، وخامساً: هل وصلت إلى العنوان المطلوب، وسادساً: هل عمد الشخص إلى مطالعتها؟

فمن الضروري توضيح الإجابات عن هذه الأسئلة. ألا يمكننا إرسال الكتب إلى المكتبة ليتم تخزينها فيها، أو على إحدى السفارات أو الملحقيات الثقافية لتبقى هناك(75)؟".

التبليغ التقليدي

يجب على الحوزة أن لا تتجاهل التبليغ التقليدي. أي الخطابة والمنبر. بصفته موقعاً متميزاً وممتازاً في العملية التبليغية. فالحديث عن أدوات التبليغ الفاعل وطرق لا يعني التكرار لدور المنبر والخطابة أو تجاهله، لأن المنبر والخطابة يمثلان منهجاً مفيداً وفعالاً يتطابق مع السنة والنمط التاريخي للتبليغ الحوزوي، من هنا يجب المحافظة عليه وتقويته وتطويره:

"يجب أن يظل "المنبر" محافظاً على صورته التقليدية والصحيحة. ولا نعني بالتقليدية أن تبقى جميع خصائصه مشابهة لخصائص المنبر في الماضي، فلا بد من تغيير الموضوعات. لكن ليبقى المنبر كما خبرناه جيداً خلال ألف عام أو على الأقل خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة(76)".

ولابدّ من القيام بدراسة تفصيلية للمؤسسة الخطابية والمنبرية في الحوزات الشيعية، فلهذه المؤسسة دور مهم في الأصعدة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها. فالمبلغون والوعاظ يسجلون في مواسم التبليغ وغيرها حضوراً فعالاً في جميع مناطق البلد، فيقيمون. من خلال الوعظ والخطابة. ارتباطاً وثيقاً مع الناس.

ولقد كان الوعظ والخطابة . وما زالا . أهم وسيلة اتصال دينية في بلدنا . وقد حصل هذا التأثير الشامل والعميق ببركة الدم الطاهر لسيد الشهداء سلام الله عليه . فعظم المصاب أتاح للعالم الشيعي موقفاً متميزاً للتماس مع الجماهير؛ كونه يستطيع متى وأينما شاء أن يرتقي المنبر ويذكر الناس بمصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

من هنا صار لعلماء الشيعة امتداد شعبي واسع وممتاز . فرجال الدين المسيحي لا تسنح لهم الفرصة لمقابلة الناس ووعظهم إلا في أيام الأحد وبعض الأيام الأخرى خلال السنة . وعلماء الدين والسنة لا يخطبون في الناس ويعظونهم إلا في صلاة الجمعة وفي بعض الأماكن الدينية الخاص؛ في حين يظل باب الوعاظ والخطاب مفتوحاً أمام العالم الشيعي في كل محلة وزقاق وفي كل بيت ومسجد وفي كل مدينة وقرية وفي الليل والنهار . ولهذه الحقيقة تأثيرات اجتماعية وثقافية لا يتسع مجالنا لتفصيلها، لكننا ألمحنا 0 فقط إلى هذه الميزة التي أتاحت لعلماء الشيعة بفضل دماء سيد الشهداء:

"لم تجر حتى الآن دراسة تأثيرات المنبر في مجتمعنا . لاحظوا مجتمعنا، وأمعنوا فيه النظر، هل تجدون مكاناً، سواءً في المدن الكبيرة والمناطق المكتظة بالسكان أو في القرى النائية والصغيرة، ليس فيه منبر باسم أبي عبد الله؟ فكل مجتمعنا (بانتماؤه الشيعي) يعيش في كنف الإمام الحسين عليه السلام [77]".

وليس بإمكان أي وسيلة إعلامية أن تحل محل المنبر والخطابة بثراء محتواه وجمالية الصوت والرقعة في أداء المصيبة والشعر المتجدد أبد الدهور، والمتدفق بزخم جرح الحسين عليه السلام . كل هذه العوامل . وغيرها . تمنح المنبر خصوصية تزيد من دوره الثقافي والاجتماعي والسياسي على مرّ الأيام، من دون أن يكون ثمة مسوغ للخوف عليه من تطور وسائل الإعلام المعاصرة، وتعدد تقنياتها.

فالمنبر يشكل أداة توصيلية عظيمة التأثير في ممارسة التبليغ ووسائل المهام الاجتماعية . وواحدة من أبرز مزاياه أن الخطيب ينهض بدوره من خلال الصوت الإنساني ويباشر الجمهور وجهاً لوجه . ولا يقتصر حضور الخطيب على إلقاء الخطب، بل يمتد إلى مشاركته في المحافل الدينية وتقديمه الإيضاحات على الاستفهامات الدينية والإشكاليات الأخلاقية، بل المسائل الاجتماعية والسياسية

والأسرية أيضاً. ولا تقل أحياناً هذه الوظيفة الجانبية للخطيب عن دوره الأساس فيما يترتب عليها من تأثيرات في الحياة الثقافية والاجتماعية للناس. وما زالت الخطابة قناة رئيسة للتواصل بين العلماء والناس حيث يعيشون عبرهما آمال الناس وآلامهم ويساعدونهم على حلّ مشاكلهم.

نخلص إلى التنبيه إلى عدم تجاهل وإغفال الوعاظ والخطابة بصفتهم من الوسائل التبليغية المهمة. كما أن الأنماط التبليغية المستجدة. كما اشرنا في الموضوع المندرج تحت عنوان أسلوب التبليغ وأنماطه. لا تعني أن الطريقة التقليدية في التبليغ باتت بلا معنى وانعدم دورها. جاء في نص لسماحة الإمام الخامنئي عن أهمية الخطابة والمنبر ودورها:

"صحيح والله الحمد، أن الإذاعة والتلفزيون ييثان خطابات عديدة للعلماء، سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى، تحت عناوين مختلفة كصلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى علاوة على الدروس والبحوث، إلا أن أيّاً منها لا يشكل بديلاً لحركية العالم التي يباشر من خلالها الناس وجهاً لوجه.

إن الناس على فئات متعددة موزعة في مختلف مناطق المدن والقرى. فينبغي أن يكون لكل فئة عدد كافة من العلماء يعيشون في أوساطها ويسعون إلى حلّ مشكلاتها الدينية. إذن وبالرغم من ضرورة أمور أخرى، إلا أنه لا شيء يكون بديلاً عن هذا الأمر؛ حتى الكتاب لا يمكنه ذلك. هذا هو الشيء الذي يمتلكه مجتمعنا الإيراني والديني. ونادراً ما نجد مثله في البلدان الأخرى، حتى في العراق مثلاً، (إذا قلنا بأنه يحمل سمات المجتمع الشيعي)، لم يكن الأمر بهذه الصورة. فهذا يتعلّق بمجتمعنا حيث العلماء في مختلف المستويات وفي المدن والمحلات والقرى المختلفة وفي أوساط العشائر، يباشرون الناس وجهاً لوجه، ويحادثونهم مباشرة، ويتعاملون معهم، ويستمعون لشكاويهم، ويوضحون لهم الشبهات التي ترسم في أذهانهم ويحلّون مشكلاتهم النفسية.

فيجب علينا تدعيم وترسيخ هذه الممارسات التي صدرت عن علمائنا في الماضي، ولا نسمح بزوالها. وأحسب أنا نعاني من نقص في هذا الصعيد [78]."

مواسم التبليغ

تتوافر ظروف مناسبة للتواصل بين المبلغين والمجتمع، ونشر الثقافة الدينية في البلاد، في أشهر رمضان ومحرم وصفر.

فلابدّ للمبلغين والمؤسسة العلمائية من السعي إلى تفعيل التبليغ في هذه الأيام، والحيلولة دون تهميش الممارسة التبليغية في هذه الأشهر المباركة. وقد شدد سماحة الإمام الخامنئي منذ البداية على ضرورة المحافظة على هذه السنّة، منبهاً على نعمها على الدين والعلماء والثورة، وهو ما نقرأه في النص الآتي:

"في إحدى زيارتي لمشهد بعد انتصار الثورة دعوت الإخوة الأعضاء في لجنة "الثورة الإسلامية" إلى اجتماع حدّرتهم فيه، بصفتهم مسؤولين منشغلين بإدارة أمور الناس، من إغفال عمل كانوا يواظبون عليه دائماً، ففي شهور رمضان المبارك ومحرم وصفر كان طلاب العلوم الدينية يتوجهون إلى أنحاء البلاد كافة ليبلّغوا الناس نداء الثورة ومنطق الحق والثقافة الإسلامية([79]).".

لم تؤثر مواسم التبليغ في تفعيل الإرشاد الديني في المجتمع فحسب، بل قامت أيضاً بدور مهم وواضح في الحركات الاجتماعية . السياسية في القرون الأخيرة في بلادنا. فنلاحظ أن أيام التبليغ الخاصة مثلت ذروة الوقائع التي انطوت عليها النهضة منذ المشروطة وحتى الخامس عشر من خرداد. فقد عمد المبلغون في تلك الأيام التي تشهد تجمعات دينية، إلى عرض نداء الحق وفضح الحكومات الجائرة، والإشادة بحكومة العدل.

ولا شك في أن الدراسة المتعمقة في النهضة التي انطلقت في القرن الأخير تنطوي على مسائل قيّمة ودروس بليغة ودلائل على أن لأشهر التبليغ النصيب الأوفر في تكوين النهضة وبسطها. وقد تجلّى هذا الدور التاريخي في نهضة الإمام رضوان الله تعالى عليه منذ بدايتها حتى الانتصار في الثاني والعشرين من شهر بهمن، أكثر من غيرها. ويتابع سماحة الإمام الخامنئي كلامه في النص السابق بقوله:

"عندما أطلق الإمام تصريحاته في عامي (77 و 1978) ودعا الناس إلى الثورة الشاملة، لم تبق مدينة ولا قرية في كل البلاد إلّا ولّبت نداءه. وهنا يطرح السؤال: كيف استجابت لنداء الإمام القرى والمدن النائية، التي ربما لم يسمع بعضها آنذاك باسم الإمام، أو لم تكن لديها معلومات واضحة عنه، ومن ثم

لا يمكنها إدراك نداءاته؟ أعلّموا أن السر يكمن في وجودكم... فكل فرد منكم توجّه وبكل تواضع إلى نقطة من نقاط البلاد أو قرية منها، لا يزيد أحياناً عدد أسرها عن الخمسين أو الستين، وعاش الناس على الطبيعة لمدة عشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهراً، وتحدث إليهم مباشرة... فتهيأت أذهان الناس في البلاد كافة ببركة هذه العمامة التي يلبسها الشباب المتواضعون المتنوعون الذين يبلغون العلوم الإسلامية(80)].".

بلغت الثورة أوجها في شهري رمضان ومحرم لعامي 77 و1978، فبسبب المواقف التحريضية للمبّلّغين في المساجد والحسينيات في المدن والقرى، وعملياتهم في فضح جرائم النظام وتوضيحهم ماهية الثورة الإلهية التي أطلقها الإمام رضوان الله تعالى عليه اشتد عود الثورة وأخضر زرعها حتى أتت أكلها.

لقد كانت الأجواء والأحوال تتغير في أيام التبليغ في شهر محرم وبخاصة يوم عاشوراء. فدماء الشهداء الطاهرة تضحّ طاقة تعبوية هائلة في النفوس حيث إن المنبر يمارس دوره في الفضح والتوعية والتثوير السياسي باستناده إلى الحسين إماماً عادلاً ورمزاً لمواجهة الظلم وعلامة وضّاءة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الأمة. من هنا فإن لعاشوراء دور عظيم في عطف مسار الثورة نحو الانتصار وإحياء الثقافة الشيعية في البلاد:

"على مدى قرون متمادية، وفي القرون الأخيرة بالتحديد، تبلورت حركة الإحياء الديني وتنامت ببركة الحسين بن علي عليهما السلام وقدرة مجالس العزاء.. وقد توافر للثورة هذا الزخم العظيم. الكامن في قضية الحسين عليه السلام المقدسة. فامتد الفكر الثوري إلى كل مكان لينهض الجميع ويسجّل حضوره في الساحة(81)].".

فيجدد بالمبّلّغين أن يعرفوا قدر هذه النعمة الإلهية وبيتعتوا ما تضمه من مضامين لإرشاد المجتمع، إذ لا نجد في أي ديانة وشريعة أخرى ما يكتنزه المذهب الشيعي من محتوى للتبليغ الديني. فثمة ضرورة لبعث هذه النعمة الإلهية التي تنزلت علينا ببركة النهضة المقدسة لسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام:

"إن نعمة مجالس العزاء ومحرم وعاشوراء لمجتمعنا الشيعي... هذه النعمة العظيمة وطدّت الصلة بين القلوب منبع الإيمان الإسلامي المتدفق، وقادت إلى مواقف طوال التاريخ جعلت الأحكام الطغاة يخشون عاشوراء وقبر الإمام الحسين عليه السلام، وقد بدأت الخوف ينتاب الحكم منذ عصر الخلافة الأموية وما زال حتى يومنا هذا، وقد رأيت نموذجاً إبان ثورتنا، فكان النظام البهلوي الرجعي والكافر والفاسق فاقداً القدرة على الحركة.. وهذا ما أكدته التقارير التي سجّلت في عهد ذلك النظام البغيض، وفيها إشارات وتصريحات تبرهن على أن أجهزة النظام كانت تتخبط في مواجهتها للثورة أيام محرم.

وقد عرف جيداً إمامنا العظيم رضوان الله تعالى عليه. هذا الرجل الحكيم والواعي والعارف بالدين والدنيا والإنسان. كيف يحيي ويبعث واقعة "عاشوراء" لتحقيق أهداف الإمام الحسين عليه السلام. فقد اعتبر شهر محرم الشهر الذي انتصر فيه الدم على السيف، أنطلق في نهضته من هذه الحقيقة شهر محرم. هذا نموذج واحد عاينتموه بأنفسكم. فيجب إحياء هذه الذكرى من قبل الناس والعلماء(82)].".

لا يجوز تضييع هذه النعمة والاكتفاء بإحيائها كسنة فقط. فأيام المصيبة تتيح فرصة نادرة وثرية جداً لرفد المجتمع بالوعي الفكري والديني والاجتماعي.. فرصة لا نجد في أي مذهب أو دين آخر أنها أتاحت لمبلّغيه. فينبغي أن نعرف قدرها ونخطط ببصيرة لإحيائها وتفعيلها.

فعلى المؤسسة التبليغية للحوزة أن تستعد جيداً لهذه الأيام الخاصة فتجهّز المبلّغين بالمعلومات اللازمة وتمدّهم بالإمكانات التي من شأنها تنشيط دورهم عندما توفدهم إلى عمق المجتمع وقلبه، فينهضوا إلى مستوى احتياجاته واستفهاماته الدينية، ثم يحفظوا إيمانه ويحرسوه.

لكن مما يؤسف له أننا لم نشاهد حتى الآن مبادرة مناسبة في هذا الصعيد. فما برح التبليغ الديني . كما في الأيام السالفة . في مواسم التبليغ خاضعاً للمزاج الشخصي والمواقف الفردية. ومن جهته لا يحصل المبلّغ على دعم معنوي من جانب الجهات التبليغية، فهو في تماسه مع الجماهير وعندما يتحدث عن الدين والأخلاق والمعارف ويسعى إلى إرشادهم لا يعتمد إلا على تصورات الشخصية التي تمكنه من مطابقة خطابه مع الاحتياجات القائمة، دون أي دعم في هذا المضمار:

"لتشكل اجتماعات مدروسة في أحد هذين الشهرين (محرم وصفر في الأقل من المناسب عقد جلسات قبل دخول شهر محرم للتخطيط للموضوعات الضرورية المفترضة طرحها في شهري محرم وصفر بلحاظ الظروف الزمانية والأحداث والمشكلات القائمة، بعد ذلك ترفع إلى الأمانة العامة أو الجهة العليا، لتبلغ بدورها الجميع بأن الأولوية في العشرة الأولى. مثلاً من محرم لهذا العام للموضوع الفلاني) [83]."

من الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الاتجاه، إقامة ندوات جادة قبل أيام التبليغ على أن يشارك فيها ذو الخبرة والتجربة في المسائل الاجتماعية والتبليغية لتحديد الموضوعات المهمة ومصادرها أيضاً. وبهذا تتوافر للمبلغ روافد موضوعات مواكبة للظروف الزمانية والمكانية فتغدو حركته في الآفاق المفتوحة وفي مستوى المجتمع المخاطب:

"لنفرض أن شهر محرم على الأبواب... تتطوع مجموعة من الأخوة الأفاضل لعقد ندوة... شغلوا بعد تأمل، عدة لجان... ولتكن نتيجة الندوة ما تراه هذه المجموعة، فعلى سبيل المثال تقرر ضرورة طرح الموضوعات الخمسة عشر أو العشرين المعينة التي تنطوي على إجابات عن استفسارات الناس. بعدها تناقش مجموعة أخرى بشأن تلك الموضوعات وتدرسها بدقة، وإذا تم هذا العمل، فأحسب أنه سيؤسس لحركة منسجمة [84]."

مجانبة الخرافات

"لا ينبغي تحشيد الخرافات في التبليغ الديني وتشويه الحق بالأباطيل. وحذار من أن ينقل إلى الناس الأساطير والأقوال والمشكوك فيها والروايات غير المسندة، بدلاً من الدين الحق. فالمبلغ لا يحط من قدر خطابه ومكانته بتضمينه الأساطير فحسب، بل يسيء إلى الدين فيقدم صورة مزيفة ومشوهة لدين الحكمة والمنطق ويهيئ أرضية خصبة للتشكيك في الحقائق الأساسية للدين وإساءة الظن بها.

على المبلغ أن لا يعتبر متانة كلامه تكمن في عرض العجائب والغرائب، فحتى لو فرضنا أن هذا النحو من الكلام يجتذب أنظار وأسماع العقلاء اليوم، لكن من المؤكد أنه لن يجتذب قلوبهم أبداً:

ليس من الصحيح أن يرتقي أحدهم أعواد المنبر ليتفوّه بكلمات خاوية ويتطرق إلى موضوعات تافهة، لا تقوي الإيمان بل تضعفه. وأقول لكم بكل أسف إن هذه الحالات تقع أحياناً. وهذا يحول دون بلوغنا الأهداف والمنافع المتوخاة من عقد هذه الجلسات. فيلاحظ في بعض الأحيان أن الخطيب ينقل في أحد المجالس موضوعاً ليس له أساس، عقلي أو نقلي، من الصحة، ويفضي في الوقت ذاته إلى تشويه وعي المستمع المستبصر وصاحب المنطق والاستدلال... استمع أحدهم إلى حديث ما... صدق المستمع وكتبه في كتاب وقد وضع على الرف. ترى ما الذي يدفعني وإياكم لطرح هذا الموضوع الذي لا يمكن التدليل عليه في حشد كبير يضم أفراداً واعين ومتبصرين؟ فهل على المرء أن يتحدث بأي شيء من أي كتاب نقله؟

يجب أن يزيل كلامه الشبهة لا أن يكرّسها. فبعضهم يعتلي المنبر دون الالتفات إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ليضعف الإبهامات والتساؤلات المستقرة في الأذهان، لا ليمحوها([85]).

وتترسخ أهمية ذلك في ماتم أهل البيت عليهم السلام. فلا ينبغي للخطيب والوعاظ أن يظنوا أن استدراج دموع الحاضرين واستصراخهم هو الهدف الأساس الذي ينبغي بلوغه بأي ثمن. فليعلموا أن الحقيقة أغلى من كل شيء وليتفاديا الدفاع عنها عبر الأكاذيب ونسج الأساطير بذريعة أنهم يستهدفون ذكر سيد الشهداء عليهم السلام ومصائبه:

"فلتعرض واقعة عاشوراء، التي تعدّ أمّ المعارف في باب الجهاد والقتال في سبيل الله والركيزة الأساس لثورتنا، بصورتها المشرقة والوضاء وبحقائقها الناصعة مع تحاشي أي إضافة لا أساس لها من الواقع قد تصدر أحياناً بشكل خطابة أو كتابة، فذكرى عاشوراء ليست هزلاً، ولا ينبغي ضمّ الخرافات إلى هذه القضايا العظيمة وبعد ذلك ننتظر أن نترك أثراً إيجابياً([86])."

"ومما يحزّ في النفس أن عاشوراء لم تختلط في محافلنا وكتاباتنا بالخرافات والأكاذيب فحسب، بل أضيفت إليها افتراءات لا تنسجم مع روحها. فقد نظمت القصائد الشعرية وكتبت القطع النثرية ونسجت القصص التي لا تتناسب مع قيم نهضة الإمام الحسين عليه السلام وهو ما يشوه وعي المخاطبين للفضائل والمكارم الإنسانية العظيمة مثل الشجاعة وشدة البأس والإيثار ورفض الظلم وأداء

التكليف و... المسألة الأولى هي تنقية الواقعة مع الافتراءات المضرة... حتى ما جاء في بعض الكتب ويتناقض مع مفهوم النهضة الحسينية ومعناها، فيجب تشخيص كل هذا وعزله، وعليه فالمسألة الأولى تتمثل في تصفية الواقعة التي نعرضها ممزوجة بالشعر أو النشر أو بطريقة التعزية، وهذا عمل سليم، إذا كان بياننا لعاشوراء بما يتناقض ومفهوم "ليستنقد عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة"، فإن هذا الفعل لن يخدم القضية الحسينية وواقعة عاشوراء [87]".

يجب على المبلغ تهذيب أقواله وخطاباته من الخرافة والتحريف، وعليه أيضاً أن يعاين ممارسات المآتم بدقة، فلا يبادر إلى أفعال تتنافى وشؤون المروءة والديانة أو المصلحة الاجتماعية ولا يحث الآخرين عليها، وفوق ذلك عليه أن يمنع القيام بأي ممارسة سلبية.

يجب أن تكون مجالس العزاء الحسيني مركبة من العاطفة والحماسة والمعرفة، ولا بدّ أن يكون عرض الأبعاد العاطفية والحماسية لهذه المصيبة قادراً على كسب تعاطف الأجنبي الذي لم يسمع بالواقعة من قبل فirq قلبه وتحزن نفسه.

وقد أضرت بعض الممارسات غير العقلانية بصورة التشيع، وبدلاً من أن تجتذب القلوب نحو الشعائر الحسينية نفرتها منها، وينبغي للواعظ والخطيب وكل المشاركين في مراسم العزاء أن يلتفتوا إلى أن أنظار الملايين من الأجانب والمواطنين متوجهة إليهم، فالتشيع لا يتمثل بأقلية دينية مغمورة لا يهتم بها أحد، فقد أضحت القيم والشعائر الشيعية في إيران الإسلامية أمام الرأي العام كافة، من هنا فإن أي ممارسة خاطئة من شأنها أن تشوّه صورة التشيع وعاشوراء في أذهان الرأي العام العالمي.

على العالم والخطيب والواعظ الانتباه إلى أن المسألة لا تتمثل اليوم في ماهية الاستدلالات الفقهية المتصلة بالتطير. مثلاً. لتدخل المسألة في مدارات النقاش، ثم تحشيد الأدلة التي تجيز هذه الممارسة أو تحرمها أو التي تعدّها إضراراً بالنفس أو تنفي ضررها، وهكذا...

إن هذه البحوث الفقهية التقليدية يجب أن تجري في المدرسة، لكن الكلام في الظروف الراهنة يتركز على مصلحة التشيع والمجتمع الشيعي الثوري، ترى ما هي الصورة التي تنطبع للتطير. وإن حدث في

مآتم سيد الشهداء عليه السلام . في أذهان الأجانب؟ هل سيتعاطفون مع التشيع المظلوم وعاشوراء المظلومة أم سيبتعدون عنهما؟ وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي في خطاب تحذيري، إلى الانطباعات وردود الفعل السلبية التي تولدها الممارسات المنافية لشؤون مجالس العزاء بقوله:

"إن دعوة الإمام رضوان الله عليه إلى إقامة مجالس العزاء تعني الجلوس فيها وقراءة التعزية والبكاء ولطم الرأس والصدر والمشاركة في المسيرات، وهي الأمور التي تغزّز التعاطف مع أهل بيت الرسول (ص)، وهي أمور ممتازة. وثمة أفعال مؤداها إبعاد الناس عن الدين. وأحس بالأسف لرواج بعض الأفعال في مجتمعنا خلال السنوات الأربع الأخيرة. يقومون بأعمال تثير استفهامات وتشكيكات عند كل من يراها، ففي الماضي البعيد، كانت فئة من عوام الناس تضع في أبداننا "قفلاً" في أيام العزاء، وفي حينها استنكر العلماء والأفاضل ذلك العمل حتى أضحل، لكنه عاد هذه الأيام... والتطير كذلك... إنه عمل خاطئ! تعتمد مجموعة من الأشخاص إلى ضرب رؤوسها بالسيوف فتجري دماؤهم، ترى ما هو الهدف؟ وأين هو العزاء في هذا العمل؟

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بدعة عجيبة غريبة في الزيارات... فهل سمعتم أن احد علمائنا أو أحد أئمتنا عليهم السلام كان يزحف على الأرض من بداية الصحن حتى القبر؟... هناك عدد من الأفراد عندما يصلون الصحن الطاهر لعلي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام يزحفون زهاء مئتي متر باتجاه القبر. فهل هذا عمل صحيح؟ كلا، إنه عمل خاطئ وفيه إهانة للدين والزيارة. من الذي روج هذه الممارسات بين الناس؟ لعله من عمل الأعداء.

نوروا أذهان الناس بهذه الأفكار، فالإسلام دين المنطق، والتفسير الشيعي للإسلام هو الأكثر منطقاً من غيره. فعلماء الكلام الشيعة، كان كل واحد منهم كالشمس في زمانه... فهل هذا هو التشيع، أم تلك الأمور التي ليس فقط تفتقد للاستدلال بل هي أشبه شيء بالخرافة؟ لماذا أدخلوا هذه الأمور في الدين؟ إنه خطر عظيم يتهدد عالم الدين والمعارف الدينية، فعلى حراس العقيدة إن يأخذوا حذرهم([88])."

الهجرة التبليغية

تشتد الاحتياجات التبليغية في داخل البلد وخارجه، ويزدحم المشتاقون للخطاب الديني على أبواب الحوزة مطالبين بالمبلغين، وللأسف، لا تجد هذه الطلبات استجابة في أغلب الأحيان. وليس خافياً حجم الأضرار التي يتركها فراغ الساحة. أينما كانت. من المبلغين، فيما تظل دون جواب الاستفهامات حول أبسط الأحكام الدينية وتلك المعقدة المرتبطة بالمعضلات الفكرية، الأمر الذي يسوق المجتمع الديني. في داخل البلد أو خارجه. إلى الحيرة والفوضى:

"يأتون من مختلف البلدان، يطلبون مبلغين، لكننا نفتقر إلى المبلغين، ويأتون من المدن الإيرانية يطلبون بمبلغين، لكن ليس لدينا مبلغ، يريدون إماماً للجمعة، فلا نستطيع تأمين ذلك... رغم وجود الحوزة العظيمة، هناك مناطق تبقى أحياناً ستة أشهر أو سنة من دون إمام جمعة! ترى هل طالبتم بالذهاب إلى غابات الأمازون للتبليغ؟ السادة يمتنعون عن الذهاب، وإذا سألناهم عن السبب، أجابوا بأنهم يريدون مواصلة دراستهم! إخوتي؛ لست راضياً عن هذا الملف، قولوا ما شئتم. أقسم بالله إنني لا أعتبر هذا الموقف دينياً"[89]."

على طلبة الحوزة أن يدركوا مكانة التبليغ وإرشاد الخلق فلا يقللوا من شأنهما، وأن يعتبروا حضورهم في الحوزة وارتداء الزي العلمائي هو من أجل التبليغ، فليبادروا إلى الحضور في الأماكن التي تعاني من نقص في المبلغين:

"لا يصح القول: إن الشخص الفلاني درس "المكاسب" و"الكفاية" وصار فاضلاً، فمن غير المناسب أن يذهب للتبليغ في أوساط العشائر؟ ترى لماذا أتعب نفسه ودرس "الكفاية" و"المكاسب"؟ إن جميع هذه الدروس مقدمة لاجتذاب الناس للإسلام وحثهم على الالتزام بالدين ف"لئن يهدي الله رجلاً خيراً مما طلعت عليه الشمس"[90]."

ولا ينبغي لأساتذة الحوزة اتخاذ التدريس ذريعة لتترك التبليغ:

"لعل مصداق الهجرة لطلاب العلوم الدينية والأفاضل المستقرين في الحوزات، يتمثل في الهجرة إلى مناطق العالم الإسلامي للتبليغ فيها. وبوسع بعض الطلاب الإقامة في مدينة وإرشاد أهلها، إذ لا تترتب

فائدة على البقاء في قم بالنسبة للمئات، من الطلاب، سوى أنهم يلقون بعض الدروس على عشرين أو ثلاثين طالباً، وهو ما يقوم به غيرهم([91]).

ويكشف تاريخ الحوزات عن كون الهجرة من أجل التبليغ أو الدرس التي قام بها كثير من عظماء الحوزة الماضين، أفضلت على تحولات اجتماعية عظيمة وواسعة. فهجرتهم أنشأت قواعد مهمة للكفر الشيعي وعززت مكانة المجتمعات الشيعية القائمة. وربما نستطيع القول إن تكون المجتمعات الشيعية في إيران والعراق ولبنان وبقية المناطق الأخرى مدينٌ لهجرات علماء الدين:

"على مسؤولي الحوزة العلمية وأكابرها وأعيانها أن يكونوا البادئين في سلوك هذا الطريق. وأحياناً تترتب على وجود بعض العلماء الكبار في مدن أخرى، منفعة أكبر بكثير من تلك الحاصلة من بقاءهم في مدينة قم، وثمة شواهد من الواقع على ذلك، فمثلاً هاجر المرحوم آية الله الميلاني رضوان الله تعالى عليه من كربلاء وهي قريبة من النجف، وكان أمثاله يقيمون في كربلاء والنجف، إلى مشهد ليؤسس فيها حوزة علمية كبيرة... وحقاً، كان وجود المرحوم آية الله البهبهاني بركة إلهية لحوزة مشهد. وكان بمقدوره أن يظل في كربلاء إلى نهاية عمره... لكنه جاء إلى مشهد وكان منشئاً للبركة فيها([92])."

وتنسحب هذه الحقيقة على مستوى الباحثين في الحوزة إذ تساعد هجرتهم إلى المناطق (التي تحتاج إليهم) وإقامتهم المؤقتة فيها، على تلبية قسط من الحاجة إلى التبليغ. والإقامة في منطقة ما عدة شهور، أو حتى عدة سنوات، لا تضرّ بالدراسة، كما يمكن تكثيف الجهد الدراسي للتعويض عما فات، فالدراسة ليست مسوغاً إذن لترك التبليغ:

"ليس هناك ما يمنع الطالب الشاب على ترك الحوزة والدرس لمدة سنة للتبليغ في منطقة معينة ثم يعود إلى الحوزة ليحل محله فرد آخر. وهذا لا يسفر عن خسارة دراسية للطالب. فسنة واحدة لا تضر بالطالب الذي أنهى المقدمات وتقدّم نسبياً في الفقه والأصول والمسائل الاستدلالية([93])."

فلا ينبغي تعطيل الهجرة التبليغية بذريعة شحّة الإمكانيات وضآلتها في المنطقة، وبفرض شروط صعبة مسبقة كتوفير السيارة الفارهة والوسائل الترفيهية. فالهجرة التبليغية كالجهاد، تستدعي تحمل المشاقّ ومصاعب الغربة والإعراض عن الوطن وشرح الصدر لحلّ عشرات المشكلات العائلية وغيرها:

"هناك قرى في بلادنا تفتقر لعالم الدين، فعلى علماء الدين أن يتوجهوا إليها دون أي شروط مسبقة. بعضهم يقول لنا: يجب توفير كذا إمكانيات وكذا امتيازات كيما نذهب، أنا لا أنفي الحاجة للأمور المادية والظروف الحياتية، المناسبة لكن لا يجب فرض ذلك كشروط مسبقة، فلينطلقوا ويعقدوا العزم(94)".

على الحوزات الشيعية معاينة تجربة التبشير المسيحي . نحو مناطق العالم كافة سواء كانت صحارى أفريقيا القاحلة والمحرقّة، أو غاباتها التي تقطنها قبائل متوحشة، أو المناطق القطبية المتجمدة. فتاريخ التبشير المسيحي مليء بالعبر والدروس، ولما كانت الحوزات الشيعية أقرب إلى شمس الحقيقة . من غيرها . فهي مدعوة لبذل مجهودات أضخم من الآخرين في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

"أكرر للسادة العلماء الإشارة إلى أننا نعرف قساوسة أعرضوا عن مدنهم الراقية وحياتهم المرفهة في أوروبا، وقطعوا آلاف الكيلومترات ليلبّغوا المسيحية في أمريكا اللاتينية أو أفريقيا أو غابات الأمازون أو غينيا وقد أمضوا سنوات من عمرهم هناك، وقد وصلوا في عهد الاستعمار إلى مناطق لم تطأها أقدام المستعمرين(95)".

التبليغ خارج البلد

قادت الأزمات الأخلاقية والمعنوية التي شهدتها العالم وظهور الثورة الإسلامية إلى توجه جديد نحو الدين الإسلامي. فالأذهان المضطربة التي أرهقتها مادية الحضارة الغربية استفاقت اليوم بالنظر إلى الإسلام بوصفه منهجاً لديه ما يعالجه به أزمات البشر. ومن هنا اشتدت الحاجة إلى مبلغين عارفين بالدين يتوجهون على مختلف مجتمعات العالم. وإذا لم تتم المبادرة الجازمة لإرواء النفوس المتعطشة للإسلام الأصل فإن أولياء الشياطين سيبادرون حتماً لتضليل تلك النفوس ثم إروائها بشكل كاذب:

"الإسلام مطروح اليوم بصفته منهجاً للحياة يقدم إجابات على إشكالات الحياة وطريقاً للتحرر من مشكلات عالم القرنين الجاري والمقبل. وهكذا ينظرون إلى الإسلام، ولذلك يعتنقونه. فالإسلام اليوم ينتشر بسرعة في الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة والدول الأوروبية الكبرى، وليس هذا زعم خطيب سمع شيئاً وصعد ليتحدث به لدى أرقام دقيقة، فكثير من الأفراد في البلدان المسيحية الغربية ممن اعتنقوا الإسلام، لديهم أسئلة، ويريدون معرفة الإسلام، ويريدون أن يستمعوا شيئاً عن الإسلام... يريدون أن يتعرفوا على حقيقة الإسلام الذي استطاع تشكيل حكومة ووقف بوجه القوى الكبرى، ولم يخش أحداً وباستطاعته أن يدير العالم، وهو يسجل حضوراً في صميم الحياة الإنسانية وقبلها، ولا يعاني مما تعاني الدول الأخرى من ضعف، يريدون معرفة هذا الدين، فعلى عاتق من تقع مسؤولية توضيح هذه الحقائق؟ هل نجلس ليفعل الأميون ذلك؟ هل نقعد، فيما يتوجه إليهم من لا يعرف شيئاً عن الإسلام؟ هل نقعد، ليذهب إليهم من كوّن معرفته عن الإسلام بما سمعه من هذا وذاك؟" [96].

فيما يتعلق بالتبليغ في خارج البلد من الضروري مراعاة المسائل العامة التي ذكرناها، علاوة على المسائل الخاصة التي نشير فيما يأتي إلى بعضها:

1. معرفة لغة البلد الأجنبي وثقافته:

يتعين على المبلغ في بلد أجنبي أن تكون لديه إحاطة كاملة بلغة سكانه، ومعرفة عميقة بثقافتهم، ليصار إلى سهولة التواصل مع أفراد بيئته وإلى مواكبة الرؤى والأفكار والأنماط الثقافية للمجتمع، ثم يصوغ خطابه عبر الحوار أو النشر أو... وكثيراً ما كان للتبليغ المجرد عن المعرفة بثقافة المجتمع المخاطب مردودات سلبية طالت الممارسة التبليغية ذاتها. فمثلاً يفضي تجاهل مكانة مصطلح ما في ثقافة المخاطب إلى انصرافه عن سماع مجمل الخطاب، وربما إلى اتخاذ رد فعل سلبي حيال أي تبليغ مماثل. كما أن التشديد على موضوع معين أو تجاهل قيمة ثقافية، يسوق أحياناً المستمعين أو القراء إلى التشكيك في أصالة الخطاب وحقانيته أو إلى الإعراض عنه جملة وتفصيلاً.

في أي حال، كانت هذه نماذج عديدة وقعت فيها المؤسسة التبليغية في خارج البلد. ولتفادي ذلك، يكون المبلغ متحلياً بالخصائص العامة للمبلغ الفاعل، إضافة إلى الإحاطة الكاملة بلغة المجتمع

المخاطب وثقافته. وليتحاش التدرّب على ممارسة التبليغ في وسط المجتمع، فالصحيح ان يحترف التبليغ قبل أن يتماس مع المجتمع. وإلاّ فهو كمن لا يجيد السباحة ومع ذلك يحاول أن يسبح في محيط موّاج، وهذا غارق لا محالة هو ومن تشبث به. وللأسف نلاحظ مصاديق عديدة لهذه الأخطاء، الأمر الذي يشكل خطراً جدياً على المؤسسة التبليغية في خارج البلد، كون الاتصال الأول مسؤول بالدرجة الأولى عن صياغة وعي المجتمع المخاطب. وليكن معلوماً أن تجسير العلاقة مع شعوب العالم يجب أن لا يخضع لمنهجية التجربة والخطأ. فغالباً ما تؤدي هذه المنهجية إلى رسم صورة مزيفة وسيئة للمبلّغ الشيعي في الأذهان، تصعب إزالته بسرعة حيث تبقى أمداً طويلاً في الذهن . لتحول دون التفاعل حتى مع المبلّغين الممتازين:

"يجب توافر أفراد مستعدين لهذا العمل؛ أي من الذي أنهوا دراستهم وشاركوا في دورة تأهيلية واطلعوا على طباع الأجانب وسلوكياتهم وأتقنوا لغتهم، فيما يتواصلوا معهم وينهضوا إلى مستوى البيئة التي يخاطبونها([97]).".

2. المثابرة وتحمل المشاق:

ليس التبليغ في خارج البلد ترفيهاً أو سياحة لتمضية أوقات الفراغ، بل هو ممارسة شاقّة لا تنهض بها سوى النفوس الصابرة والهمم العالية، ولا مجال فيه لحب الدعة والراحة والترّف.

ولا يتيسر للمبلّغ نشر الفكر الديني إلاّ بعد الهمة والحركة الجادة. فبالمثابرة وقوة العزة وصل المبشرون المسيحيون إلى غاياتهم. وقبلهم نشر المبلّغون المسلمون، الإسلام في الهند وجنوب شرقي آسيا وأفريقيا وغيرها بالمثابرة والعمل الدؤوب.

ولكي يكون للفكر الديني . الشيعي حضور ملموس حالي، لابدّ من نفوس كبيرة لا تخشى الصعاب ولا تؤثر فيها النكبات، وتحلو في عينها مرارة الغربة، ولا تتوانى أبداً في الدعوة إلى الإسلام ونشره ولو كلفها ذلك دموعاً ودماءً:

"ترسم في أذهان بعضهم صورة متألثة للتبليغ في الخارج، فيتوهمون أن من يرسل للتبليغ في الخارج، يقيم في لندن أو باريس وفي عمارة راقية مع أناس مترفين.

اقرأوا سيرة بعض المبلغين المسيحيين الذين بذلوا مجهودات ضخمة وذهبوا إلى أعماق غابات أفريقيا وأمريكا. بالطبع كان هدفهم استعمارياً، وليس إلهياً واقعياً... وقبلهم نشر المبلغون المسلمون في أقاصي آسيا: الهند وشبه القارة الهندية التي تضم بنغلادش والهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا والصين وتركستان الشرقية. هكذا انتشر الإسلام في أغلب هذه المناطق؛ إذ هاجر إليها بعض أولياء الله والعرفاء وأقاموا سنوات متتالية تحملوا خلالها مختلف ألوان الصعاب، حتى استشهد بعضهم ومات بعض آخر جوعاً... [98]".

3. المراقبة المشددة:

على المبلغ أن يحاسب نفسه أينما كان، فيقارن بين أقواله وأفعاله بدقّة عالية، وبكلمة أخرى يكون منسجماً مع كونه مبلغاً للدين.

وهذا أصل عام، تشتد أهمية في حال المبلغ في الخارج. فهو من جهة يمثل سفير الدين في البلد الأجنبي، وهذا يعزز التزاماته. فإذا ارتكب المبلغ في داخل البلد خطأ أو ذنباً. وإن كان كبيراً. فإنه يتوارى خلف أخلاقيات وسلوكيات العلماء الصالحين. وهؤلاء ليسوا قلة. الأمر الذي يمنع سوء الظن بالدين. لكن الحال يختلف في البلد الأجنبي حيث تتوجه أنظار المخاطبين إلى المبلغ فقط، فتكون جميع أعماله برسم الديانة والعلماء كافة، ومن ثم فإن خطأه أو ذنبه يعد دليلاً كافياً على سلب الدين حقانيته.

وبناء على هذا فإن ذنب المبلغ في البلد الأجنبي أوسع إضراراً، وهو يغلق الباب بوجه المبلغين الصالحين والكفوئين.

ومن جهة ثانية، يشكل بعد المسافة بين البلد الأجنبي ومركز الإسلام والولاية، خطراً على الضعفاء الذين تزداد معدلات ارتكابهم للذنوب والمعاصي كلما ابتعدوا عن المركز. فلا بدّ للمبلغ أن يتصف بالحلم وسعة الصدر، وعليه أن يكتفّ مراقبته لنفسه وسلوكه الأخلاقي، ليصون نفسه من المزالق:

"إن بعد المسافة الذي يفصلكم عن البلد ومركز الثورة، مدعاة لتشديد النزكية الذاتية. ومع أنكم من أهل العلم والأخلاق والفضل والدين، لكن المرء عندما يبتعد عن مركز الإسلام والدين والشعائر الإسلامية، يحتاج على تكثيف مراقبته لنفسه والاهتمام بها. فمثلاً إذا كنتم هنا تكتفون بمقدار معين من الذكر والدعاء والنوافل وصلاة الليل و.... فعليكم مضاعفته هناك ليكون بوسعكم المحافظة على أنفسكم(99)".

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين والمبلغين عشية شهر محرم في 1370/4/20هـ.ش.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه بالمسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي في 1372/2/6هـ.ش.

[3] من خطاب لسماحته خلال لقائه المبلغين في منظمة الإعلام الإسلامي في 1372/11/4هـ.ش.

[4] من خطاب سماحته خلال لقائه علماء أهل السنة في بندر تركمن في 1363/2/18هـ.ش.

[5] من خطاب سماحته خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية في 1371/5/21هـ.ش.

[6] من خطاب سماعته خلال لقائه المسؤولين عن التثقيف العقائدي. السياسي في حرس الثورة الإسلامية في 1363/3/3هـ.ش.

[7] من خطاب سماعته خلال لقائه بأعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية في 1368/9/21هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سمحة القائد) ج3. ص44.

[8] من خطاب سماعته خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية في 1370/10/25هـ.ش.

[9] المصدر السابق.

[10] من خطاب سماعته خلال لقائه بقيادة السرايا في قوات التعبئة. في 1371/4/22هـ.ش.

[11] من خطاب سماعته خلال لقائه ممثلي الفضلاء والطلبة في الحوزة العلمية في قم في 1368/9/7هـ.ش.

[12] من خطاب سماعته خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية. في 1371/5/21هـ.ش.

[13] من خطاب سماعته خلال لقائه ممثلي الأفاضل والطلبة في الحوزة العلمية في قم في 1368/9/7هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سمحة القائد) ج3. ص40 إلى 44.

[14] من خطاب سماعته خلال لقائه ممثلي الأفاضل والطلبة في الحوزة العلمية في قم في 1368/9/7هـ.ش. راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سمحة القائد) ج3. ص40 إلى 44.

[15] من خطاب لسماعته خلال لقائه علماء الدين في دامغان في 1367/4/15هـ.ش.

([16]) من خطاب سماحته خلال لقائه بعلماء الدين والوعاظ عشية شهر رمضان في 1369/12/22هـ.ش.

([17]) المصدر السابق.

([18]) من خطاب سماحته خلال لقائه الدين في دامغان في 1367/4/15هـ.ش.

([19]) من خطاب سماحته خلال لقائه علماء الدين في بيرجند في 1366/1/3هـ.ش.

([20]) من خطاب سماحته خلال المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي في 1372/2/6هـ.ش.

([21]) من خطاب سماحته خلال لقائه مسؤولي في منظمة الإعلام الإسلامي في 1370/12/5هـ.ش.

([22]) من خطاب سماحته لقائه مبلغ الحزب الجمهورية الإسلامي في 1361/4/1هـ.ش.

([23]) من خطاب سماحته خلال لقائه أعضاء المكتب الإعلامي الإسلامي في الحوزة العلمية في قم. في 1361/1/11هـ.ش.

([24]) من خطاب سماحته خلال لقائه مبلغ الحزب الجمهوري الإسلامي في 1361/4/1هـ.ش.

([25]) من خطاب سماحته خلال لقائه الهيئة الإدارية في مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية في قم في 1374/7/10هـ.ش.

([26]) من خطاب سماحته خلال لقائه علماء الدين عشية شهر محرم في 1370/4/20هـ.ش.

([27]) من خطاب سماحته خلال لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام في 1361/12/15هـ.ش.

[28] من خطاب سماحته خلال لقائه المسؤولين عن التشريف العقائدي. السياسي في حرس الثورة الإسلامية في 1363/3/3 هـ.ش.

[29] من خطاب سماحته خلال لقائه الهيئة الإدارية في مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية في قم. في 1361/12/5 هـ.ش.

[30] المصدر السابق.

[31] من خطاب سماحته خلال لقائه في منظمة الإعلام الإسلامي في 1370/12/1 هـ.ش.

[32] المصدر السابق.

[33] من خطاب سماحته خلال لقائه طالبات المدرسة العلمية في "مسجد سليمان" في 1361/6/4 هـ.ش.

[34] من خطاب سماحته لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام في 1361/12/24 هـ.ش.

[35] المصدر السابق.

[36] من خطاب سماحته خلال لقائه مسؤولي التشريف العقائدي. السياسي لحرس الثورة الإسلامية في 1363/3/3 هـ.ش.

[37] المصدر السابق.

[38] من خطاب لسماحته في جمع من علماء الدين في محافظة "جهاز محال وبختياري" في 1371/7/15 هـ.ش.

([39]) من خطاب سماحته خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي في 1370/12/15هـ.ش.

([40]) من خطاب سماحته خلال لقائه بأمة الجماعة وعلماء الدين والمبلغين عشية شهر رمضان في 1371/11/25هـ.ش.

([41]) من خطاب سماحته خلال لقائه أعضاء مجلس الأعلى للإعلام في 1361/12/24هـ.ش.

([42]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في "رفسنجان" في 1371/2/7هـ.ش.

([43]) المصدر السابق.

([44]) المصدر السابق.

([45]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في الحزب الجمهورية الإسلامي في 1364/6/21هـ.ش.

([46]) من خطاب لسماحته خلال لقائه أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في "مشهد" في 1369/1/14هـ.ش.

([47]) من خطاب سماحته خلال لقائه علماء الدين عشية شهر رمضان في 1373/11/15هـ.ش.

([48]) المصدر السابق.

([49]) من خطاب سماحته خلال لقائه علماء الدين في زنجان في 1364/8/29هـ.ش.

([50]) المصدر السابق.

([51]) من خطاب ألقى في 1370/12/25 هـ.ش.

([52]) المصدر السابق.

([53]) من خطاب ألقى في 1370/4/20 هـ.ش.

([54]) من خطاب ألقى في 1370/2/5 هـ.ش.

([55]) من خطاب ألقى في 1361/12/5 هـ.ش.

([56]) من خطاب ألقى في 1374/9/14 هـ.ش.

([57]) المصدر السابق.

([58]) المصدر السابق.

([59]) من خطاب ألقى في 1361/2/5 هـ.ش.

([60]) من خطاب ألقى في 1362/1/9 هـ.ش.

([61]) من خطاب ألقى في 1363/12/17 هـ.ش.

([62]) من خطاب ألقى في 1370/11/28 هـ.ش.

([63]) المصدر السابق.

([64]) من خطاب ألقى في 1374/9/14 هـ.ش.

([65]) من خطاب ألقى في 1372/2/6 هـ.ش.

([66]) من خطاب ألقى في 1361/4/1 هـ.ش.

([67]) من خطاب ألقى في 1361/12/15 هـ.ش.

([68]) من خطاب ألقى في 1370/11/30 هـ.ش.

([69]) المصدر السابق.

([70]) من خطاب ألقى في 1374/9/18 هـ.ش.

([71]) من خطاب ألقى في 1372/7/1 هـ.ش.

([72]) من خطاب ألقى في 1373/11/5 هـ.ش.

([73]) من خطاب ألقى في 1373/2/6 هـ.ش.

([74]) المصدر السابق.

([75]) من خطاب ألقى في 1372/7/1 هـ.ش.

([76]) من خطاب ألقى في 1372/11/5 هـ.ش.

([77]) من خطاب ألقى في 1370/4/20 هـ.ش.

([78]) من خطاب ألقى في 1371/11/29 هـ.ش.

([79]) من خطاب ألقى في 1367/6/10 هـ.ش.

([80]) من خطاب ألقى في 1373/11/5 هـ.ش.

([81]) من خطاب ألقى في 1370/4/20 هـ.ش.

([82]) من خطاب ألقى في 1372/3/17 هـ.ش.

([83]) من خطاب ألقى في 1364/6/21 هـ.ش.

([84]) من خطاب ألقى في 1364/2/4 هـ.ش.

([85]) من خطاب ألقى في 1373/3/17 هـ.ش.

([86]) من خطاب ألقى في 1370/3/20 هـ.ش.

([87]) من خطاب ألقى في 1368/5/11 هـ.ش.

([88]) من خطاب ألقى في 1373/3/17 هـ.ش.

([89]) من خطاب ألقى في 1370/11/20 هـ.ش.

([90]) من خطاب ألقى في 1371/7/15 هـ.ش.

([91]) من خطاب ألقى في 1373/6/21 هـ.ش.

([92]) المصدر السابق.

([93]) من خطاب ألقى في 1373/11/5 هـ.ش.

([94]) من خطاب ألقى في 1370/4/20 هـ.ش.

([95]) من خطاب ألقى في 1371/7/15 هـ.ش.

[96] من خطاب ألقى في 14/6/1374هـ.ش.

[97] من خطاب ألقى في 29/6/1371هـ.ش.

[98] من خطاب ألقى في 10/6/1367هـ.ش.

[99] من خطاب ألقى في 17/2/1371هـ.ش.

(أ)

. القرآن الكريم..

. إبراهيم محمد أبو الفضل ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1959م.

. أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، القاهرة، 1931م.

. أبو القاسم "ابن عساكر"، تاريخ مدينة دمشق.

. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م.

. أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، ط5، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1416هـ.

. احمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب (26) القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة 1964م.

. أخوان الصفا، رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، 1405هـ.

. أسماء فهمي، مبادئ التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947م.

. الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي، مختلف الشيعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

. التعليم ذلك الكنز المكنون، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، القاهرة 1999م.

(ج)

. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي.

. جعفر الباقر، ثواب ومتغيرات الحوزة العلمية، بيروت، دار الصفوة، 1415هـ.

. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1978م.

. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، بيروت، المكتبة الثقافية، 1973م.

(ح)

. حسان محمد حسان، الأهداف التربوية في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987م.

(خ)

. خليل طوطع، التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947م.

(د)

. روح الله الموسوي الخميني، آداب الصلاة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م.

. علي الحسيني الخامنئي، مجموعة محاضرات.

. علي بن محمد الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، 1376هـ.ش.

. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، بيروت، دار النهضة العربية، 1404هـ.

(م)

. محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر.

. محسن محمد محسن، من التنظيم الدراسي في النجف الأشرف، ط1، بيروت، دار المحجة البيضاء، 1998م.

. محمود السيد سلطان، مفاهيم تربوية في الإسلام، الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، 1977م.

. محمد الشيبني، أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة.

. محمود المظفر، مقدمة الطبعة 3، لكتاب المنطق، بيروت، دار التعارف، 1995م.

. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء.

. محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة، ط3، بيروت، دار التعارف، 1981م.

. المدرسة القرآنية، طهران، دار الكتاب الإيراني، 1984م.

. الحرية في القرآن، بحث منشور ضمن "بحوث إسلامية" ط3، بيروت دار الزهراء، 1403هـ، 1983م.

. دروس في علم الأصول، ط5، قم، مؤسسة النشر الإسلامي 1418هـ.

. محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة، للتأليف والترجمة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1981م.

. محمد بن الحسن الطوسي، المبسوط، ط1 طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط4، بيروت دار المعرفة، 1980م.

. تاريخ الأمم والملوك، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1997م.

. محمد زياد حمدان، أساسيات المنهج الدراسي، دار التربية الحديثة.

. محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

. محمد محسن بن علي الطهراني (آغا بزرك) طبقات أعلام الشيعة.

. محمد محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ط1، بيروت، الدار الإسلامية.

. محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وحركتها الإصلاحية.

. محمد معروف الدواليبي، موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية القاهرة، دار الكتب المصري، 1987م.

(ن)

. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، عدد 276، ديسمبر 2001م.

دوريات

- . حسن طاهري حزم آبادي، مجلسة رسالة الحوزة "فارسية"، قم.
- . مرتضى مطهري، مجلة "الحوزة" عدد2، ربيع الأول، 102هـ.ش. قم.
- . ناصر مكارم الشيرازي، مجلة "حوزة" عدد 2، 1375هـ.ش. "بالفارسية".